

معالم مكة

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم
الدينية والتاريخية في مكة
المكرمة والمشاعر المقدسة



ح علي محمد أحمد الحازمي، ١٤٤١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حازمي، علي محمد أحمد

معالم مكة دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في
مكة المكرمة والمشاعر المقدسة. / علي محمد أحمد حازمي - جازان،

١٤٤١ هـ ٤٢٠ ص ١٧؛ ٢٤× سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٤٤٣١-٤

١- مكة المكرمة - تاريخ أ.العنوان

١٤٤١/١٠٣٨١

ديوي ٩٥٣.١٢١

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٠٣٨١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٤٤٣١-٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



تحذير

لا يجوز طباعة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه بواسطة أي نظام
لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقلها على أي هيئة أو بأية وسيلة
سواء كانت إلكترونية أم شرائط ممغنطة أم غير ذلك أو أي طريقة معلومة
أو مجهولة إلا بإذن خطي صريح من المؤلف.



مؤسسة روائع الأدب
للنشر والتوزيع
جازان - ضمة
سجل تجاري رقم ١٩٥٨١
رخصة إعلامية رقم ٢٠٠٤
للتواصل جوال ٥٢٠٧١٦٦٦٩

معالم مكة

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية
والتاريخية في مكة المكرمة
والمشاعر المقدسة

تأليف

علي بن محمد أحمد قصير الحازمي

ماجستير في التاريخ الإسلامي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العلمي في محافظة ضمد



دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

الإهداء

إلى بيت الله العتيق..الظل الممدود الذي يستظل به.

كل قائم وراكع وساجد في أرجاء هذه المعموره.

أهدي جهد المقل.

داعياً الله عز وجل بأن يزيد هذا البيت الشريف تشريفاً وتكريماً

وتعظيماً ومهابة ورفعته وبراً.

المقدمة

«الحمد لله الذي جعل مكة المشرفة، أعظم البلاد شأنًا، وصيرها محلاً مباركاً وحرماً آمناً، وأجزل لعباده المتقربين له فيها بالطاعات العطية، وجعل لهذه البلاد الفضل والمزية، لأن فيها بيت الله الحرام الذي هو للناس مثابة وقوام فغفر لمن حجه وأعتمره وطاف به من البرية ما اقترفه من الذنب والخطية أحمله على ما منحنا من زيارات بيته المطهر والفوز بالقرب منه، وأسأله استمرار ذلك إلى حين أن أقبر».

أما بعد:

فإنه لما وفقني الله تعالى للاشتغال بالعلم النافع الشريف.. تشوقت نفسي كثيراً للكتابة عن مكة المكرمة ومشاعرها المقدسة بجوانبها المختلفة ومعالمها الدينية وأهم الأحداث التي كان لها أثر مباشر في نشأتها وقدسيتها وعلو مكانتها مع تسليط الضوء على المواطن الهامة فيها مثل الحرم المكي، والحجر الأسود وبئر زمزم والشاذروان والمقام الإبراهيمي والمسعى وغيرها من المعالم متتبعا ما حدث لها من توسيعات وتحسينات والتي أدخلت عليها منذ ما قبل الإسلام حتى العهد السعودي الزاهر.

فمكة المكرمة بمشاعرها المقدسة، تحتضن الكثير من هذه المواطن التي تعد آيات بينات ومعالم دينية وحضارية خالده تتسم بحضورها الدائم

وتعلقها في الذاكرة، فهي تضل منذ نشأتها إلى الآن معالم دينية وثقافية تحدد هوية الشعوب وتعمق الدين في القلوب.

ولكن.. ولسوء الحظ فإن عدداً من هذه المعالم أصبح الآن موروثاً حضارياً، وخلاصة تجربة حياتية لشعوب مضت. طالها الاندثار لما تعرضت له من إهمال ممنهج، وتمرد عمراني واضح غير الكثير من ملاحظيها.. لتسجل عقب شحوب ملاحظيها وربما إزالتها بالكلية حضارة عامرة ودليل واضح على عظمتها، فتكفلت بها سجلات التاريخ، وأدراج المكتبات، ولم يعد يذكرها أحد بل ويجهلها مرتادي الحرم المكي الشريف من حجاج ومعتمرين فيؤدي معظمهم نسكه عادة لا عبادة وبفتور شديد لعاطفته الدينية وجهل بتاريخ المكان الذي يؤدي فيه نسكه.

ففي الحياة لا يبقى شيء على حاله، وكثير ما نمتلك معالم ثمينة تخص ديننا وتعلي شأنه بين الأمم.. ومن ثم وفي غمضة عين نفقدها دون سابق إنذار بل وينساها الجميع إلا من رحم.

وبين يديك أخي القارئ الكريم.. جهد المقل (التمثل في هذا الكتاب المعنون (بمعالم مكة) دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة) مبيناً فيه بعض الدراسات التاريخية المؤصلة من المصادر والمراجع لنشأة وتاريخ الكثير من الأمكنة والمعالم الدينية الهامة في الحرم المكي ومشاعره المقدسة مع بيان مدى قدسيتها ومكانتها عند

المسلمين مع عرض مبسط لبعض الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ والسلف الصالح التي وردت بشأن هذه المعالم والأمكنة بالذات مما زاد في قدسيتها وأهميتها الدينية والإسلامية على حد سواء حتى يتمكن الحاج والمعتمر من الإمام بقدسية المكان ليقوم بحقه الواجب عليه من التدبر والإحترام والتقدير حال المرور به عند أداء نسكه.

ولما كان هذا الكتاب موضوع بصفة عامة لزوار بيت الله الحرام من حجاج ومعتمرين فقد حرصت فيه على سهولة العبارة ووضوحها مع استقصاء المعلومات من مصادرها الأصلية لعلماء ومؤرخين مكين كانوا في طليعة مشائخ الحرم المكي خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين مثل كتاب أخبار مكة للإمام أبي عبدالله بن محمد الفاكهي ومثل كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى ومثل كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للحافظ أبي الطيب تقي الدين بن محمد الفاسي مع ربط هذه المعلومات بآيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة وبعض ما جاء من أقوال الصحابة والتابعين فيها. سائلاً الله عز وجل أن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية برغم ما واجهني فيه من صعوبات بالغة عند جمعي للمعلومات، وتحقيق الأحاديث النبوية، ومقابلة هذه المعلومات مع بعضها في كتب ومصادر أخرى، للوصول بإذن الله إلى الدقة والصواب مع تحري الأمانة

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

قدر المستطاع والكمال لله عز وجل.. ناهيك عن قلة الكتب والمصادر التي تتحدث عن هذا الموضوع بالذات وإني لأسأل الله عز وجل السداد والتوفيق في الفكر والقول والعمل إنه نعم الموفق ونعم النصير.

علي بن محمد أحمد قصير الحازمي

المدرس بالمعهد العلمي في محافظة ضمد

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مكة المكرمة

مكة المكرمة مهبط الوحي ومنبع الرسالة الإلهية.. ومهوى الأفئدة فيها أول بيت وضع للناس الكعبة المشرفة أفضل بيوت الله في الأرض^(١) جعلها الله.. لعبادتهم وطاعتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده^(٢) أحب بلاد الله إلى الله وأحبها إلى رسوله ﷺ، هي قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، ومأوى حجاجهم ومجمع وفودهم وملقى جموعهم، حرمها الله تعظيماً وإجلالاً يوم خلق السموات والأرض^(٣)، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٤) وقال ﷺ (والله إنك لأحب البقاع إلى الله.. ولولا أنني أخرجت منك لما خرجت)^(٥) وقال ﷺ: ((ما أطيبك من بلد وأحب إلي لولا أن قومي

(١) ابن العماد الشافعي / تسهيل المقاصد لزوار المساجد / تحقيق إبراهيم محمد بازودي - دار

الصميعي - الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ص ٤٤٠.

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / دار المعرفة / بيروت / لبنان / ج ١ ص ٣٩١

(٣) صفى الرحمن المبارك فوري / تاريخ مكة المكرمة / دار السلام / ١٤٢٣هـ / ص ٨

(٤) سورة إبراهيم آية ٣٧

(٥) خالد منصور محمد / منهج الإمام جمال الدين الترمذي في تقرير العقيدة / الرياض /

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ ص ٤٩٣ وانظر أيضاً الأزرقى / أبي الوليد محمد عبدالله / أخبار

مكة / مكتبة الثقافة / مكة المكرمة / ط ١١ / ١٤٣٢هـ / ج ١ ص ٥

أخرجوني منك ما سكنت غيرك^(١))).

وأجمع معظم العلماء على أن مكة المكرمة هي أفضل بقاع الأرض كيف لا وقد اتسعت للخلائق كلهم بما لا يحصيهم إلا الله عز وجل فمن الحري بالمسلم الزائر لهذه البقعة المباركة أن يدعو بالدعاء المأثور لمن عاين بيوت مكة فيقول ((اللهم أجعل لي فيها قراراً وأرزقني فيها رزقاً حلالاً))^(٢) كما ينبغي عليه أيضاً إذا دخل منطقة الحرم المكي أن يقول: ((اللهم أن هذا الحرم حرمك والبلد بلدك والأمن أمنك والعبد عبدك جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة وأعمال سيئة أن تستقبلني بمحض عفوك وأن تدخلني فسيح جنتك جنة النعيم اللهم أن هذا حرمك وحرم رسولك فحرم لحمي ودمي وعظمي على النار اللهم آمين من عذابك يوم تبعث عبادك اللهم أني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله تسليماً كثيراً أبداً))^(٣).

(١) انظر جامع الترمذي / أبواب المناقب (باب فضل مكة، دار السلام، الرياض، الطبعة

الثالثة، ١٤٢١هـ، ص ٤٩٣ وانظر د/ محمد الياس عبدالغني / تاريخ مكة المكرمة قديماً

وحديثاً / مطابع الرشيد / المدينة المنورة / الطبعة الأولى / ١٤٢٢هـ / ص ١٠

(٢) حسين بن محمد سعيد عبدالغني المكي الحنفي إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري /

دار الكتب / بيروت / الطبعة الأولى ١٤١٩ ص ١٤١ باب دخول مكة.

(٣) محمد لطفي جمعه / الأيام المبرورة في البقاع المقدسة / عالم الكتب / القاهرة / ١٩٩٩هـ

إن هذا البلد العظيم يقع في بطن وادي مقدس أختصه الله دون سائر الأرض فيجب عليك تقديسه بما ورد من تلك الأدعية وأعلم أن قدسيته تعود إلى بداية خلق الله تعالى للأرض والجبال بشعابها المختلفة فجعلها محدة به كالسور الحصين^(١) فعن سفيان بن عيينه عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب قال: قال كعب الأحبار (كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السموات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض). قال عطاء عن عمرو بن دينار^(٢): (بعث الله ريحاً صفصافه فصفت الماء فأبرت عن خشعه بيضاء أو رمل مكتنز لاطئه في موضع هذا البيت كأنها فيه فدحا إليه الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتد الله تعالى الجبال كي لا تميل فكان أول جبل وضع فيها جبل أبي قيس)^(٣). ففي هذه الأرض التي باركها الله بنفسه جل في علاه وتقدست أسماؤه

(١) الفاسي / الحافظ أبي الطيب تقي الدين شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام / تحقيق د/ علي

عمر / ج ١ / مكتبة الثقافة / القاهرة / ط ١ / ١٤٢٨ هـ ص ٢٥

(٢) الأزرق / مصدر سابق باب ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء ج ١ ص ٦٦ وانظر كذلك

أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ الشافعي، بناء الكعبة البيت الحرام، تحقيق عبد اللطيف بن دهيش، مكة المكرمة، ١٤٢٦ هـ دار البشائر الطبعة الأولى ص ٣٩ وانظر أيضاً مجمع

الزوائد ج ٣ ص ٢٨٨

(٣) الأزرق / مصدر سابق ص ٣١ ص ٣٢ و ص ٦٧ ج باب ما كانت الكعبة عليه فوق الماء

برواية ابن عباس.

عاش ودفن أنبياء الله آدم عليه السلام وذريته وإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وهاجر عليها السلام، ودفن بها سبعون نبياً وفيها ولد خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبها عاش وترعرع، ومن أحد جبالها شع نور الدين الإسلامي ليعم بنوره أرجاء الأرض، أعزها الله ببيته الشريف الذي جعل مزية الصلاة فيه بمائة ألف صلاة عما سواه.

ومكة المكرمة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠ إلى ٣٣٠ متراً وقد حدد الجغرافيين موقعها الفلكي على خط عرض ٢١, ٥ درجة وعلى خط طول ٤٦ - ٤٩ درجة فهي تبعد عن المدينة المنورة بـ ٤٣٠ كم جنوباً كما تبعد عن مدينة جدة بـ ٧٣ كم شرقاً تطل على امتداد سفوح جبال السروات وبموقعها الجغرافي والفلكي فهي تمثل نقطة التقاء سهول تهامة بالجبال المحيطة بها من جميع الجهات يحتضنها وادي إبراهيم الخليل الذي ينحصر بين سلاسل جبلية متقاربة من جهات الشرق والغرب والشمال والجنوب فالسلسلة الشمالية تتألف من جبل الفلق وجبل قعيقان والسلسلة الجنوبية من جبل أبي جديره غرباً ثم جبل كدي باتجاه الجنوب ثم جبل أبي قبيس في الجنوب الشرقي ثم جبل خندمه^(١) والسويداء وبالنظر إلى الحكمة الإلهية

(١) د/ محمود محمد حمو، مكة المكرمة، تاريخ ومعالم الطبعة الثانية ١٤٣٥ هـ ص ٦ (حضارة

من موقعها بين هذه الجبال فإننا نجد لها تتمتع بكثرة الشعاب التي تنحدر منها السيول العديدة لتشكل أودية سريعة الجريان تغذي المنطقة بأسرها بالمياه حال هطول الأمطار مثل وادي إبراهيم عليه السلام، الذي يقع فيه بيت الله الحرام، ووادي طوى، ووادي فح وغيرها من الأودية ^(١) فهي بحق كما وصفها المقدسي «مصر إقليم الحجاز» ^(٢)

وتعود تسميتها بهذا الاسم (مكة) نسبة إلى بطن هذا الوادي العظيم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ ^(٣) قال ياقوت الحموي في معجمه: ما سميت مكة إلا لأن العرب كانت تقول في الجاهلية ((لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه (أي نصفر صفير الماء حول الكعبة) وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها ^(٤) كما تسمى أيضا (بكة) قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٥) أما ما جاء في تسميتها (بكه) فهو

(١) أحمد السباعي / تاريخ مكة / دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والقرآن / مطبعة

الأمانة العامة / ١٤١٨ هـ ط ١ الرياض ج ١ ص ٢١

(٢) المقدسي / محمد بن أحمد / أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / تحقيق غازي طليحات /

وزارة الثقافة / الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١ هـ ص ٧١

(٣) سورة الفتح آية ٢٤

(٤) ياقوت الحموي / معجم البلدان، دار أحياء التراث / بيروت / لبنان ١٤٠١ هـ ج ٥

ص ١٨١

(٥) سورة آل عمران آية ٩٦

موضوع اختلاف بين علماء اللغة فمنهم من قال: لأنها تبتك أعناق الجبابة إذا أحدثوا فيها شيئاً أي تغطيها ومنهم من قال: لأنها المكان الذي يتباكى فيه عباد الله^(١) ويزدحمون فيبك بعضهم بعضاً قال الحسن البصري رحمه الله: أي يتباكون من كل وجه.

وأضاف قتادة رحمه الله: إن الله بك فيه الناس جميعاً أي اختلطوا فيصلى النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك في بلد غيرها^(٢).

يرجع بعض علماء اللغة تسميتها (ببكه) إلى قلة مائها لقول الأعراب في البادية: (أمتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه) وقال آخرون لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها وتمك الفاجر فتخرجه منها^(٣).

وأما ما ورد من أسمائها أيضاً غير (مكة وبكه) فأم الرحم والمرحومة^(٤) والقرية قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾^(٥) وأم القرى قال تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾^(٦) والبلد الأمين قال تعالى: ﴿لَا

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ج ١ ص ٨٨

(٢) أبي الحسين أحمد بن فارس / معجم مقاييس اللغة / تحقيق عبدالسلام هارون / دار الجليل

/ بيروت / ١٤١١ هـ الطبعة الأولى ص ٧١٧

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٢١

(٤) الفيروز أبادي / القاموس المحيط / موثق الرسالة / مطبعة السادسة / ١٤١٩ هـ / بيروت

/ لبنان

(٥) سورة النحل آية ١١٢

(٦) سورة الأنعام آية ٩٢

أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ^(١) ومعاد قال تعالى: (أَنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ).

وغير ذلك من الأسماء التي قاربت على الخمسين اسماً^(٢) مما لا يتسع المجال لذكرها هنا وكما قيل في الأثر فإن كثرة الأسماء دليل على شرف المسمى^(٣) خاصة إذا علمنا أن الله تعالى قد أقسم بها في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾^(٤) فالله عز وجل لا يقسم إلا بشيء عظيم.

وقد عرفت مكة المكرمة في كتب التاريخ منذ زمن طويل ممعن في القدم من قبل عهد إبراهيم عليه السلام بدليل أن بعض المصادر التاريخية القديمة فيها إشارة واضحة إلى الوادي الذي ليس فيه ماء ولا زرع وبأنها جزء من بلاد العرب التي استقبلت قبائل بدوية متنقلة مهاجرة^(٥) غير أنها لم تكن تعرف مكة بهذا الاسم بالذات إلا بعد بناء الكعبة المشرفة^(٦)

(١) سورة البلد آية ١

(٢) ياقوت الحموي / معجم البلدان / دار أحياء التراث / بيروت / لبنان / ١٤٠١هـ ج ٢

ص ٢٨

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٢١

(٤) سورة البلد آية ١

(٥) حسن إبراهيم حسن / تاريخ الإسلام ج ١ / دار الجيل / بيروت / الطبعة الثالثة عشر /

١٤٢١هـ ص ١١/٩

(٦) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / مصدر سابق ص ٩٦

فكان يشار إليها في الكتب القديمة (بالوادي) فقط.

ومما لا شك فيه عند عموم المؤرخين أن اعتماد هجرة إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر إلى مكة (الوادي) كان مبدأً واضحاً لبداية تاريخ مكة وسكنائها وبداية قدسيتها^(١) حين جعله الله حرمًا آمنًا حتى شمل هذا الأمن الأشجار فلا تقطع والطير فلا تنفر وجعل ثواب الأعمال أفضل من ثوابها في غيره استجابة لدعوة نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٢) يضيف علماء التفسير أن في هذه الآية الكريمة احتجاجاً من إبراهيم عليه السلام على عبادة الأصنام التي كانت قد أحضرتها القبائل المهاجرة إلى هذا الوادي المبارك وهو بذلك تأكيد آخر على عظم تاريخ هذا المكان الذي اختاره الله لعبادته بدلاً من عبادة هذه الأوثان منذ أن خلق الله آدم عليه السلام ثم أمره ببناء البيت العتيق في هذا الموضع من الأرض قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾^(٣) فالحرمة والأمن هنا يقتضيان إخلاص العبادة لله عز وجل وحده دون غيره لتحقيق السعادة ويبسط الأمن.

ولهذا يقول عليه السلام: (المقام في مكة سعادة والخروج منها شقاوة)

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ص ٢١

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٥

(٣) سورة العنكبوت آية ٦٧

وتؤكد عائشة رضي الله عنها الحديث السابق بقولها: ((لو لا الهجرة لسكنت مكة أني لم أرى السماء بمكان قط أقرب إلى الأرض فيها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد مثلما ما أطمأن بمكة ولم أرى القمر بمكان أحسن منه بمكة^(١))) فما أعظمها من سعادة وما أعظمه من بلد يجتمع فيه الأمن والرزق والطمأنينة وتضاعف الحسنات.

روي عن الحسن البصري رحمه الله ما يقتضي تضاعف الحسنة بمكة (فضلاً عن أحاديث نبوية كثيرة) إلى مائة ألف حسنة حيث قال: (صوم يوم بمكة بمائة ألف يوم، وصدقة درهم بمائة ألف درهم ولكل حسنة بمائة ألف) وهذا دليل على إطراد التضعيف في جميع الحسنات الحاقاً بهما^(٢) ولأجل ذلك وجدنا أن غالبية العلماء يفضلون المجاورة للبيت العتيق بل ويعتبرونها مستحبة تقرباً إلى الله عز وجل.

ومنهم الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله وابن القاسم صاحب الإمام مالك رحمه الله الذي قال في ذلك: [إن جوار مكة مما يتقرب به إلى الله كالرباط، والصلاة] وذهب آخرون إلى كراهية المجاورة ومن هؤلاء العلماء الإمام أبو حنيفة

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٥٤ و ج ١ ص ٥٢١ باب ما جاء في صيام شهر رمضان بمكة والإقامة فيها برواية عطاء بن كثير وكذلك ج ٢ ص ٧٣٠ باب تذكر النبي وأصحابه لمكة.

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ١٣٣ وفي باب فضل الصلاة بمكة ص ١٥٨ ج ١

النعمان رحمه الله والإمام الطبري رحمه الله الذي علل الكراهية بالخوف من الملل وقلة الاحترام لمداومة الأُنس بالمكان، وخوف ارتكاب الذنب هناك فإن المعصية ليست كغيرها، وتهيج الشوق بسبب الفراق^(١) ورجح الإمام النووي في كتابه الإيضاح / أن المختار من هذه الأقوال السابقة استحباب المجاورة بمكة لما فيها من تضاعف الحسنات والطاعات وقد جاور بها ممن تقتدي به من سلف الأمة وخلفها خلائق لا يحصون أنشد بلال بن رباح رضي الله عنه وهو بالمدينة المنورة وقد اضنته الغربة والفراق عن مكة قائلاً:

الآليت شعري هل ابتن ليلة بفتح وحولي إذخر وجيل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل تبدو لي شامة وطفيل
وحسبنا في الحديث عن فضل المجاورة بمكة ما ورد من أحاديث نبوية شريفة نذكر منها:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ سأل الله تعالى عما لأهل بقيع الغرقد؟ يقصد مدافن موتى المدينة المنورة!! فقال الله عز وجل لهم الجنة فقال ﷺ يا رب فما لأهل المعلاة؟ (مقابر أهل مكة) فقال الله عز وجل: يا محمد سألتني عن جوارك فلا تسألني عن جواري^(٢) فطوبى لمن فاز بهذا الجوار.

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٨ وص ١٥٩ باب فضل المجاورة لمكة والموت بها.

(٢) الإمام محمد بن إسحاق الخوارزمي / إثبات الترغيب والتشويق إلى تاريخ المساجد الثلاثة

والبيت التعتيق / دار الكتب / بيروت / ١٤٢٠ هـ ص ٢٥٣

روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:
[من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من
الأمين]^(١).

فلا عجب أخي القاري الكريم أن تكون مكة المكرمة مهوى الأفئدة
ومجمع الوفود وتوقان النفوس مطمع لكل إنسان مسلم يتوق لمجاورة
بيت الله العتيق.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
(من أدركه شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر كتب الله له
مائة ألف شهر رمضان بغير مكه وكتب له كل يوم حسنة وكل ليلة حسنة
وكل يوم عتق رقبة وكل ليلة عتق رقبة وكل يوم حملان فرس في سبيل الله
وكل ليلة حملان فرس في سبيل الله تعالى).

قال الخزاعي:

اسحاق حدثنا عن ابن أبي عمر قال حدثنا عن عبدالرحيم بن زيد
بإسناده مثله.

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ / ص ١٦٣ باب ما جاء في الموت بمكة وانظر أيضاً أحمد بن
عثمان المزيد مكة المكرمة وما لها من الفضائل والخصائص والحرمة / مطبعة الرئاسة العامة
للحرمين / إدارة التوجيه والإرشاد ١٤٣٧ هـ ص ٦ / ٧

وعن مجاهد قال:

- نافلة الرجل في بيته خير له من نافلته في المسجد إلا في المسجد الحرام^(١).
وعن أبي عمرو الشيباني قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه [ما
لأمرأه أفضل من صلاتها في بيتها إلا في المسجد الحرام] ^(٢).
عدد ابن الجوزي أسباب توقان النفوس إلى مكة بالآتي:
● الأول: من تكون وطناً له فيخرج عنها فيتوق إلى وطنه.
● الثاني: من تذوق في تردده إليها حلاوة ربح الدنيا فذاك يتوق إلى الربح
لا إلى مكة.
● الثالث: من يكون محصوراً في بلده فيحب النزهة والفرجة.
● الرابع: من ييطن في نفسه الرياء ويخفيه حتى لا يحس به فهو يحب قول
الناس: قد حج فلان وتسميته بالحاج.
● الخامس: من يعلم فضل الحج والعمرة فيتوق إلى الله عز وجل وهذا
هو المؤمن.

(١) سنن ابن ماجه الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد الربيعي / دار السلام / الرياض / الطبعة
الثالثة / ١٤٢١هـ أبواب المناسك ص ٣١١٧ و ص ٦٧١ وانظر أيضاً عاتق بن غيث
البلادي / فضائل مكة وحرمة البيت الحرام، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، الطبعة الثانية،
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ١٣٩.

(٢) الإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبه / (المصنف) شركة دار القبله / مؤسسة علوم
القرآن / الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ص ٢٠١ ج ٥ كتاب الصلاة ٧٦٩٧.

● السادس: توقان عام ليس له سبب من الأسباب المتقدمة وسببه دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام حين قال: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليه) ^(١).

قال ابن عباس: تحن إليه.

قال النبي ﷺ: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدنية وليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق) ^(٢).



(١) أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن / باب توقان النفوس إلى مكة / دار الراية الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ص ٩٩

(٢) الإمام البخاري (الحافظ أبي عبدالله محمد إسماعيل) صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ١٤٢٨ هـ ص ١٤٨، باب فضائل المدينة (١٨٨١).

الكعبة المشرفة

الكعبة المشرفة أول بيت وضعه الله للناس على الأرض.. يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثراتهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى الله عنهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه^(١) قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾^(٢) أي بتعظيمه لدينهم ودنياهم حيث تحط الأوزار وتحصل العطايا الجزيلة^(٣) قال حماد بن سلمة رحمه الله: (الناظر للكعبة كالمجتهد في العبادة في غيرها من البلاد) وعن عطاء رحمه الله أنه قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول (النظر إلى الكعبة محض الإيمان)^(٤) لذلك يستحب للزائر الكريم إذا عاين الكعبة الشريفة حال وصوله أن يهلل ثلاثاً ويكبر ثلاثاً ثم يقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أعوذ برب هذا البيت من الكفر والفقر ومن عذاب القبر وضيق الصدر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم زد بيتك تشريفاً وتكريماً

(١) عبدالرحمن السعدي / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنام / دار الهيثم / الطبعة الأولى / ١٤٣٠ هـ ص ١٣١

(٢) سورة المائدة آية ٩٧

(٣) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٢٢٣

(٤) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ٩٨ وانظر باب ما جاء في الرحمة التي تنزل على أهل الطواف وفضل النظر إلى البيت ج ١ ص ٥٠١

وتعظيماً ومهابة ورفعة وبراً^(١).

اقتداء بهدي النبي ﷺ في ذلك وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال:
كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى البيت قال: (اللهم أنت السلام ومنك السلام
فحينا ربنا بالسلام)^(٢).

والكعبة المشرفة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين في مشارق الأرض
ومغربها هي على شكل حجرة كبيرة مرتفعة البناء يبلغ ارتفاعها على وجه
التقريب خمسة عشر متراً^(٣) ويرجع تسميتها بالكعبة لأنها مكعبة على حلقة
الكعب ومربعة فيقال: [برد الكعب إذا طوى مربعاً]^(٤) ونظراً لكونها
مربعة فقد كان الناس في الجاهلية يبنون بيوتهم مدورة احتراماً وتعظيماً
لشأن الكعبة ويتحاشون أن يبنوها مربعة أو مكعبة فلا بيت في الأرض
ينبغي أن يشبهها ولا يعلوها ارتفاعاً.. وقد ذكر بعض المكيين أمثال
الأزرقى وابن ظهيرة وهما من الأسر المعروفة في مكة والتي اشتهرت
بالعلم والتدوين في أخبار مكة: أن أول من بنى بيتاً مربعاً هو حميد بن

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٦.

(٢) البيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي / السنن الكبرى تحقيق محمد عبدالقادر
عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢١ هـ ج ٥ ص ١١٨.

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٦.

(٤) المبارك فوري / تاريخ مكة المكرمة / مرجع سابق ص ٢٠.

زهير فقالت قريش [أربع حميد بن زهير بيتاً إما حياة وإما موتاً^(١)].

وذكر أيضاً أن شبيهه بن عثمان سادن الكعبة كان يشرف بنفسه على ذلك فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه ونقل عن جده عن يوسف بن ماهك أنه قال: ((كنت جالساً مع عبدالله بن عمرو بن العاص في ناحية المسجد الحرام فإذا هو قد نظر إلى بيت على جبل أبي قبيس مشرف على الكعبة فقال: أرايت ذلك؟ قلت نعم فقال: إذا رأيت بيوت مكة قد علت أخشبيها كذا وفجرت بطونها أنهار فقد أظف الأمر أي قرب^(٢))).

وذكر أن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب رحمه الله لما بنى داره التي بمكة على الصيارفه حيال المسجد الحرام أمر القوم أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة إعظاماً لها^(٣).

وللكعبة المشرفة أسماء عدة فكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى، كما قيل في الأثر فمن أسمائها «البيت العتيق» لأن الله أعتقه من الجبابة روى عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله (إنما سمي

(١) الأزرقى / مصدر سابق ص ٢٧٨

(٢) ابن ظهيره / الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق علي عمر

مكتبة الثقافة، القاهرة، طبعة ١٤٣٤هـ / ٢٠١١م ص ٣١

(٣) نفس المصدر ص ٣٢

البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جباراً^(١) وقيل لأنه أعتق من الغرق أيام الطوفان^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٣).

وقيل أيضاً لأنه لم يملك لأحد السلاطين أو الملوك قط ولم يجر عليه ملك لأحد من خلق الله تعالى منذ أن بناه أبو الأنبياء آدم عليه السلام والأرجح من جميع الأقوال السابقة فلأن الله دائماً ما يعتق فيه رقاب المؤمنين الطائفين المعتكفين والركع السجود^(٤) في الأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك كل عام.

وتسمى أيضاً «بكة» لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء، وذكر بعض العلماء أن بكة هي موضع البيت و «مكة» اسم القرية والحرم كله. قال ابن جريج رحمه الله: «إنما سميت بكه لأنها تبك الناس بأقدامهم أمام الكعبة»^(٥).

(١) الحافظ الترمذي / أبي عيسى محمد بن عيسى / جامع الترمذي (أبواب تفسير القرآن سورة

الحج) دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ص ٣١٧٠ وانظر أيضاً المبارك

فوري / مرجع سابق ص ٢٠ (تاريخ مكة)

(٢) عبد السلام هارون / مرجع سابق ص ٢٢٠

(٣) سورة الحج آية ٢٩

(٤) محمود أحمد الدوسري، الكعبة المشرفة، تعريفها - أسماؤها - بناؤها - فضائلها -

خصائصها - أحكامها، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ ص ٢٢

(٥) الأزرق / مصدر سابق ص ٢٧٨

وذلك عندما يختلط بعضهم ببعض أثناء الطواف حولها في سكية ووقار خاشعين لله متذللين له بالدعاء رجاء الإجابة.

ومما ورد من أسمائها أيضاً قادساً ونادراً وأم رحم، وأم القرى، وصلاح، وكوثي واليابسة^(١).

وهي أسماء غير شائعة بين الناس بيد أن العلامة المكي أبي عبدالله الأزرقى ذكرها في كتابه أخبار مكة وفيما يبدو فإن العلماء في عصره كانوا يحبون أن يتفردوا بتسميتها بهذه الأسماء تشريفاً وتعظيماً.

ومما لا شك فيه فإن للكعبة فضل كبير ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم في غير ما آية وكذلك بيته السنة النبوية الشريفة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا البيت دعامة الإسلام، ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله عز وجل أن قبضه أن يدخله الجنة.. وإن رده أن يرده بأجر وغنيمة).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولفظه: (إن الله ينزل في كل ليلة ويوم مائة وعشرين رحمة ينزل على هذا البيت ستون

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٢٧٩

(٢) سورة آل عمران آية ٩٦

لِلطَائِفِينَ وَأَرْبَعُونَ لِلْمَصْلِينَ وَعِشْرُونَ لِلنَّاطِرِينَ). وفي رواية (أربعون للعاكفين بدل المصلين)^(١).

وأما ما جاء في كتب التاريخ والسير عن بداية بنائها وأول من بناها وقصص بنائها عبر العصور:

فقد اختلف المؤرخين والمفسرين في بداية بنائها وتاريخه ومما لا ريب فيه أن الكعبة بيت الله الحرام في الأرض قد أمر الله تعالى نبيه وخليله إبراهيم ببنائها وهذا الرأي ارتضاه معظم محققي كتب التاريخ القديمة إلا أن نفرًا من المؤرخين والمفسرين قدموا لنا روايات تاريخية ترجع ببناء الكعبة إلى ما قبل إبراهيم عليه السلام بآلاف السنين^(٢)، بل أن البعض يذهب إلى أنها قد بنيت قبل أن يبرأ الله الأرض نفسها وهكذا وجدت الدنيا.

فإذا نظرنا إلى ما كتبه المؤرخ د/ محمد بيومي مهران في كتابه دراسات تاريخية من القرآن الكريم وجدناه يعيد بناء الكعبة إلى الملائكة قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام بألفي سنة ويستدل على ذلك بما ورد في المصادر الإسرائيلية القديمة بأن الملائكة قد خاطبت آدم عليه السلام عند حجه إلى البيت الحرام وبلسان عربي مبين قائلة له: (بر حجك يا آدم فقد حججنا

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٧٤ (باب فضائل مكة) وانظر أيضاً أخبار مكة للأزرقي / باب فضل الطواف بالكعبة ج ١ ص ٤٩٢

(٢) د/ محمد بيومي مهران / دراسات تاريخية من القرآن الكريم / مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ١٨٣.

هذا البيت قبلك بألفي عام^(١).

ويخالفه في الرأي العلامة والمؤرخ الإسلامي ابن كثير رحمه الله في كتابه المشهور البداية والنهاية فقد نفى فيه بنائها قبل بناء إبراهيم عليه السلام^(٢) مع إثباته رحمه الله في مصدر آخر له بنائها في عهد آدم عليه السلام مستدلاً بما ورد في رواية زيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله عن عمرو بن العاص رض الله عنه مرفوعاً: (بعث الله جبريل عليه السلام إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة^(٣) فخط لهما جبريل عليه السلام فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء فنودي من تحته حسبك يا آدم) فلما اكتمل لأدم عليه السلام بناء الكعبة أوحى الله إليه أن يطوف حوله وقال له: (أنت أول الناس في الأرض.. وهذا أول بيت فيها) ثم تناسخت القرون حتى حجة نوح عليه السلام ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم عليه السلام القواعد^(٤).

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٢) ابن كثير / البداية والنهاية / دار العبيكان / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ ج ١ ص ١٥٣

(٣) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٨٢ وانظر الفاسي / مصدر سابق (الباب السابع في أخبار عمارة الكعبة) ج ١ ص ١٧٦

(٤) علي بن تاج الدين بن تقي الدين البخاري / منافع الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم تحقيق د/ جميل عبدالله محمد المصري / جامعة أم القرى، مكة المكرمة / ج ١ / الطبعة الأولى / ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م / ص ٤٦٢

وروى أيضاً عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قصة بناء الكعبة أنه قال: (لما أهبط الله آدم عليه السلام كان معه ياقوته حمراء مخوفة لها أربعة أركان بيض هبط بها من الجنة.. وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته: فطأ الله عز وجل منه إلى ستين ذراعاً فقال: يا رب ما لي لا أسمع أصوات الملائكة؟ فقال عز وجل: خطيئتك يا آدم ولكن أذهب فأبن لي بيتاً وطف به وأذكرني عنده وحوله كما رأيت الملائكة تصنع حول العرش) فطوى الله لأدم الأرض وما وضع قدمه بموضع في الأرض إلا صارت عمراناً وبركة.. حتى انتهى إلى مكة فضرب له جبريل عليه السلام بجناحه الأرض فأبرز عن أصل ثابت في الأرض السفلى فوضعت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق بحمل الصخرة منها ثلاثون رجلاً منا. حتى استوى على الأرض ووضع الياقوتة على ذلك الأساس^(١) فكان ذلك البناء الأول للكعبة على مر التاريخ.

ويضيف العلامة المكي أبي الوليد الأزرقى مقوله للشيخ أبي القاسم السهيلي رحمه الله قال فيها: (إن بعد موت آدم عليه السلام قام أحد أحفاده وهو - شيث عليه السلام - بإعادة بناء الكعبة فبناها بالطين والحجارة وكان هو أول من وضع لها باباً فلم يزل معموراً يعمرونه بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى أظهر لإبراهيم عليه

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٦

السلام^(١) يوم أمره الله ببناء الكعبة من جديد.

يقول الإمام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في ذلك: (ولبث إبراهيم عليه السلام ما شاء أن يلبث ثم جاء فوجد إسماعيل عليه السلام قاعداً تحت الدوحة التي بناحية البئر يبري نبلاً أو نبالاً له فسلم عليه ونزل فقعد معه وقال له إبراهيم عليه السلام: (أمرني ربي أن أبني له بيتاً فقال إسماعيل عليه السلام: فأين؟ فأشار إلى أكمة مرتفعة عن ما حولها)^(٢).

يضيف العلامة المؤرخ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: (أن الله بعث له ريحاً يقال لها «الخنزج» لها جناحان ورأس في صورة حية.. كنست لهما ما حول الأكمة حتى ظهر الأساس الذي عليه بناء آدم عليه السلام ثم أتبعها بالمعاول يحفران^(٣)).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤). وكان إسماعيل عليه السلام يحضر لأبيه الحجارة وإبراهيم عليه السلام يرصها وكان كلما ارتفع عليه البناء شق عليه تناوله فقرب إليه إسماعيل عليه السلام حجراً يقوم عليه فيبلغ المدى

(١) نفس المصدر ج ١ ص ١٧٠

(٢) الأزرقى مصدر سابق ج ١ ص ٢٨

(٣) ابن كثير / مصدر سابق ج ١ ص ١٥٣ (البداية والنهاية)

(٤) سورة البقرة آية ١٢٧

الذي يمكنه أن يبلغه^(١) حتى أن قدمه غاصت في الحجر حافية غير منتعله بفعل الرطوبة والطين^(٢) وكان هذا البناء بناء قليل الارتفاع واسع العرض مدور من جهة حجر إسماعيل عليه السلام^(٣) غير مسقوف^(٤) واستمر هذا البناء مدة طويلة حتى جاء زمن العماليق وجرهم فأعادوا بنائها واستمر بنائهم هذا إلى ما قبل الإسلام بقليل حين قامت قريش بإعادة بنائها من مال حلال لا ربا فيه وسبب البناء حسب ما رواه ابن ظهيرة القرشي^(٥) في الجامع اللطيف قال: (روي أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرها فاحترقت كسوتها وكانت ركاماً بعضها فوق بعض فحصل في الأحجار تصدع ووهن ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضاً فجاء سيل عظيم ودخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت لذلك قريش فزعاً كبيراً وهابوا هدمها وخافوا أن مسوها أن تنزل عليهم اللعنة على تلك الحال وبينما هم كذلك اذ سمعوا بأن سفينة من الروم قد انكسرت وتحطمت في بحر الشعيبة قرب مكة فذهبوا إليها واشتروا خشبها وأذنوا لبحارتها أن

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ٢٦

(٢) ابن كثير / مصدر سابق ج ١ ص ١٥٤ (البداية والنهاية)

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ٢١

(٤) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٢٤

(٥) أسرة آل ظهيرة القرشية أسرة مكية اشتهرت بالتعليم في الحرم المكي في القرنين الخامس

والسادس الهجريين انظر أبو هشام عبدالله بن صديق / الأسر القرشية أعيان مكة المحمية

جدة / المملكة العربية السعودية / تهامة للنشر / الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ص ٣٣

يدخلوا مكة فيبيعوا مما معهم من المتاع على أن لا يعاشرهم وكان بالسفينة نجاراً يقال له (باقوم) استأجروه ليبنى لهم سقف الكعبة ثم صعد الوليد إلى سطح الكعبة وبدأ في هدمها ثم تبعته قريشاً فبنوها بحجارة ورفعوها ثمانية عشر ذراعاً في الشمال وقيل عشرين ذراعاً وكان الرسول ﷺ يرفع معهم الحجارة وعليه غرة قد ضاقت فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي أن (يا محمد أستر عورتك) ولم ير عريانا بعدها^(١) وفي هذا البناء قصرت قريش مساحة الكعبة عن بناء إبراهيم عليه السلام من جهة الشمال مما يلي الشام لقلة المال الذي انفقته للبناء آنذاك.

ففي الصحيحين من حديث مالك بن شهاب عن سالم أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أخبر ابن عمر رضي الله عنه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (ألم تري إلى قومك حين بنو الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم فقال: لولا حدثان قومك بجاهلية لا نفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولا دخلت الحجر فيها)^(٢) ويؤكد علماء

(١) ابن ظهيره / الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف / تحقيق علي عمر / مكتبة الثقافة القاهرة / طبعة ١٤٣٢هـ.

(٢) ابن كثير / مصدر سابق جـ ص ١٥٩ (البداية والنهاية) وانظر أيضاً صحيح البخاري (للإمام أبي عبدالله محمد إسماعيل) كتاب الأنبياء ٣٣٦٨ / دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ / ص ٨٧٠ و ١٥٨ وانظر أيضاً صحيح مسلم ١٣٣٣

السنة أن هذا البناء ثابت في كتب السنة الصحيحة، حتى أن النبي ﷺ حضره وهو ابن الخامسة والثلاثين^(١).

ولما جاء الله بالدين الإسلامي بقي بناء قريش على حاله زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وذلك بسبب قلة الأموال في خزينة بيت مال المسلمين وانشغالهم بتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وعندما جاء عهد الدولة الأموية حدث للكعبة تصدعات وتوهن جدارها بسبب السيول والأمطار بالإضافة إلى ما أصابها من حريق وهدم ناجم عن آثار المنجنيق الذي رمي به عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أثناء تحصنه فيها سنة ٦٥ هـ من الجيش الأموي ولما انتهى ذلك الحصار عقب موت يزيد بن معاوية رحمه الله قام عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بإعادة بنائها لإحساسه بأنه كان سبباً في تصدعها رغم رفض أهل مكة لذلك إلا أنه أصرّ على إعادة ترميمها وبنائها وقال لهم: ((والله لا يرضى أحدكم لبيتها ما أصاب الكعبة))^(٢) وقيل أن السبب الرئيسي وراء إصراره لإعادة بناء الكعبة ما حدثته به خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من أن الرسول ﷺ كان يريد ذلك ولكنه لم يستطع^(٣) لقلة المال آنذاك وبعد جدل كبير من

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ١٥٩

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٢٩٨

(٣) الحافظ جلال الدين السيوطي / تاريخ الخلفاء / دار الفكر للطباعة / بيروت / لبنان

ابن الزبير وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما وعدد من الصحابة في مكة. استقر رأي ابن الزبير على هدمها وإعادة بنائها فلما أصبح أرسل إلى عبيد بن عمير ف قيل له هو نائم فأرسل إليه وأيقظه وقال له ما بلغك أن النبي ﷺ قال: ((أن الأرض لتضج إلى الله تعالى من نومه العلماء في الضحى))^(١) وقيل أن ابن عباس قال له عندها: إن كنت هادمها فلا تدع الناس بلا قبلة فقال جابر بن عبدالله رضي الله عنه صلوا إلى موضعها فهي القبلة ثم أمر ابن الزبير بموضعها فستر ووضع الحجر الأسود في خرقه من حرير حفظها في تابوت عنده وجعل حلي الكعبة وما وجد فيها من ثياب وطيب^(٢) عند الحجبه في خزانة الكعبة^(٣).

وذكر المؤرخون أنه أعاد استخدام الحجارة السابقة في بنائه الجديد بعد أن ثبتها بالرصاص المذاب المخلوط بالورس، وجعل على أساطين الكعبة صفائح الذهب وصنع لها مفتاح من ذهب وعمل لها بابين أحدهما للدخول والآخر للخروج مخالفاً بذلك بناء قريش السابق ليحقق ما أشار به الرسول ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها السابق. ولما جاء الحجاج

(١) المأوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب) / الأحكام السلطانية والولايات العربية / الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ص ٢٠ و ص ٢٠٧

(٢) محمد الخضري بك / تاريخ الأمم الإسلامية / الدولة الأموية / المكتبة التجارية الكبرى / مصر ١٩٦٩ ص ١٦١

(٣) أبو الحسن الماوردي / مصدر سابق ص ٢٠٤

بن يوسف الثقفي ليحاصر ابن الزبير للمرة الثانية ورأى ما عملة من تجديد في الكعبة كتب إلى الخليفة الأموي الجديد عبد الملك بن مروان في دمشق عن ذلك وما زاده ابن الزبير في الكعبة فأمر عبد الملك بهدم ما فعله ابن الزبير خشية أن يكون من اجتهاده وتصرفه ولم يكن يعلم بحديث عائشة رضي الله عنها آنذاك ولما علم بعد ذلك قيل أنه ندم ندماً شديداً^(١) وبقي هذا البناء الأموي حتى زمن الخليفة العباسي محمد المهدي رحمه الله الذي قيل عنه أنه استشار الإمام مالك ابن أنس المحدث المشهور رحمه الله في هدمها وإعادة بنائها على ما أراده ابن الزبير رضي الله عنه ولكنه نصحه بعدم هدمها وابقائها على ما هي عليه خشية أن يتخذ الملوك ذلك ذريعة في البناء كيفما شاءوا^(٢).

ويضيف الأستاذ / رشدي صالح محقق مخطوط شفاء الغرام للفاي في حاشية الكتاب بأن للكعبة بناء آخر في عهد السلطان العثماني أحمد الأول رحمه الله سنة ١٠١٩ هـ وسبب هذا البناء انهيار أجزاء من سقفها نتيجة السيل والمطر الذي حدث في ذلك العام مما أدى إلى تسرب المياه من سقفها فتصدعت جدرانها لذلك تكفل السلطان أحمد العثماني بتدبير وإصلاح تلك التصدعات في السقف فأحضر لها الأدوات اللازمة والعمال

(١) ابن كثير / مصدر سابق ج ١ ص ١٥٥

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

بحراً عبر مينائي جده والقنفذة (الشعبية حالياً)^(١) وأضاف الدكتور محمد الياس عبدالغني في كتابه تاريخ مكة القديم والحديث أن السلطان مراد الرابع العثماني (١٠٣٢هـ / ١٠٤٩هـ) جدد بناء الكعبة أيضاً في سنة ١٠٤٠هـ جراء التصدعات التي تتابها بين الحين والآخر من أثر السيول والأمطار فيما يذكر المؤرخين المكيين أن آخر بناء للكعبة في العصر الحديث تم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله (١٤٠٢هـ / ١٤٢٦هـ) حيث قام بتجديد بنائها عام ١٤١٧هـ فقبل أنه أمر المهندسين المشرفين على بنائها بالكشف على حالة أساس الكعبة أولاً في أسفل منسوب أرضية المطاف بعمق نحو ٤٠ متراً ليطمأن رحمه الله على سلامته ومدى تحمله عبر كل هذه السنين فتين للمهندسين أن أحجار الأساس متداخلة تداخلاً متيناً وعجيباً وبدون وجود مونه تربط بينها لتثبتها وهي في شكلها القائم تماثل شكل أعناق الإبل وحالتها ممتازة وصالحة للتأسيس بدون أي معالجة جديدة فما أعظمها من معجزة خالده فتم البناء عليها وبحالتها السابقة مع تقوية بعض الأساسات التي استحدثت أثناء الترميمات السابقة كما قام رحمه الله بإصلاح الشاذروان وتغيير سقف الكعبة بسقف جديد أكثر متانة يسمح بمرور مياه الأمطار حال هطولها عبر ميزابه المذهب في جهة الحجر وتم في هذا البناء أيضاً إقامة سلم داخلي

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ / ص ٣٥٦

من خمسين درجة مع تبليط جدران الكعبة الداخلية برخام خاص أخضر اللون جلب لها خصيصاً من خارج المملكة العربية السعودية وقد نالت مجموعة ابن لادن شرف العمل في هذا البناء والتي جعلت ارتفاع الكعبة ١٤م وطول جدارها الشرقي من جهة الملتزم ١٢, ٨٤م وطول جدارها الشمالي من جهة الحجر ١١, ٢٨م وطول جدارها الجنوبي بين الركن اليماني والحجر الأسود ١٢, ١١م وطول جدارها الغربي ١١, ٥٢م^(١).

وقد قامت الشركة بحجب عملية البناء بستار من أخشاب ذات لون أبيض طيلة مدة البناء ليتسنى لهم العمل دون إزعاج من متابعات الطائفين والزوار وقد طفت بنفسي حول ذلك البناء المكون من أخشاب ذات لون أبيض.

أخي القارئ الكريم:

سردنا فيما سبق ما ورد في كتب المؤرخين القدماء والمحدثين ملخص القصص الواردة في تاريخ بنائها منذ عهد البناء الأول قبل خلق آدم عليه السلام بألفي سنة على يد الملائكة إلى أن من الله على هذه الدولة المباركة بشرف تجديد هذا البناء في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يرحمه الله ١٤١٧هـ مع التحفظ الشديد من لدن خادم الحرمين على أبقاء أساساتها الأولى على حالتها الطبيعية تيمناً وبركة والتي لا يستطيع على حملها ثلاثين رجلاً في العصر الحديث.

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة

وأما ما ورد في تلك المصادر والمراجع عن طريقة الصلاة حول الكعبة وكيفيتها عبر الزمن منذ أن شرعها الله على عباده فقد كان الناس يحرصون على الصلاة في الحطيم وما حوله لفضله وكونه في واجهة الكعبة وفي الحجر تحت الميزاب ولأن الرسول ﷺ قد حث على ذلك في بعض أحاديثه وحسبنا في ذلك ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومع كثرة أعداد المسلمين بعد فتح مكة في السنة التاسعة للهجرة، أديرت الصفوف حول الكعبة كما هو الحال اليوم يتخللها طرق للمارة بينما يتقدم هذه الصفوف مساحة كافية لأداء الطواف حول الكعبة مع منع النساء من الطواف خاصة في أوقات الصلوات المفروضة ويذكر المؤرخون المكيين أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رحمه الله كان هو أول من أمر بمنع النساء من الطواف وقت الصلاة وأحكم إدارة الصفوف حول الكعبة مع ترك مساحات تمكن الطائفين من المرور خلالها وذكروا أيضاً بأنه كان يخصص خادماً لتبخير صحن المطاف بالبخور الذي كان يرسله لهم من دمشق^(١) فيما ذهب آخرون بأن أول من أدار الصفوف حول الكعبة وبترتيب على شكل دائري هو والي الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على مكة الأمير خالد بن عبد الله القسري، وذهب البعض الآخر إلى أنه

(١) عمر سليمان العقيلي / مرجع سابق ص ٢٢٠

الصحابي عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أثناء خلافته^(١).

والأصح من هذه الثلاثة الأقوال بأنه يمكن أن يكونوا جميعاً قد قاموا بذلك لأن فترة حكمهم كانت متقاربة زمنياً.

وأعلم أخي القارئ الكريم أن للكعبة المشرفة حرسها الله آيات بينات خصّها الله بها دون غيرها من المشاعر الأخرى لتبقى هذه الآيات معجزة خالدة مدى الدهر وبرهان إلهي على عظم مكانتها عنده وقدسيته نذكر منها:
● أولاً: بقاء أساسات بنائها الحالي طيلة هذه الفترة الزمنية الطويلة منذ ما قبل بناء آدم عليه السلام بألفى سنة وهو لا يقتضي أن يبقى هذه المدة في أي بناء أثري آخر بالعالم أجمع.

● ثانياً: أن الكعبة نراها دائماً في كل سنة هجرية جديدة تفتح لغسلها من الداخل بأنواع الطيب والعود والورد الفاخر يوم عيد الحج بحضرة خلق كثير يدخلون من بابها متزاحمين وتسعهم جميعاً رغم صغر مساحة حجمها الداخلي ولتبقى رائحة الطيب فيها سنة كاملة دون نقصان بفضل الله تعالى ورحمته.

● ثالثاً: أن الطائر من طيور البيت الحرام لا يعلوا الكعبة صحيحاً ويعلوه مريضاً طلباً للشفاء^(٢).

(١) الأزرقى: مصدر سابق ج ٢ ص ٢٢

(٢) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٣٤ / ٤١

● رابعاً: أن حمام الحرم لا يوضع قذارته على جدران الكعبة بأذن الله.

● خامساً: أن الكعبة لم تخل يوماً من الأيام طيلة مدة بقائها في مكة منذ أن بنيت من طائف يطوف حولها سواء كان من الأنس أو من الجن أو من الملائكة^(١).

● سادساً: تكفل الله عز وجل بحمايتها ممن أراد بها سوء على مر الزمان والتاريخ، ومن ذلك محاولات الملك تبع أسعد أحد ملوك اليمن الذي كان يريد سرقة الكعبة المشرفة وكذلك حسان بن عبدكلال من ملوك اليمن أيضاً والذي أراد نقل الكعبة إلى اليمن ومن قبيلة غطفان عندما بنت كعبة مماثلة لها ولكن الله صرفهم عن مكة وكذلك قصة الملك أبرهة الأشرم الحبشي الذي ورد ذكرها في سورة الفيل^(٢).

● سابعاً: أن أرضها المقامة عليها الكعبة المشرفة لم تملك لأحد من الأفراد أو السلاطين أو الملوك خلاف الأرض التي حولها فلا عجب أن تكون الكعبة أفضل البقاع وأجلها اختصها الله بتشريفه وجعلها موطناً خاصاً لعبادته خصها بتضاعف الثواب ونمو الأجر لطفاً لعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم^(٣) حين تثقل فيها موازين أعمالهم.

(١) الفاسي / نفس المصدر جـ ١ ص ٣٠٩

(٢) د/ محمد بيومي مهران مرجع سابق ص ٢١١ و ص ٢١٧

(٣) ابن خلدون / مقدمة ابن خلدون / الطبعة الرابعة / ١٩٨١م / بيروت / لبنان / دار القلم

الحَرَمُ الْمَكِّي

الْحُرْمُ: يأتي بالكسر الحرام أي حُرْمٌ عليه و (حُرْمًا) بالضم، وبالفتح حَرَامًا كسحاب بمعنى حرمه الله تحريمًا (والحَرَمُ، والمُحَرَّمُ) حُرْمُ مكة وهو حَرْمُ الله، وحرَمَ رسوله وهو ما أطاف بمكة من جوانبها^(١) والْحَرَمَانُ هما مكة والمدينة ويأتي بالتشديد أَحَرَّم أي دخل فيه في حرمة لا تهتك، فالحاج والمعتمر يدخلان في عمل حرم عليه به ما كان حلالاً^(٢) في غيره من المواضع والبقاع والحرمة هنا ما لا يحل انتهاكه والإحرام بمعنى التحريم فيقال أحرمه وحرمه^(٣) قال تعالى ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤). وقال ﷺ (أن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض)^(٥). قال الإمام مجاهد رحمه الله (أن هذا الحرم حرم حذاؤه من السموات السبع والأرضين السبع)، وقال قتاده رحمه الله (أن الحرم حرم حياله إلى العرش)^(٦).

(١) أبو الحسن الماوردي / مصدر سابق ص ٢٠٨

(٢) الفيروز أبادي / مرجع سابق ص ١٠٩٢

(٣) محمد الرازي / مختار الصحاح، المركز العربي للثقافة والعلوم / بيروت / لبنان ص ١٠٦

(٤) سورة القصص آية ٥٧

(٥) حديث متفق عليه أنظر أحمد بن عثمان المزيدي / فضائل المسجد الحرام ص ٨ وانظر الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٣٩ وصحيح البخاري جزاء الصيد ١٨٣٤

(٦) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ١٠٧ وانظر أيضاً الأزرقى / مصدر سابق باب تحريم الحرم وحدوده ج ٢ ص ٦٧٥

وفيا روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كنت أطيب رسول الله ﷺ حين يحرم ولحله قبل أن يطوف البيت) أي عند إحرامه^(١).
(وحرّم مكة) أو ما يعرف (بالحرم المكي) هو ما أحاط بالكعبة وأطاف بها من جوانبها فقد جعل الله حكمه من حكم الكعبة في الحرمة تشريفاً لها. حين جعله المكان الوحيد على وجه الأرض والذي اتفقت الأمة على حرّمته^(٢).

روي عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: ((لما عقر ثمود الناقة فأخذتهم الصيحة لم يبق تحت أديم السماء إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عز وجل فمنعه الحرم فقالوا من هو يا رسول الله: قال ثقيف أو أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه)) أخرجه أحمد في مسنده أبو حاتم وابن حبان في صحيحه^(٣).

وروى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في حرم الله ومبتدع في الإسلام سنة

(١) صحيح البخاري / مصدر سابق ١٥٣٩ ص ٤٩٥

(٢) عبدالعزيز بن محمد الحويطان، أحكام الحرم المكي الشرعية وكالة المطبوعات للبحث العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ ص ٦٧.

(٣) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ما جاء في تفسير صورة الأعراف ج ٢ ص ٣٦٦

الجاهلية ومطلب دم أمرئ بغير حق ليريق دمه^(١).

ويعد هذا الحرم المحيط بالكعبة بمثل السياج الذي يفصله عن منطقة الحل وبمعنى آخر فإن المسار العام المحيط بالحرم يمثل الحد المكاني الفاصل بين الحل والحرمه بما يتضمنه من أحكام خاصة فمن العبادات والمعاملات والجنايات لمن هم بداخل الحرم أو خارجه من المقيمين والوافدين^(٢).

وقد اختلف معظم العلماء المسلمين حول تاريخ وبداية حرمة الحرم المكي في مكة وما حولها وهل صارت حرماً آمناً بعد سؤال إبراهيم عليه السلام لربه أم كانت قبل ذلك فهم في ذلك على قولين:

◆ **القول الأول:** أنها لم تزل حرماً آمناً قبل سؤال إبراهيم عليه السلام من الجبابرة والتمسطين ومن الخسوف والزلازل وإنما سؤال إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعله حرماً آمناً كان من الجذب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات.

◆ **القول الثاني:** أن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد والبقاع في الأرض ثم صارت بدعوته حرماً آمناً حين

(١) صحيح البخاري / مصدر سابق كتاب الديات ٦٨٨٣ ص ١٥٩٥ وانظر أيضاً / وحي الله بن محمد عباس / المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ ص ٦٥.

(٢) د/ خضران بن خضر الشبتي و د/ مسعد بن سعد، أعلام وحدود الحرم المكي الشريف، مركز تاريخ مكة، طبعة ١٤٣٣ هـ ص ١١٠

حرمها^(١).

قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾^(٢).

كما اختلف العلماء أيضاً في علة تحريمه فذهبوا في ذلك إلى عدة أقوال منها:

◆ القول الأول: أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشيطان، فأستعاذ بالله منه فأرسل الله له ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ثم أمرهم الله بالبقاء في موضع انصباب الحرم ليحرسوا آدم من الشياطين فصار ما بينه في جوار الكعبة وبين موقف الملائكة في موضع الأنصباب حرماً آمناً من الشيطان وجنوده.

◆ القول الثاني: أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما وضع الحجر الأسود في الكعبة بعد اكتمال بنائها أضاء له الحجر الأسود يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فحرم الله الحرم من حيث انتهى نور الحجر الأسود.

◆ القول الثالث: أن الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والأرض بعد اكتمال خلقها يوم خلق الخلائق ((أتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتيناك طائعين)) لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ولذلك حرمها الله^(٣)، والله أعلم.

(١) الماوردي / مصدر سابق ص ٢٠٩

(٢) سورة البقرة آية ١٢٦

(٣) الفاسي مصدر سابق ص ٨٥

وبإجماع من أهل العلم فهذه المنطقة المحرمة بغض النظر عن بداية حرمتها قد حضها الله تعالى بأن لا تحل غنائمها ولا يلتقط لقطتها ولا ينفر صيدها ولا يختلى شوكتها أو تقطع شجرها وهي حرم الله وأمنه.

بينما اختلف بعض العلماء في قطع اليابس من شجر الحرم وحشيشه فقال بعضهم أن لا بأس بما أنكسر من الأغصان وانخلع من الشجر بغير فعل آدمي ولا ما سقط من الورق وليس له أخذ ورق الشجر لنهيهِ ﷺ بذلك باستثناء الأذخر لأنه وهو نبات طيب الرائحة معروف عند أهل مكة^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا ينفر صيدها ولا يختلى شوكتها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد) فقال العباس رضي الله عنه إلا الأذخر فأنا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال ﷺ (إلا الأذخر^(٢))، وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول (لا يحل لأحدكم أن يحمل السلاح بمكة) رواه مسلم قال النووي: (هذا النهي إذا لم تكن حاجة وأن كانت جاز)^(٣).

(١) عبدالعزيز محمد الحويطان / مرجع سابق ص ١٤٠ / ١٤٩

(٢) الإمام مسلم (أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري) دار السلام / الرياض م الطبعة الثانية ١٤٢١هـ كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلالها (٣٣٠٥) ص ٥٥٥ طبعة ١٤٣٩هـ (١٣٥٣) ص ١٠٠٣ طبعة ١٤٢١

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج باب النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة ٣٣٧ ص ٥٥٦ وانظر أيضا أحمد عثمان المزيدي / مرجع سابق ص ٩ (فضائل مكة)

وقد خص الله تعالى الحرم المكي بمضاعفة الأجر والثواب الحسنة فيه بعشر أمثالها والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، قال ﷺ (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد) ^(١).

وقال ﷺ: (فضل المسجد الحرام على مسجدي كفضل مسجدي على سائر المساجد) ^(٢).

وبما أنه جل في علاه قد ضاعف الأجر والثواب فإنه أيضاً قد ضاعف الوعيد بالعقاب فجعل السيئة فيه بعشر أمثالها فيما سواه.

لذلك وجب على أئمة المسلمين الإهتمام بتنصيب انصاب الحرم المكي على وجهها الصحيح والاعتناء بها بين الحين والآخر لتعظيم ما عظمه الله أولاً ثم لأن الله جعل فيه الأمان لسائر مخلوقاته الإنسان والطير والحيوان والشجر قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ^(٣) وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ ^(٤).

وقال تعالى على لسان نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ^(٥) فكان هذا الحرم المكي الشريف

(١) صحيح البخاري / مصدر سابق كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة ١١٩٠ ص ٤٢٢

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٣) سورة آل عمران آية ٩٧

(٤) سورة العنكبوت آية ٦٧

(٥) سورة البقرة آية ١٢٦

إجابة من الله تعالى لنبيه الخليل عليه السلام حينها أنزل عليه جبريل عليه السلام ليعلمه حدود الحرم والتي وقف عندها الملائكة امتثالاً لأمر الله زمن آدم عليه السلام ويحدداً معاً أنصابه ولتكون آية للعالمين إلى يوم القيامة فبقيت هذه الأنصاب ثابتة عبر الزمن لم تحرك حتى كان عهد رسول الله ﷺ حينها سخر الله له من قريش إعرابي اسمه (تيم بن أسد الخزاعي) كان على علم بحدودها وأماكنها الصحيحة فحددها له كما أراد الله تعالى ^(١) فعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه عن موسى بن عقبة قال: (عدت قريش على أنصاب الحرم فنزعتها فاشتد ذلك على النبي ﷺ فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا محمد أشتد عليك أن نزع قريش أنصاب الحرم فقال ﷺ: نعم: فقال له جبريل عليه السلام: إنهم سيعيدونها، قال فرأى رجل من هذه القبيلة من قريش يقوم في الناس ويقول: (حرم الله أنجدكم به، ومنعكم، فنزعتم أنصابه، الآن تخطتكم العرب فأصبحوا يتحدثون بذلك في مجالسهم فاعادوها كما كانت، ثم جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ فقال (يا محمد قد أعادوها.. قال ﷺ أفأصابوا يا جبريل قال جبريل عليه السلام: (ما وضعوا فيها نصباً إلا بيد ملك) ^(٢).

(١) الأزرقى / مصدر سابق جـ ١ ص ٨٠

(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ١٣٠ باب ذكر الحرم وكيف حرم

ثم بقيت هذه الأنصاب والأعلام زمناً بعد رسول الله ﷺ فلم تحرك حتى كان عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بعث أربعة من خيار قريش فحدودها وهم محرمه بن نوفل، وسعيد بن يربوع المخزومي، وحويطب بن عبد العزى، وازهر بن يدعوف الزهري.

ثم قام ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه كذلك بتثبيت حدودها بعد أن أمر نفرّاً من قريش بذلك وهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن بن أزرع وجعل على رأسهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه^(١) ثم سار على نهج النبي ﷺ وخلفائه الراشدين خلفاء الدولة الإسلامية بعدهم ومنهم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رحمه الله ثم عبد الملك بن مروان رحمه الله ثم الخليفة العباسي المهدي رحمه الله سنة ١٥٩هـ ثم المقتدر العباسي رحمه الله ثم الخليفة العباسي الراضي رحمه الله حين أمر بعمارة العلمين الكبيرين بالتنعيم في سنة ٣٢٥هـ كذلك أمر الملك المظفر صاحب أربل بإعادة تحديدها وتنصيبها في سنة ٦١٦هـ وكذلك فعل صاحب اليمن سنة ٦٨٣هـ وحددها أيضاً السلطان قايتباي سلطان مصر في عهد المماليك سنة ٨٧٤هـ كما قام السلطان العثماني السلطان أحمد الأول بتحديددها في سنة ١٠٢٣هـ ونهج نهجه السلطان العثماني عبد الحميد الأول بن السلطان محمود الثاني حين أمر بتحديد أعلام التنعيم في سنة ١٢٦٢هـ

(١) خضران وسعود الثبتي / مرجع سابق ١١٢

إضافة إلى أعلام في جده سنة ١٢٦٣هـ^(١) ودائماً ما كان يحرص الخلفاء والسلاطين المسلمين رحمهم الله على العناية بها وتحديثها إذا ما طرأ عليها ما يخل بموقعها بسبب عبث العابثين والمخربين وكانت هذه الأنصاب عبارة عن حجارة مخصصة مبنية على جوانب الطرق الخارجة من مكة^(٢) وعندما جاء العهد السعودي الزاهر قاموا بوضع علامات واضحة جلية للعيان صنعت من حديد مثبت على الأرض بخرسانه مسلحة كتب عليها عبارات بداية الحرم أو نهاية الحرم بعدد من لغات العالم الإسلامي ليتمكن الحجاج من قرأتها ومعرفتها والعمل بمقتضاها.

وأضاف المؤرخان المختصان في هذه الأنصاب خضران وسعود الثبتي بأنه تم في عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله بناء علمان في طريق جده وفي منطقة الأعشاش بالشميسي وبنى علمان آخران في عهد الملك سعود يرحمه الله سنة ١٣٧٧هـ في طريق الطائف السيل كما ذكرا بأن الملك خالد يرحمه الله جدد أعلام أخرى في طريق الطائف جهة عرفه وطريق جده القديم وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يرحمه الله تم إنشاء علمين على مدخل مكة من جهة التنعيم سنة ١٤٠٤هـ وأنشأ أربعة عشر

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٢) عاتق بن غيث البلادي / معجم العالم الجغرافي في السيرة النبوية / دار مكة للنشر والتوزيع

/ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٣٣

علماً جديداً على مداخل مكة الرئيسية في سنة ١٤٢٢ هـ^(١).

ويمكنك أخي القارئ الكريم ملاحظة هذه الحدود بأعلامها الواضحة للحرم المكي في الطرق الرئيسية التالية :

● أولاً: من جهة الغرب: في طريق جدة (الشمسي الآن) الحديدية سابقاً وتبعد عن الكعبة المشرفة اثنين وعشرين كيلو متراً.

● ثانياً: من جهة الجنوب: عند إضاءة لبن في طريق الليث - اليمن وتبعد عن الكعبة المشرفة اثني عشر كيلو متراً.

● ثالثاً: من جهة الشرق: في ضفة وادي عرنة الغربية وتبعد عن الكعبة المشرفة خمسة عشر كيلو متراً.

● رابعاً: من جهة الشمال: في طريق جدة التنعيم وتبعد عن الكعبة المشرفة سبعة كيلو مترات.

● خامساً: من جهة الشمال الشرقي: في طريق الجعرانة بالقرب من (شرائع المجاهدين) وتبعد عن الكعبة المشرفة ستة عشر كيلو متراً^(٢).

وأكد المؤرخان المختصان في حدود الحرم وأنصابه بأن المرحلة النهائية لتحديد هذه الأعلام بدقة وبناء أعلام جديدة لم تنتهي بعد حيث أنه من المتوقع الشروع في إنشاء أعلام جديدة على جميع المداخل الأخرى وعلى

(١) خضران وسعود الثبتي / مرجع سابق ص ١٤٤

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١١

بقية الحدود وعلى قمم الجبال والمرتفعات وغيرها^(١).

علماً بأن هذا المشروع الدقيق يقوم عليه نخبة من العلماء والمؤرخين المختصين من أساتذة جامعة أم القرى بمكة المكرمة خاصة وأن هذا الحرم المكي بحدوده السابقة الذكر الخير فيه ظاهر متصل إلى يوم القيامة، نرى أفئدة الناس تهوي إليه من الأصقاع النائية والأقطار الشاحطة، والطريق إليها ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة، والثمرات تجبي إليه من كل مكان فهي أكثر البلاد نعماً وفاكهة ومنافع ومرافق ومتاجر وخدمات^(٢).



(١) حضران وسعود الشيتي / مرجع سابق ص ١٤٤

(٢) ابن جبير / أبي الحسن محمد بن أحمد: رحلة ابن جبير / مطابع دار الهلال / بيروت / ج ٢

/ ١٩٨٦ م ص ٨٦

الملتزم

الملتزم: هو جزء من جدار الكعبة الشرقي يقع ما بين الحجر الأسود إلى باب الكعبة مقداره مترين ويقال له المدعى والمتعوذ وهو موضع يستجاب فيه الدعاء^(١)، فأقرب ما يكون العبد من ربه عند الملتزم لأنه مقام انكسار بين يدي الرحمن عز وجل^(٢) فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (الملتزم والمدعى والمتعوذ ما بين الحجر والباب). وعنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ما دعا عبد الله تعالى فيه إلا استجاب الله له).

وتعود أهمية الملتزم التاريخية إلى زمن أبو الأنبياء آدم عليه السلام حيث ذكر بعض العلماء أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً حين نزل بمكة ثم صلى قبله باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال: ((اللهم إنك تعلم سريري وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي والرضا بما قدرت وقضيت عليّ)) فأوحى الله إليه: ((أن يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وكففت

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٨ باب ما جاء في الملتزم والقيام في ظهر الكعبة

(٢) ابن القيم الجوزية / مدارك السالكين، تحقيق عامر ياسين، ج ١، دار خزيمة ص ٣٧٤

عليه صنيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجاره كل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة وأن كان لا يريدتها^(١).

وسمي (بالملتزم) لأن المتعوز به يلتزم بيده اليمنى باب الكعبة ويده اليسرى الحجر الأسود ثم يدعو الله بما يريد ملتزماً بهما واضعاً خده وصدره وذراعيه وكفيه على جدار الكعبة حتى يفرغ من دعائه، وعن أبي داود عن عبد الرحمن بن أبي صفوان قال: (فتح رسول الله ﷺ مكة فانطلقت فرأيت رسول الله ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا الركن من الباب إلى الحطيم ووضعوا خدودهم على البيت ورسول الله ﷺ وسطهم^(٢)).

وروي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان يلزم ما بين الركن الأسود والباب وكان يقول ((ما بين الركن والباب يدعى الملتزم لا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله فيه شيئاً إلا أعطاه إياه))^(٣). قال الإمام مجاهد رحمه الله رأيت ابن عباس رحمه الله وهو يستعيد بما بين الركن والباب. وروي عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: (دعوت هنالك بدعاء عند جدار الكعبة فاستجيب لي)

ويستحب في الدعاء عند الملتزم أن يلصق الخدين بالكعبة وأن لا يضع

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٧

(٢) أخرجه أبو داود في سننه / دار السلام / الرياض / ١٤٢٨ هـ ص ١٣٦٣

(٣) سنن ابن ماجه / مصدر سابق ص ٩٨٧

جبهته عليها.

وذكر بعض العلماء ومنهم عمرو بن شعيب عن أبيه أنه قال: (طفت مع عبدالله بن عمرو فلما جئنا دبر الكعبة قلت الا يتعوذ؟ قال أعوذ بالله من النار ثم مضى حتى استلم الحجر فقام بين الركن والباب ثم وضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه بسطا وقال بعض العلماء أنهم راوا أناساً يتعلقون بالبيت^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه (من إلتزم الكعبة ثم دعا استجيب له) فقليل له وأن كانت استلامه واحدة قال: وأن كانت أوشك من برق الخلب^(٢).

وقد ورد عن رسول ﷺ أنه قال: (أمني جبريل عليه السلام عند باب الكعبة مرتين)^(٣).

ومما ورد من الأدعية الماثورة التي يفضل الدعاء بها عند الملتزم:
(اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأولادنا من النار يا ذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والإحسان اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة اللهم إني عبدك وابن عبدك واقف تحت بابك ملتزم بأعتابك متذل بين

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٣ باب ما جاء في الملتزم والقيام في ظهر الكعبة

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣٤٦

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٣٤٩

يديك أرجو رحمتك وأخشى عذابك يا قديم الإحسان اللهم إني أسألك
أن ترفع ذكري وتضع وزري وتصلح أمري وتطهر قلبي وتنور لي في قبري
وتغفر لي ذنبي وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين^(١).



(١) محمد لطفي جمعة / الأيام المبرورة في البقاع المقدسة / عالم الكتب / القاهرة ١٩٩٩م

الحجر الأسود

(الحجر الأسود) هو حجر من أحجار الجنة^(١) أبيض يا قوته مثل النعامة هبط به آدم من الجنة ليستأنس به^(٢) روى الأزرقى رحمه الله أنه عندما أمر الله تعالى آدم ببناء الكعبة - تكفيراً لخطيئته - وصل لموضع هذا الحجر الكريم فوضعه موضعه من الكعبة فأضاء الحجر بإذن الله شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً، فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهى ضوء الحجر وإشراقه من كل جانب^(٣).

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ((المقام والحجر جوهرتان من جواهر الجنة))^(٤).

وأما ما ورد من أحاديث نبوية في فضل الحجر الأسود ومدى أهميته الدينية فهي كثيرة جداً نذكر منها ما روي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:

(الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن سودته خطايا بني آدم)^(٥).

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٥٣

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣١٩

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٢٩ باب ما جاء فضل الركن الأسود

(٤) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٠

(٥) جامع الترمذي، دار السلام، الرياض، ١٤٢٨هـ، ص ١٧٣٤

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أيضاً أن النبي ﷺ أخبره ذات مره أنه قال لعائشة رضي الله عنها وهي تطوف معه بالكعبة - حين أستلم الركن: (لولا ما طبع على هذا الحجر من أرجاس الجاهلية وإنجاسها لا ستشفى به من كل عاهة وإذا لألفى اليوم كهيئته يوم أنزله الله عز وجل، وليعيدنه إلى ما خلقه أول مره وأنه لياقوته بيضاء من يواقيت الجنة ولكن الله سبحانه وتعالى غيره لمعصية العاصين وستر زينتته من الظلمة والأئمة لأنه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء كان بدؤه من الجنة)^(١).

وزاد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى: (لولا ما مسه من أهل الشرك ما مسه ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل) قال عمرو بن العاص رضي الله عنه (ما مسه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ذو عاهة إلا بريء^(٢) من ذنوبه).

وما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (أكثرُوا من استلام هذا الحجر فأنكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون ذات ليلة فإذا هم أصبحوا وقد فقدوه فإن الله تعالى: لا يترك شيئاً من الجنة في الأرض إلا أعاده منها قبل يوم القيامة)^(٣).

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٢٠ باب ما جاء في فضل الركن الأسود

(٢) جامع الترمذي مصدر سابق كتاب الحج ٩٦١ والالباني الألباني، انظر، د/ أحمد عثمان

المزيد، فضائل المسجد الحرام، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ص ٩

(٣) الأزرقى مصدر سابق باب ما جاء في رفع الركن الأسود ج ١ ص ٤٧٧

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ ومسح الحجر الأسود بيده فقد بايع رسول الله ﷺ)).^(١)

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر الأسود (والله ليعتبه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق)^(٢).

قال العالم المكي والمؤرخ المشهور تقي الدين الفاسي رحمه الله: (أن الحكمة من أسوداد الحجر بسبب الخطايا لبني آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها فذلك يعود إلى أن العهد الذي هو فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله فكل مولود يولد على الفطرة وعلى ذلك الميثاق لولا أن أبوية يهودانه أو يمجانسه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد. فقد صار قلب ابن آدم بعدما كان عليه من ذلك العهد فكذلك يسود الحجر أيضاً بعد ما كان أبيضاً. فكانت تلك الخطايا سبب في ذلك وحكمة من الله سبحانه وتعالى^(٣) والله المثل الأعلى إضافة إلى الاعتبار والعظة وليعلم جميع الخلائق أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها سيكون في القلوب أعظم^(٤).

(١) سنن ابن ماجه ج٢ ص ٩٨٦

(٢) ابن كثير / مصدر سابق (البداية والنهاية) ص ٩٦١

(٣) الفاسي: مصدر سابق ج ١ ص ٢٧٨

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة

وكغيره من المعالم الدينية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فقد خصص الله تعالى هذا الحجر بآيات باهرات ومعجزات خالده تدل على مكانته وعظمته عند الله عز وجل وأنه محمي بحمي البيت العتيق ومن ذلك أنه في زمن نوح عليه السلام وعندما حدث الطوفان في الأرض استودع الله عز وجل الحجر الأسود في جبل أبي قبيس وذكر ابن أسحاق وغيره من علماء السيرة أن الله عز وجل لما استودع الحجر قال للجبل: (إذا رأيت خليلي بيني بيتي فأخرجه له) فلما بني الخليل البيت العتيق طلب إبراهيم عليه السلام من إسماعيل عليه السلام حجراً ليكمل البناء ولكنه تأخر قليلاً فأحضره جبريل عليه السلام من الجبل حيث وضعه الخليل موضعه من البيت^(١) ولما جاء إسماعيل بعد مدة وجد البناء قد اكتمل فقال لأبيه من أتاك بالحجر قال الخليل عليه السلام أتاني به من لم يتكل على بنائك^(٢).

ومن تلك الآيات البينات أيضاً:

أنه ولما اكتمل بناء الكعبة في الجاهلية اختلفت القبائل العربية فيمن يضع الحجر الأسود مكانه.. ولكنهم سرعان ما اتفقوا بأذن الله على أن الداخل من باب الصفا يولونه حكماً بينهم فكان بأذن الله تعالى هو النبي الشريف ﷺ حيث كان عمره آنذاك خمسة وثلاثون سنة، فرحبت به

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣١٩

(٢) ابن كثير / تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٥٨

قريش (لأمانته وصدقه) ومما قرره بمشيئة الله بأن وضع ردائه على الأرض ووضع عليه الحجر الأسود ثم أمر مشائخ القبائل بأن يرفعوا الرداء من أطرافه الأربعة فإذا ما وصلوا إلى موضعه وضعه النبي ﷺ بيده الطاهرة الشريفة مكانه^(١).

ومن تلك الآيات البينات أيضاً: أنه وعلى مر التاريخ والزمان أصاب الحجر الأسود أحداث جسام ولكن الله حفظه كما حفظ بيته العتيق ومن ذلك:-

● ما روي عن أن بعض أهل اليمن سرقوه من دار قصي بن كلاب أثناء تجديد بناء الكعبة فحملوه على جمل ولكن الجمل برك ولم يستطيع السير لعظم ما يحمل فقالوا: (ما برك إلا من أجل الحجر الأسود) فخافوا من ذلك ودفنوه في أسفل مكة ولكن امرأة من خزاعة رأتهم حين دفنوه فأخبرت به قريش فأحضره^(٢).

● ومن ذلك ما حدث للحجر الأسود في زمن خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه فحين رميت الكعبة بالمنجنيق تصدع معها الحجر الأسود فأنشطرت منه شظية وكانت عند بعض آل بني شيبه ثم استرجعها منهم عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وقام بشدها في الحجر بالفضة

(١) صفي الرحمن المبارك فوري / روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، مطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ١٤٢٨هـ، ط ٥، ص ٢١

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٢٠

المذابة ووضعها في أعلى الركن كي لا ترى^(١).

● ومن ذلك أيضاً: ما حدث في أيام فتنة القرامطة على مكة المكرمة وتحديدًا في سنة ٣١٧هـ حين قام أبي طاهر القرمطي بضرب الحجر بمطرقة فكسره ثم فلقه وذكر أنه كان جعفر بن أبي علاج هو من فلقه بأمر أبي طاهر ثم حمله القرامطة معهم إلى هجر بالأحساء حاضره مملكته في شرق الجزيرة العربية^(٢) في طريق عودتهم وزاد بعض المؤرخين المكيين أنه استصعب عليهم حمله طيلة طريق العودة وكلفهم ذلك أموالاً طائلة وبقي موضعه من الكعبة خالياً لمدة عشرين سنة إلا أن تم إرجاعه إلى موضعه بالكعبة في سنة ٣٣٩هـ بعد أن اشتراه الخليفة العباسي المطيع لأمر الله رحمه الله منهم بثلاثين ألف دينار^(٣).

● ومن ذلك أيضاً: أنه وفي سنة ٤١٣هـ يوم النفر الأول من حج ذلك العام قام رجل إلى الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات فتخدش الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظايا مثل الأظافر عندئذ قام بنو شيبه سدنة البيت بجمع فتاته المتساقط وعجنوها بالمسك والعنبر^(٤)

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٢١٧

(٢) د/ عبد المنعم النمر المؤامرة على الكعبة من القرامطة إلى الخميني / مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ص ٧٧.

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٢٢

(٤) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٥

والصمغ الأحمر وأعادوها إلى موضعها من الحجر^(١).

والحجر الأسود اليوم مثبت كما هو معلوم للجميع في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة على ارتفاع ١, ١٠ م من أرض المطاف طوله نحو ٢٥ سم وعرضه نحو ١٧ سم وهو مغروس في جدار الكعبة وكان قطعة واحدة ولما جرى له من الحوادث التي ذكرتها آنفاً ما جرى فقد تكسر رأسه الظاهر ولم يعد يظهر منه إلا ثماني قطع أكبرها بقدر التمرة الواحدة فهي مغروسة في حجر كبير عليه طوق من فضه وهي المقصودة بالتقيل والاستلام وليس ما حولها المحاط بالإطار الفضي وكان لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله شرف ترميمه وعمل إطار من الفضة حوله في سنة ١٤٢٢هـ^(٢).

وأعلم أخي الزائر الكريم أنه يستحب للحاج والمعتمر عند استلام الحجر الأسود التكبير والتهليل ذكره ابن جريج عن عطاء رحمهما الله تعالى^(٣) فعن سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول إذا كبر لاستلام الحجر الأسود (بسم الله والله وأكبر على ما هدانا الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمنت بالله وكفرت بالطاغوت وما يدعي من دون

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٢٥

(٢) محمد عبدالغني، مرجع سابق ص ٤٣

(٣) نفس المرجع ج ١ ص ٣٣٨

الله وأن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين^(١).

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه بلغني أنه يستحب أن يقال عند استلام الحجر الأسود:

(بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بما جاء به محمد رسول الله ﷺ)^(٢).

ويستحب أيضاً عدم دخول النساء في زحام الرجال للتقبيل بدليل ما رواه البخاري أن عائشة رضي الله عنها كانت تطوف محبة من الرجال لا تخالطهم فقالت امرأة: انطلقني نستلم الحجر يا أم المؤمنين قالت: انطلقني أنت وأنت^(٣).



(١) الأزرقى مصدر سابق باب ما يقال عند استلام الركن الأسود ج ١ ص ٤٧٢

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٣) صحيح البخاري / مصدر سابق كتاب الحج باب طواف النساء مع الرجال ١٦١٨

ص ٥١٠ وانظر أيضاً محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٤٥

المقام الإبراهيمي

جاءت كلمة المقام في كتب اللغة على وزن مفعّل بفتح العين من قام
كمضرب من ضرب وجاء أيضاً بفتح الميم من قام يقوم ويكون مصدراً
واسماً ومنه قول الشاعر:

وأيك كان شراً فسيق على القامة لا يراها

وجاء أيضاً بالضم من الإقامة ومنه أقمت بالمكان مقاماً وأقامه^(١)
وأما كلمة الإبراهيمي المنسوبة للمقام فهي نسبة إلى نبي الله إبراهيم عليه
السلام الذي قام عليه حال بنائه للكعبة.

و(مقام إبراهيم) عليه السلام يقصد به ذلك الحجر الذي وقف عليه
إبراهيم عليه السلام عند بنائه للكعبة^(٢) قدمه له ولده إسماعيل عليه
السلام ليرتقي عليه عندما شق عليه البناء بعد ارتفاعه فبقيت عليه آثار
قدميه الشريفتين حافية غير منتعله^(٣) بسبب الطين والماء فهو حجر رخو
من نوع حجر الماء لونه بين البياض والسواد والصفرة مربع الشكل.

أما بالنسبة لأهميته التاريخية فقد اختلف علماء التاريخ والسير في زمن

(١) د/ يوسف بن عبدالله بن محمد الصمعاني / مقام إبراهيم تاريخه وحكامه وما ورد فيه من

آثار / دار المأثور / المدينة المنورة / الطبعة الأولى / ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م ص ٢٦

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٦١

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٨ (تاريخ مكة)

ووقت وقوف إبراهيم عليه السلام على ذلك الحجر فذهب بعض العلماء إلى أنه وقف عليه حين أذن للناس بالحج، وذهب آخرون إلى أنه وقف عليه حين غسلت زوجته هاجر رأسه عليه السلام لما جاء يسأل عن ولده إسماعيل عليه السلام عند زيارته الأولى لهما وهو خبر طويل روي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما وضعفه سعيد بن جبير.

وذهب القسم الأخير من العلماء إلى أنه الحجر الذي وقف عليه لأكمال بناء الكعبة، ويمكن الجمع بين هذه الآراء الثلاثة كلها بأن يكون إبراهيم الخليل عليه السلام وقف على ذلك الحجر بعينه لهذه الأمور كلها^(١).

ولما كان بناء الكعبة أحب الأعمال إلى الله تعالى جعل هذا الحجر خالداً مميزاً عن غيره من حجارة مكة ليكون ذكرى وآية للمؤمنين من ذريته وعبره لهم ولغيرهم^(٢) قال الله تعالى: (فيه آيات بينات)^(٣) فالمقصود «بالآيات» هنا أي آثار قدمه عليه السلام و«بينات» أي واضحات جليلة مدى الحياة^(٤).

(١) الفاسي / مصدر سباق ج ١ ص ٣٣٩

(٢) الاصطخري / إبراهيم بن محمد الفارسي / المسالك والممالك / تحقيق محمد جار الحيني /

وزارة الثقافة / الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١ ص ٢١

(٣) سورة آل عمران آية ٩٧

(٤) يوسف الصنعاني / مصدر سابق ص ١٨٦

وكان موقع المقام الإبراهيمي من الحرم المكي قبالة بئر زمزم وباب الكعبة منذ عهد إبراهيم عليه السلام ملاصقاً للبيت العتيق وبقي كذلك حتى جاء عهد الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنقله إلى المكان الذي هو فيه الآن^(١) حيث صلى آدم عليه السلام^(٢) وقد نقله رضي الله عنه بمحضر من الناس بسبب السيل الذي ذهب به^(٣) ولم ينكر عليه الصحابة رضوان الله عليهم فعله ذلك ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً. وكان عمر الفاروق رضي الله عنه قد رأى في بقائه بموضعه السابق تضيق على الطائفين وعلى المصلين وعرضه للسيل فوضعه في موضع يرتفع به الخرج^(٤).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث^(٥) قلت يا رسول الله (لو اتخذنا مقام إبراهيم صلى) فنزلت ((واتخذوا من مقام إبراهيم صلى)) والمراد بالصلاة هنا ركعتي الطواف^(٦).

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٨ (تاريخ مكة).

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٦.

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٤) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٨.

(٥) آية المقام وآية الاستئذان وآية الخمر أنظر صحيح البخاري / مصدر سابق كتاب التفسير

٤٤٨٣ ص ١٠٩٧.

(٦) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٤٩ وانظر أيضا ابن كثير / تفسير القرآن العظيم

ص ١٦٩.

وأخرج الطبري في تفسيره عن طريق سعيد بن عمرو عن قتادة في هذه الآية ما قوله: ((إنما امرؤ أن يصلوا عنده ولم يؤمرو بمسحه والتبرك به قال: وقد ذكر لنا من رأى أثر عقبة وأصابعه في المقام فما زالوا يمسحونه حتى أخلولق وانمحي^(١) فأتسع لذلك طول القدمين وعرضهما من أعلاهما بسبب المسح من الناس للتبرك به ولذلك كان في المواسم ينقل من مكانه ليصان في جوف الكعبة ثم يعاد مكانه^(٢)).

وعلى مر العصور تعهد خلفاء الدولة الإسلامية بصيانتها وحفظه من هؤلاء العابثين فوضعوا له قبة عالية من خشب ثابت قائمة على أربعة أعمدة رقاق بحجارة منحوتة ذات أربعة سبايك من حديد في جهاته الأربع والقبة منقوشة مزخرفة بالذهب مبيضة بالنورة والحجر في داخلها. ويذكر المؤرخون أن أول من قام بتحلية قبة المقام الإبراهيمي بالذهب هو الخليفة العباسي محمد المهدي رحمه الله توفي سنة ١٧٠ هـ بعد أن رفع من مكانه أثناء ترميم الكعبة فأنثلم لرخاوة حجره فكتب المهدي رحمه الله إلى واليه على مكة بأن يضيفوا المقام من أعلاه إلى أسفله بأطواق من الذهب وأرسل لذلك ألف دينار فعمل للمقام طوقان من ذهب في طرفيه من أعلاه إلى أسفله وما بين الطوقين من قبة المقام لا ذهب فيها.

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٨

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٩٠

ثم قام الخليفة العباسي المتوكل على الله رحمه الله (توفي سنة ٢٤٧هـ) أيضاً بتحليته بالذهب وجعل ذلك فوق حلите الأولى ولكن سرعان ما قام بعد ذلك عامله على مكة جعفر بن الفضل العباسي ومعه محمد بن حاتم بقلع تلك الحلية المذهبة وضربا بها دنائير ذهبية ليستعينان بها في حرب إسماعيل بن يوسف العلوي الذي خرج على الخلافة العباسية من مكة في سنة ٢٥١هـ^(١) بقيت حليته المهدي رحمه الله على المقام فترة من الزمن إلى أن قلعت هي الأخرى في سنة ٢٥٦هـ لأجل اصلاحها فعمل بها طوقان من ذهب وطوق من فضة وأذيت له العقاقير من الزئبق وشد بها شداً جيداً.

ودائماً ما كان يتسابق الخلفاء والسلاطين والملوك في أرجاء العالم الإسلامي لتعديل قبة المقام الإبراهيمي وتحليتها بالذهب والفضة خاصة أثناء عمارتهم للحرم المكي حتى كان عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله الذي أمر في سنة ١٣٨٧هـ بأن يغطى المقام بغطاء زجاجي خارجي بلوري من الداخل جاء ذلك في بيانه الرسمي أثناء اجتماع رابطة العالم الإسلامي والذي تقرر بموجبه أزاله بنائه القديم^(٢) ليصبح شكل قبه كنصف الكرة بوزن ١,٧٥ كجم تقريباً وارتفاع ٢٠,١ مم وقطرها من

(١) الفاسي مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٠

(٢) الشيخ محمد بن عبدالله السبيل / رعاية الحرمين الشريفين منذ صدور الإسلام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين مطابع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين مكة، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ

الداخل في الأسفل ٤٠ سم، وسمكها ٢٠ سم من كل الجهات وقطرها من الخارج في أسفله ٨٠ سم ومحيط دائرتها من أسفلها ٥١, ٢ م وبذلك أصبح شكل القبة الكلي يشبه المكعب ارتفاعه في داخل الزجاج ٢٠ سم وطول كل ضلع من اضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ٣٦ سم وطول ضلعه الرابع ٣٨ سم فيكون مقدار محيطه من جهة القاعدة ١٥٠ سم والقدمان الشريفتان تغوصان إلى نصف الحجر وعمق إحدى قدميه ١٠ سم وعمق الثانية ٩ سم ولم يشاهد أثر أصابع قدميه مطلقاً، لأنها انمحت مع مرور الزمن، وكثرة مسح الناس لها بقصد التبرك، وأما موضع العقبين فلا يتضح إلا لمن دقق النظر وتأمل نحافة القدمين الملبستين بالفضة وهما أوسع من باطن القدمين وطول كل واحدة من القدمين ١٤ سم وأما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما فطول كل واحدة منهما ٢٢ سم وعرض كل واحدة منهما ١١ سم وما بين القدمين فاصل مستدق نحو ستمتر واحد وقد استدق الفاصل من أثر مسح الناس له بأيديهم.

وأثناء التوسعة السعودية الثانية ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله قام رحمه الله بإصدار أمره السامي بتغيير الهيكل الزجاجي والمعدني السابق لقبة المقام الإبراهيمي واستبداله بهيكل نحاسي جديد مع طلي شبكه الداخلي بالذهب، وبأن يوضع له من الخارج زجاج شفاف: مقاس ١٠ ملليمتر مقاوم للحرارة والكسر واضح

الرؤية فأصبح المقام يرى بوضوح كما أمر رحمه الله كذلك بتغيير كسوة القاعدة الخرسانية لقاعدة المقام المعمولة من الجرانيت الأسود إلى رخام أبيض مع تحليتها بالجرانيت الأخضر لتناسب بذلك أرضية المطاف وتم الانتهاء من هذا الترميم في ٢١ / ١ / ١٤١٨ هـ بتكلفة مليوني ريال^(١).

وتعود أهمية المقام الإبراهيمي الدينية إلى كونه مشعر إسلامي مقدس ومنسك من مناسك الحج والعمرة فلا يكتمل الطواف إلا بالصلاة خلفه إمتثالاً لما أمرنا الله به واهتداءً بهدى نبيه محمد ﷺ فما جاء في فضل المقام الإبراهيمي ثابت بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ الآية

وروي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله^(٢)).

وقال ﷺ: (إذا فرغ الطائف من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل عليه السلام)^(٣).

وقال مجاهد رحمه الله: (لا يمس المقام فإنه آية من آيات الله).

(١) د/ محمد عبدالغني، مرجع سابق ص ٧٥

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠ باب فضل المقام الإبراهيمي

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٥ باب فضل الطواف بالكعبة

وعن ابن جريج عن عطاء قال: (لا يستحلف بالمقام والبيت في الشيء اليسير).

وعن مجاهد رضي الله عنه قال: (يأتي الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل جبل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة).
والمقام الإبراهيمي كسائر أركان البيت العتيق آية من آياته البينات تعرض هو الآخر عبر الأزمنة الماضية إلى العبث والإفساد التي طالت أركان البيت ومحاوله سرقة أكثر من مرة فحماه الله تعالى كما حمى سائر أركان بيته المطهر ومن ذلك:

ما ذكره الإمام أبي عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي أحد علماء الحرم المكي في القرن الثامن الهجري (أن رجلاً كان بمكة يقال له ابن جريج يهودي أو نصراني أسلم وهو بمكة.. وفي ذات ليلة فقد المقام الإبراهيمي من الحرم المكي.. فطلب فوجد عنده أراد أن يخرج ليهديه إلى ملك الروم.. قال الفاكهي فأخذ منه وضربت عنقه^(١)).

وقيل أيضاً أن الرافضي أبي طاهر الجنابي القرمطي أراد أن يقتلعه مع الحجر الأسود ويذهب بهما إلى الإحساء ولكن سدنه البيت منعه وأرجعه من يده بعد أن ضفروا به في أحد شعاب مكة بينما استطاع جعفر بن أبي علاج إخراج الحجر الأسود من مكة والتوجه به إلى الأحساء.

ولا يزال المقام الإبراهيمي خالداً محروساً بحراسة الله تعالى منذ أكثر من أربعة آلاف سنة إلى حين رفعه إلى الجنة.

وأعلم أخي القارئ الكريم أن ما يستحب قراءته في ركعتي المقام عقب الانتهاء من الطواف سورتي الكافرون والإخلاص ثم الدعاء بالدعاء الوارد عن النبي ﷺ. في ذلك:

(اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة من حوائجنا إلا قضيتها لنا ويسرتها، اللهم يسر أمورنا وأشرح صدورنا ونور قلوبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين)^(١).



(١) بكر أبي زيد / تصحيح الدعاء / دار العاصمة / الرياض / الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ

الحجر

(الحجر) بالكسر هو الستر قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾^(١). فالحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد^(٢) فيقال نشأ في حجره أي في حفظه وستره^(٣) (والحجر) هو حجر الكعبة وما حوا الحطيم المدار بالبيت من جهة الشمال^(٤) وينتهي إليه من البيت ركنان الركن العراقي والركن الشامي^(٥) وعرض الحجر من تحت الميزاب إلى الجدار سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع^(٦) أي ثمانية أمتار تقريباً. وطوله من خارج ما يلي الركن الشامي نصف متراً تقريباً، وطول جداره إلى السماء متراً وعرض الجدار مترين أيضاً^(٧) فهو بذلك بين يدي الكعبة والطواف يحيط به.

وترجع أهمية الحجر التاريخية إلى أنه المكان الذي نزل فيه إبراهيم عليه السلام وزوجته هاجر مع ابنهما إسماعيل عليه السلام بعد قدومهم من مصر حيث بنى لهاجر عليها السلام بموضعه عريشاً لتستظل به من حر

(١) سورة الفجر آية ٥

(٢) عبد السلام هارون / مصدر سابق ص ٣٥٢

(٣) الفيروز أبادي / مصدر سابق ص ٣٧٢

(٤) محمد الرازي / مصدر سابق ص ١٠٠

(٥) الأصطخري / مصدر سابق ص ٢١

(٦) الذراع / وحدة قياس قديمة تعادل ثلاثين سنتيمتر تقريباً

(٧) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٩٠

الشمس ثم أصبح جزء لا يتجزأ من الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام بعد ذلك بدلاً من العريش واستمر كذلك حتى أرادت قريش إعادة بنائه من جديد زمن الجاهلية.

ولكن قريشاً عندما أعادت بناء الكعبة في زمن الجاهلية وقصرت بهم النفقة أخرجوا منها الجزء الشمالي (وهو المسمى الحجر اليوم) واقتصروا في بنائها على الجزء الموجود عليه الكعبة اليوم.

وفي الصحيحين من حديث مالك بن شهاب بن سالم أن عبدالله بن محمد بن أبي بكر أخبر ابن عمر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (ألم ترى إلى قومك حين بنو الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم) فقلت يا رسول الله (إلا تردها على قواعد إبراهيم) فقال ﷺ (لولا حدثان قومك بجاهلية لا نفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولا دخلت الحجر فيها)^(١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال: (لو كان عندي سعة لقدمت في البيت من الحجر ذراعاً ولفتحت له باباً يخرج الناس منه)^(٢).

ولما تمكن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه من الخلافة في مكة وقام بهدم الكعبة جراء ما أصابها من الحريق وأعاد بنائها أدخل فيها ما أخرجته قريش من الحجر وجعل لها بابين شرقي وغربي. ولكن بعد ما قتله الحجاج

(١) صحيح البخاري / مصدر سابق كتاب الحج فضل لمكة وبنائها ١٥٨٣ ص ٥٠٤ وانظر

أيضاً ابن كثير / مصدر سابق ص ١٥٥

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣١٣

بن يوسف الثقفي كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان بما فعله الزبير في الكعبة فأمره عبد الملك بإعادة بنائها على ما كانت عليه زمن الجاهلية خشية أن يكون بناء ابن الزبير من اجتهاده وتصرفه فقام الحجاج بإخراج الحجر منها مرة أخرى وبقي الوضع كذلك إلى الآن وصار بعض الحجر من الكعبة وبعضه ليس منها^(١).

(والحجر) من المعالم الدينية والحضارية الهامة بمكة المكرمة وكغيره من بقية المعالم فقد وردت أحاديث نبوية في فضله ومكانته وقديسيته ومن ذلك ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه.. فأخذ رسول الله ﷺ بيدي وأدخلني في الحجر.. وقال لي: (إذا أردت دخول البيت فصل هاهنا، فإنما هو قطعة من البيت.. ولكن قومك اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت)^(٢) وعنها رضي الله عنها أنها قالت: (ما أبالي صليت في الحجر أو في الكعبة)^(٣).

وقد صح عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال (صلوا في مصلى الأخيار.. واشربوا من شراب الأبرار) فقليل له: وما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب في الحجر ثم قيل له: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم^(٤).

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٥٠ (تاريخ مكة)

(٢) سنن النسائي ص ٢٢٧٥ وانظر مجمع الزوائد ٢٤٣/٣ ورجاله رجال صحيح

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٣١٠ باب ما جاء في الصلاة والدعاء عند مشعب الكعبة

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٣٢

وعن عبد الحميد بن جبير رحمهما الله عن عمته صفية بنت شيبة رحمها الله قالت: حدثتنا عائشة رضي الله عنها فقالت: قلت يا رسول الله إني أدخل البيت؟ قال ﷺ (أدخلي الحجر فإنه من البيت) (١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (كان عبد المطلب أطول الناس قامة وأحسن الناس وجهاً. وما رآه قط أحداً إلا أحبه.. كان له مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره.. ولا يجلس معه عليه أحد وكان الندي من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون الفرش فجاء رسول الله ﷺ وهو غلام بدرج ليجلس على الفرش.. فجذبوه فبكى.. فقال عبد المطلب وذلك بعد ما حجب بصره ما لابني يبكي قالوا له أنه أراد أن يجلس على المفرش.. فقال عبد المطلب: (دعوا ابني فإنه يحس بشرف أرجوا أن يبلغ ما لم يبلغ عربي قط) (٢).

وعن مجاهد رحمه الله قال: جاءت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فدخلت البيت في ستارة فأغلقت الحجة البيت دون غيرها من النساء.. فجعلن ينادين يا أم المؤمنين؟ قال مجاهد: وسمعت عائشة تقول (٣) (عليكن بالحجر فإنه من البيت) يقول ابن جبير في رحلاته (وكان النساء يتبركن بالصلاة في هذا المكان وحق لهم ذلك خاصة بعد أن أخذ النبي ﷺ

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ ص ٣١٠ باب الجلوس في الحجر وما جاء في ذلك

(٢) سنن النسائي ص ٢٠١٥

(٣) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ ص ٣١٤

يبد زوجته عائشة لتصل في هذا الموضع^(١).

وأعلم أخي القارئ الكريم أن المستحب في الحجر أن تصلي ركعتين تحت الميزاب فهو مصلى الأختيار ثم تدعو بالدعاء الوارد عن النبي الكريم في ذلك وهو أن تقول: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهد ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فأغفره لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك وامتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقاءك يا ذا الجلال والإكرام اللهم نور بالعلم قلبي واستعمل بطاعتك بدني وخلص من الفتن سري وأشغل بالاعتبار فكري وقني شر وساوس الشيطان وأجرني منه يا رحمان حتى لا يكون له عليّ سلطان ربنا أننا أمنّا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار^(٢).

وأعلم أخي القاري الكريم أيضا أن العلماء في حكم الصلاة في الحجر قد انقسموا إلى قسمين:

○ القسم الأول: يرى عدم جواز الصلاة المفروضة في الحجر وكذلك

(١) ابن جبير / مصدر سابق ص ٨٥

(٢) الفاسي / مصدر سابق باب ما جاء في استجابة الدعاء في الملتزم والمستجار والخطيم ج ٣٧٣

صلاة النفل المؤكد مع قولهم بجواز صلاة النافلة غير المؤكده مثل ركعتي السنة ومن أولئك العلماء الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

○ القسم الثاني: فيرى جواز وصحة جميع الصلوات في الحجر وهو رأي الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة النعمان رحمهما الله^(١).

فعن عطاء قال: من قام تحت الميزاب فدعا الله استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه^(٢).

فما أعظم اغتنام هذه الفرص في الدنيا والتي ترفع بها الدرجات وتحط بها السيئات كيف لا وهي باب من الجنة يجرى عليك فيه الروح إلى يوم القيامة.

ورد عن المبارك بن حسان الأنماطي أنه قال رأيت عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في الحجر وهو يقول: (شكا إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله عليه أنني أفتح لك باباً من الجنة في الحجر يجري عليك فيه الروح إلى يوم القيامة وفي ذلك الموضع توفي ودفن)^(٣).

يقول الرحالة أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير رحمه الله في كتابه رحلة بن جبير (أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي فيه قبر إسماعيل عليه السلام وذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن قبر إسماعيل

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٦٤

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣٦٢

(٣) انظر صحيح البخاري / مصدر سابق / الاكراه ٦٩٤٣

عليه السلام وأمه هاجر عليها السلام في الحجر^(١) فما أقدسة من مكان
مطهر يصلى فيه الأخيار وكيف لا وقد أنطبق هذا المكان على جسدين
مقدسين لنبي بار وأمه هاجر رحمها الله وأسكنهما فسيح جناته.



الحطيم

ورد في كتب اللغة أن الحطيم هو التكسير، وورد أيضاً أن الحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ما تلقى ورجل حطمة أي كثير الأكل^(١) والحطيم في الحرم المكي هو المكان الذي تتحطم فيه أفئدة المصلين والركع السجود إذلالاً وخشوعاً لله حال الدعاء.

وقد اختلف العلماء في تحديد موضعه من الحرم المكي وسبب تسميته بالحطيم فذهب بعضهم إلى أن الحطيم هو جدار الحجر فقط ومنهم الإمام الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه ذلك لأنه حطم من البيت وكسر منه بعد أن انقصته قريش حين جددت بناء الكعبة المشرفة^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما (الحطيم) (الجدر يعني جدار الكعبة)^(٣). ويرى علماء آخرون إلى أنه من الجدار إلى الميزاب فيدخلون فيه الموضع الذي يعرف عند عامة الناس بحجر إسماعيل عليه السلام حين بنى فيه إبراهيم عليه السلام لهاجر ورضيعها عريشاً بجوار الكعبة لأن الناس يتحطمون فيه بالدعاء^(٤) فيما اتجه علماء اللغة إلى أبعد من ذلك لأنهم

(١) محمد الرازي / مصدر سابق ص ١١٢

(٢) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٤٦

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٥

(٤) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٤٦

الأعلم بما تعنيه هذه الكلمة من معاني أرفع وأعمق وأجل من كونه جداراً قد تحطم وانكسر فيقول الفيروز آبادي في قاموسه المحيط أن (الخطيم) هو حجر الكعبة أو جداره ما بين الركن وزمزم والمقام^(١)، ويوافقه في هذا الرأي ابن فارس في كتابه معجم مقاييس اللغة حيث قال: أن الخطيم من المقام إلى الباب وما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس هنا كثيراً بالدعاء طلباً للمغفرة وكأنه تحطيم^(٢).

وذكر الإمام الحافظ أبي الطيب تقي الدين الفاسي أحد أعلام مكة رأياً رابعاً للإمام الطبري مفاده أن الخطيم هو الشاذروان لأن البيت عند ما رفع ترك هو محطوماً وهو أبعد الآراء السابقة عن الحقيقة والله أعلم بالصواب^(٣).

أما أهمية الخطيم التاريخية فتعود إلى زمن الجاهلية حيث كانت العرب تتحالف فيه فتحشى قلوبهم وتخشع وتلين أجلاً ومهابة ورفعة^(٤). وفي ذلك يقول ابن جريج رحمه الله (من دعا هنالك على ظالم هلك وكل من حلف هنالك إثمًا عجلته العقوبة) فكان ذلك يحجز الناس عن

(١) الفيروز آبادي / مصدر سابق ص ١٠٩٢

(٢) ابن فارس (عبد السلام هارون) مصدر سابق ص ٨٧

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٠

(٤) الفيروز آبادي / مرجع سابق ص ١٠٩٢

الظلم ويتهيب الناس منه بالإيمان^(١) وبذلك يحفظون ما تحالفوا عليه مدى الدهر.

وقد روى بعض المؤرخين المكيين عدد من القصص التاريخية التي تدل على عظم الخطيم وقديسيته عند الله عز وجل مما زاد في أهميته ومكانته لدى العرب أيام الجاهلية وبعد الإسلام وإن كان بعضها يصل إلى حد الخرافة فذكرناها هنا للعظة والاعتبار فقط.

فهذا إساف رجل من قريش وامرأة تدعى نايله دخلا الكعبة بعد أن أقسما في الخطيم على الزنا داخل الكعبة ولم يرعيا بذلك حرمتها ومكانتها الدينية فكانت عاقبتهم أن مسخا إلى حجرين ثم أخرجا من الكعبة ونصب أحدهما في مكان زمزم والآخر في وجه الكعبة ليعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا^(٢).

ومن تلك القصص أيضاً أن امرأة من قريش استعادت بالله في الخطيم من زوجها فجاء زوجها إلى هذا المكان فمد يده عليها فتيست يده ثم رأوه بعد ذلك في الإسلام مشلول اليد.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الواقدي عن عبدالمجيد بن أبي أنس عن أبيه عن أبي القاسم مولى ربيعة بن الحارث عن عبدالمطلب بن ربيعة بن

(١) الأزرقى / مصدر سابق جـ ٢ ص ٢٥

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

الحارث أنه قال: (عدا رجل من بني كنانة في الجاهلية على ابن عم له فظلمه واضطهده فناشده الله تعالى في البيت الحرام والشهر الحرام ثم قال له فلا دعون الله عليك في الحطيم فقال ابن عمه مستهزئاً به: هذه ناقتي (فلانه) فأنا أقعدك على ظهرها فأذهب فأجتهد بالدعاء عليّ قال: وأعطاه ناقتَه وخرج حتى جاء حطيم الحرم في الشهر الحرام فقال: (اللهم إني أدعوك دعاء جاهد مضطر على فلان ابن عمي أن ترميه بداء لا دواء له قال ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رمى بسهم في بطنه فصار مثل الزرق فهازال ينتفخ حتى انشق)^(١).

(والحطيم) أيضاً كغيره من أركان الحرم المكي وزواياه المباركة وردت فيه أحاديث نبوية تدل على مكانته وأهميته الدينية حتى قيل أنه وطئه من رياض الجنة فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: [قال لي النبي ﷺ أي البقاع خير؟ فقلت الله ورسوله أعلم ثم قلت إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام.. وأن ما بين الركن والمقام وطئة من رياض الجنة فمن صلى فيه أربع ركعات نودي من بطنان العرش أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل^(٢) وفي حديث لابن عيينه عن محمد بن سوقة قال: كنا جلوساً مع سعيد

(١) الأزرقي / مصدر سابق جـ ٢ ص ٢٧

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

بن جبير رحمه الله في ظل الكعبة فقال أنتم الآن في أكرم ظل على وجه الأرض^(١).

ومما ورد في فضائل الحطيم أيضاً أن فيه قبر تسعة وتسعين نبياً جاءوا حجاجاً فقبضوا هنالك^(٢). وفي ذلك يقول ﷺ: [كان النبي من الأنبياء إذا هلك أمته لحق بمكة فيتعبد فيها هو ومن آمن معه حتى يموت فيدفن فيما بين زمزم والحجر]^(٣).

وذكر أيضاً العلامة أبي الوليد الأزرق في كتابه أخبار مكة خبراً يؤهم أن في الحطيم قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام مستدلاً بما ورد عن سفيان بن عيينه عن الزهري أنه سمع ابن الزبير رضي الله عنه يقول: (أن هذا المحدودب فيه قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام) ويعني بذلك مما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام وكان ذلك الموضع يسوى فلا يلبث أن يعود محدودباً منذ كان^(٤).



(١) الأزرق / مصدر سابق جـ ٢ ص ٢٦

(٢) الفاسي / مصدر سابق جـ ١ ص ٣٣١

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ١٢١

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣١

زمزم

(زمزم) (لا تنزف ولا تدم.. تسقي الحجيج الأعظم.. هي من الفرث والدم) ^(١).

عبارات لها مدلولها التاريخي عند أكثر المكين عن بئر زمزم المشهورة بمكة والواقعة جوار الكعبة وتحديدًا في شرقها قبالة الباب الشريف، يتبرك بها في الأغراض الدنيوية والدينية إلى حد الاستشفاء وقضاء الحاجات بإذن الله تعالى. وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها ببئر زمزم فقال بعضهم لكثرة مائها وقيل لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالاً ^(٢) وقد وردت كلمة الزمزمة في كتب اللغة بمعنى: الصوت البعيد الذي له دوي وتتابع كصوت الرعد وهو أحسنه صوتاً وأثبتته مطراً ^(٣) وماء زمزم ماء عذب تكثر به الصوداء والكلور والجير وحامض الكبريتيك وحامض الأوزيتيك والبوتاس مما يجعله أشبه شيء بالمياه المعدنية ^(٤) وفي الحديث الشريف: (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم) ^(٥).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ص ١٠٨

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٠

(٣) ابن هشام / مرجع سابق ص ١٠٨

(٤) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٦

(٥) نفس المصدر ونفس الصفحة باب فضل ماء زمزم وخواصه والحديث رواه عبدالله بن عباس رحمه الله انظر الألباني ١٠٥٦ وأساند الحديث صحيح

ولزمزم البئر المباركة أسماء عدة وردت في كتب التاريخ الإسلامي -
فكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى كما قيل - فمن أسمائها المضمونه،
وبره، وطيبه كما وردت في رؤي عبدالمطلب عندما أمر بحفرها^(١) وبشرى،
وعونه، وصافيه، وشراب الأبرار^(٢)، وهزيمة جبريل عليه السلام،
وسقيا إسماعيل عليه السلام، وبركة، وسيده، ونافعة، وعصمة، وسالمه،
وميمونة، وكامنة، وعافية، ومغذية، وطاهرة، ومقدادة، وحرمية، ومروية،
ومؤنة، وطعام طعم، وشفاء سقم، ونقرة الغراب^(٣).

وتعود أهميتها التاريخية وبداية ظهورها إلى زمن هجرة إبراهيم عليه
السلام وزوجته هاجر مع أبنيهما إسماعيل عليه السلام من مصر إلى مكة.
فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (حين كان بين أم إسماعيل
وبين سارة ما كان أقبل نبي الله إبراهيم عليه السلام بهاجر وإسماعيل صغير
ترضعه حتى قدم بهما مكة على البراق^(٤) وكان مع هاجر شنه فيها ماء تشرب
منها وتدر على ابنها وليس لها زاد إلا التمر فقط) يقول ابن عباس: (فعمد
بهما إلى دوحة فوضعهما تحتها ثم توجه إبراهيم عليه السلام خارجاً على دابته

(١) ابن هشام / مصدر سابق ص ١٠٨

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤ (تاريخ مكة)

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١٦

(٤) خليفه بن أبي المفرج بن محمد الزمزمي الشافعي / نشر الأنفاس في فضائل زمزم وسقاية العباس،

تحقيق، د/ عبدالله سليمان المزيني / مؤسسة الفرقان / مكة / ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ ص ٤٤

واتبعت أم إسماعيل أثره حتى وافت إبراهيم عليه السلام بكدا فقالت أم إسماعيل عليها السلام: إلى من تتركنا؟ فقال: إلى الله عز وجل! ثم رجعت وهي تحمل ابنها حتى وصلت إلى الدوحة، ووضعت ابنها وعلقت شنتها لتشرب منها وترضع صغيرها حتى فني الماء فجاع ابنها واشتد جوعه حتى نظرت إليه أمه يتشحط فخشيت عليه الموت فعمدت إلى جبل الصفا، لترى من بالوادي ثم نظرت إلى المروة فلم ترى أحداً فمشت بينهما ثلاث مرات وأربع ثم رجعت إلى ابنها فوجدته ينشع ثم عادت إلى الصفا ومشت كما مشت أول مره حتى أكملت سبعة أشواط ثم سمعت صوتاً ينادي من قريب فأذا هو جبريل عليه السلام فقالت: أغثني إن كان عندك خير فأتبعته حتى ضرب برجله الأرض فخرج الماء فحاضته أم إسماعيل عليها السلام بتراب ترده خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنتها لتملأها ثم استقت وشربت حتى درت على ابنها فبينما هي كذلك أذمر على مقربه منها ركب من قبيلة جرهم قافلين من الشام في الطريق السفلي للوادي فرأى الركب الطير يحوم في السماء على الماء فقال بعضهم ما كان بهذا الوادي من ماء ولا أنيس ثم تقدموا نحو هاجر فاستأذنوها فأذنت لهم بالقاء والتزود من الماء وأحبت الأنس معهم^(١). وبعد فترة من الزمن جاء نبي الله إبراهيم عليه السلام عائداً من مصر لزيارة هاجر عليها السلام وولده إسماعيل ولما رأى ما أصابهم من خير

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ٤١ / ٤٢

الله بعد رحيله قرر عليه السلام الشروع في حفر بئر زمزم لتوسيعها ولكن غلبه عليها ذو القرنين وكان ذلك امتحان من الله فقليل أنه سأل إبراهيم عليه السلام أن يدعو الله له ؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: كيف أدعو لك وقد أفسدتم بئري ! فقال ذو القرنين ليس عن أمري أو إرادتي ولم يخبر أحداً أن البئر بئر إبراهيم ثم وضع السلاح أرضاً واصططحاً ثم أهدى ذي القرنين إلى إبراهيم عليه السلام بقرأً وغنماً تعبيراً عن أسفه وطلباً لرضاه فأخذ إبراهيم منها خمسة أكبش فأقرنهم وحدهم فقال ذو القرنين: ما شأن هذه الأكبش الخمسة يا إبراهيم ؟ فقال: هؤلاء يشهدون في يوم القيامة أن البئر بئر إبراهيم^(١) ولم تزل ماء زمزم ماءً طاهراً ينتفع الناس بها في مكة إلى أن استخفت قبيلة جرهم بحرمة الكعبة والحرم فدفنت البئر، واختفى موضعه عن البيان، ومرت عليه السنون عصراً بعد عصر حتى صار لا يعرف مكانه^(٢) ولما جاء عهد عبدالمطلب دله الله على مكانها برؤيا خير أريها في المنام، فأعاد حفرها من جديد فتدفق الماء فكان بركة وخير للناس^(٣) يستقي منه حجاج مكة، وافتخرت بهذه البئر بنو عبد مناف على قریش كلها وسائر العرب^(٤).

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١٠

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ص ٣٣ / ٣٤

(٤) الفيروز أبادي / مصدر سابق ج ١ ص ١١١٨

وفي ذلك يقول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ((كان عبدالمطلب يعالج زمزم ويحفرها وكان النبي ﷺ ينقل معه الحجارة وهو غلام^(١) وأسناده ضعيف. وهناك من الأحاديث النبوية الشريفة غير ما ذكر ما يدل على فضل ماء زمزم وخيرها وبركتها ففي صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم)^(٢) كيف لا وقد غسل به جبريل عليه السلام صدر النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ليقوي به قلب النبي ﷺ فيقدر على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار^(٣).. ولأنه من خواص ماء زمزم أنه يقوي القلب ويسكن الروح وكان ﷺ إذا أراد أن يتحف الرجل يتحفه السقيا من ماء زمزم). واسناده صحيح^(٤).

وورد أيضا أن الرسول ﷺ قال: (ماء زمزم لما شرب له.. وأن شربته لتستشفى بها شفاك الله، وأن شربته لتقطع ضمئك قطعة الله، وإذا شربته لشبعك أشبعك الله وهي هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل عليهما السلام)^(٥).

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١٠ قال الزهري كان حفر عبدالمطلب لزمن بعد ولادة النبي ﷺ ببضع سنين

(٢) انظر السلسلة الصحيحة من حديث الألباني ص ١٠٥٦ وأسناده حسن

(٣) صحيح البخاري / مصدر سابق من كتاب الصلاة ٣٤٩ ص ٢٦٥ وروي الحديث برواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

(٤) أنظر الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٠ والحديث برواية عبدالله بن عباس رضي الله عنه

(٥) انظر المصدر ٤١٨ والحديث برواية ابن عباس رضي الله عنه خليفه

قال الشاعر:

وأشرب شراباً صافياً من زمزم

تشفى به من كل داء وكدر^(١)

وقد ورد عن عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ما قوله (أن من شرب ماء زمزم لقصد له يناله نوله الله ذلك) فناله الأمام الشافعي رحمه الله شربة للعلم فكان فيه غايته وللرمي فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة^(٢).

وذكر ايضاً أن إسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها غسلت به ابنها عبدالله بن الزبير رضي الله عنه عندما قتله الحجاج بن يوسف الثقفي^(٣).

وكغيره من سائر المعالم الدينية في الحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة فقد اختصه الله ببعض الآيات البينات والمعجزات الباهرات وهي كثيرة ولا توجد في غيره من المياه ومن ذلك ما يلي:

١. أنه شفاء لما شرب له.

٢. أن المياه العذبة ترتفع وتغور قبل يوم القيامة إلا ماء زمزم.

(١) الشافعي / مصدر سابق ص ٢٥

(٢) الفاسي / مصدر سابق ٤١٩ باب فضائل ماء زمزم

(٣) أبو عبدالله محمد بن أسحاق الفاكهي / أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه / تحقيق عبدالمملك

بن عبدالله بن دهيش / دار خضر بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ج ٢ ص ٤٨٣

٣. أنه يفضل مياه الأرض كلها طباً وشرعاً.

٤. أن الاطلاع في بئر زمزم بالعين المجردة يجلو البصر ويحط الأوزار والخطايا قال ﷺ (النظر في ماء زمزم عبادة وهي تحط الخطايا). لذلك اتفق العلماء ورجال الدين في حكم نقل ماء زمزم من مكة إلى البلدان الأخرى للإهداء بالجواز باتفاق المذاهب الأربعة بل هو مستحب عند المالكية والشافعية وعللوا حكمة الجواز في نقل ماء زمزم من عدم الجواز في نقل حجارة الحرم الشريف بأن الماء ليس بشيء يزول ولا يعود بل هو دائم الوجود بإذن الله إلى يوم القيامة وهو ميزة تميز بها ماء زمزم عن حجارة الحرم الشريف فإنها تزال ولا تعود والأصل جواز نقله لما روي في جامع الترمذي.. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها حملت ماء زمزم في القوارير وقالت حملة رسول الله ﷺ في الأداوي والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم)) رواه الطبرني وصححه الألباني^(٢).

وأعلم أخي القارئ الكريم: أنه ينبغي لمن أراد الشرب من ماء زمزم

(١) الفاسي / مصدر سابق ص ٤١٧ وانظر أيضاً الفاكهي / مصدر سابق ج ٢ ص ٤٩٢

(٢) انظر أيضاً أحمد بن عثمان المزيدي / مرجع سابق ص ١٠ وانظر الفاكهي / مصدر سابق ج ٢

ص ٤١ والحديث برواية عبدالله بن عباس رضي الله عنه وصححه الألباني

أن يستقبل القبلة، ويذكر اسم الله تعالى، ويتنفس ثلاثاً، ويتصلع منه، ثم يحمد الله تعالى بعد اكتمال شربه ثم يدعو بما ورد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه في ذلك فقد روى أنه كان يدعو بعد شرب زمزم بقوله: (اللهم أني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء)^(١).

ولا ضرر أن يدعوا المرء بما أحب من أمر الدنيا والآخرة. وحذر علماء الإسلام أيضاً من إزالة النجاسة بماء زمزم وخصوصاً مع وجود ماء غيره من المياه المخصصة لذلك فقد أجزم الطبري بتحريم ذلك وعدم التطهر به واستحباب التوضؤ به والغسل به ولم يكره الوضوء به إلا أحمد بن حنبل رحمه الله^(٢).

ونظراً لما لزمزم من أهمية دينية فقد نال اهتماماً كبيراً ورعاية واضحة من قبل حكام المملكة العربية السعودية ابتداء بعهد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الذي أمر يرحمه الله أن يعمل على حسابه الخاص سبيلان من ماء زمزم لسقيا الحجاج والمعتمرين والزوار أحدهما بالجهة الشرقية مما يلي قبة زمزم على الجناح الجنوبي والثاني بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية لبئر زمزم بجانب السبيل القديم المعمول منذ عهد سلاطين آل عثمان، وأمر رحمه الله كذلك بتجديد عمارة

(١) الفاسي / مصدر سابق جـ ١ ص ٤٨٨

(٢) نفس المصدر جـ ١ ص ٤٢٦

السييل العثماني القديم على نحو السيلين اللذين سيعملان باسمه الخاص
 فعمل لكل سييل جدار من الرخام المرمر وكتب على علو كل سييل اسمه
 مطلي بماء الذهب وصارت السبل الثلاثة سقاية لمن يريد شرب ماء زمزم
 أثناء الليل وأطراف النهار وقدر ما صرف على أنشائها ثلاثمائة جنية ذهب
 آنذاك واكتمل إنشاء السييل الذي غرب حجرة الأغوات في سنة ١٣٤٥ هـ
 والآخر الذي يلي قبة زمزم في سنة ١٣٤٦ هـ وفي عهد المغفور له الملك
 سعود يرحمه الله سنة ١٣٧٤ هـ شيدت بناية جديدة أمام بئر زمزم في جزء
 من جانبه وهي عبارة عن جدران مسقوفة فيها فتحات شبابيك من الحديد
 يستظل الشاربون تحتها ووضع على حافتها عدة صنابير يشرب الناس منها
 ماء زمزم وأضاف رحمه الله درجاً يوصل إلى أعلى البئر من الخارج بعد أن
 كان قبل ذلك في أصل البناء القديم له باب وكان ماء زمزم في العصور
 الماضية يستخرج من البئر بواسطة الدلو ليوضع في حنفيات وكل حاج
 يدلي بإنائه داخل الحنفية لكي يشرب منه كما كان هناك مغاريف يغترف
 بها من ماء زمزم لكل من يرغب في الشرب ونظراً لما كان لهذه الطريقة
 من أضرار صحية ونتيجة للتطور الذي شهدته البلاد السعودية منذ عهد
 المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز آل سعود لذا أرتأت مديرية الأوقاف
 في سنة ١٣٧٣ هـ أن تضع مظلة أمام بئر زمزم ليوضع تحتها خزانان كبيران
 ولكل خزان اثنا عشر صنوبراً.

وبمرور الوقت ومع تنامي أعداد المعتمرين والحجاج واطرادها عاماً بعد عام فقد دفعت الضرورة إلى توسيع الحرم المكي فضمت بذلك مساحة البئر القديم للصحن حيث شملت التوسعة الجهات الأربعة للحرم المكي بالإضافة إلى التوسعة الداخلية للمطاف ومع توسعة المطاف خفضت كذلك فوهة البئر لتكون تحت المطاف بالقرب من المحيط الخارجي لدائرة الحرم ثم قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين في التوسعة السعودية الأولى والثانية والثالثة أيدها الله بتخصيص حافظات للماء البارد والحر وزعتها في أوقه الحرم المكي وساحاته المختلفة وسطحه لتسهيل إيصال الماء البارد إلى الزوار كما خصصت عدد كبيراً من الصنابير موزعة في أرجاء توسعة الحرم المكي مع الأشرف التام على نظافتها وبشكل مستمر وخاصة نظافة الأكواب البلاستيكية المقدمة مع رفع الأكواب المستعملة بنظام جديد كلياً وهو أكثر دقة من النظام السابق بحيث يتم رفع الأكواب المستخدمة بواسطة نظام التفريغ الآلي من أدوار التوسعة ثم إعادة تدويرها^(١) وقامت أيضاً بمتابعة درجة برودة المياه على مدار الساعة^(٢).

وكما خصصت حكومة خادم الحرمين الشريفين شاحنات ذات صهاريج ضخمة لإيصال ماء زمزم إلى الحرم المدني يومياً

(١) هاني نديم / مقال (بئر المعجزات والعطايا) مجلة طيران ناس، العدد ١٧ / ١٣٣٧ هـ شوال ورمضان، ص ٥٠، ص ٥٢.

(٢) الشيخ حمد بن عبدالله السبيل مرجع سابق ص ٩٥.

وفي سنة ١٤١٥هـ تم تنفيذ مجمع خاص لمياه زمزم في كدى بمكة زود بأجهزة حديثه لنقل المياه من البئر إلى خزان خرساني مسلح سعته (١٥, ٠٠٠) م^٣ وهو مرتبط مع الخزان العلوي والذي يقوم بخدمة نقاط تغذية الحرم المكي لتعبئة الجوالين ونقاط نقل الماء بالسيارات وخاصة إلى المسجد النبوي الشريف^(١).

أيضاً قامت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بتوفير مختبراً خاصاً لتحليل مياه زمزم وبدوره يقوم برفع النتائج للرئاسة يومياً مع الإشراف الكامل على مراحل تعقيم مياه زمزم بمحطة كدي^(٢) جزى الله حكومة خادم الحرمين الشريفين خير الجزاء.

أعلم أخي القارئ الكريم:

بأنه وبناء على التقارير التي يقدمها معهد دراسات الحرمين الشريفين بجامعة أم القرى فإن العيون المغذية للبئر تضخ ما بين ١١ إلى ١٨ لتراً من الماء في الثانية الواحدة على أقل تقدير.

وليبقى ماء زمزم أحد أهم شعائرنا الدينية ومقدساتنا الإسلامية التي تشكل إحدى المعجزات والآيات البينات الماثلة أمامنا والتي يتمنى كل مسلم على وجه الأرض شربة منه على مر التاريخ^(٣).

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٧٨

(٢) الشيخ محمد بن عبدالله السبيل مرجع سابق ٩٦

(٣) هاني نديم / مرجع سابق ص ٥٢

أركان الكعبة

للكعبة شرفها الله وزاد من شرفها تعظيماً ومهابة ورفعة أربعة أركان سبق وأن تحدثنا عن ركن الحجر الأسود منها وأما بقية الأركان فهي كالتالي:

الركن العراقي يقع في شمالها الشرقي باتجاه باب الفتح، والركن الشامي ويقع في شمالها الغربي باتجاه باب المروة، وسميا بذلك لأنها يقعان قبالة جهة بلاد الشام وبلاد العراق وما بينهما يسمى مصلى الأخيار^(١).

ولما لهاذين الركنين من فضائل جمّة خصهما الله بها فقد دلت أحاديث كثيرة على فضلها إضافة إلى بعض ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من أقوال.

فمما روي عن النبي ﷺ أنه إذا وصل بين هاذين الركنين في طوافه وحاذى الميزاب كان يقول: (اللهم إني أسالك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب)^(٢).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: صلوا في مصلى الأخيار.. فقل له وما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب والميزاب بين الركنين

(١) الأزرقى / مصدر سابق ص ٣١٦

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣١٦ ج ١ ص ٤٣٩ باب ما جاء في الدعاء والصلاة عند مشعب

مكة والحديث برواية جعفر بن محمد عن أبيه

العراقي والشامي أي ذات المكان الذي ينزل المطر فيه من سطح الكعبة^(١). وعن الإمام عطاء بن أبي رباح رحمه الله أنه قال: (من قام تحت «الميزاب» مشعب مكة فدعا الله استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه). وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه لم يكن يدع الركنين «العراقي والشامي» دون استلام إلا أنه كان يرى أن البيت لم يتمم في ذلك الوجه خاصة بعد أن أنقصته قريش عند بنائها للكعبة ثم تركها لنهي النبي ﷺ عن ذلك^(٢).

وهو ما أكدته الإمام مجاهد يرحمه الله بقوله: (الركنان اللذان يليان الحجر لا يستلمان).

وفي ذلك يقول الإمام نافع يرحمه الله: (انه طاف مرة مع ابن عمر فلما حاذى الركن الغربي ذهب ليستلم وهو ناسي فلما مديده قبضهما فلم يستلم ثم أقبل عليّ فقال إني نسيت^(٣)).

وفي رواية قال له: ما شأنك: فقلت إلا تستلم فقال: ألم تطف مع النبي ﷺ قال: قلت بلى قال: أفرايته يستلم هذين الركنين الغربيين قلت لا قال: أفليس لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة قلت: بلى قال: فأبعد عنه^(٤).

(١) نفس المصدر ص ٣١٦

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٤٣٩ و ٣٦٥

(٣) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤٦٥

(٤) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٥

وأما الركن الثالث فهو الركن اليماني الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية للكعبة قبالة باب الملك فهد جهة اليمن.

أرجع الإمام الحافظ أبي الطيب تقي الدين الفاسي سبب تسميته بالركن اليماني إلى رجل من اليمن اسمه أبي بن سالم أنشد فيه شعراً قال فيه: لنا الركن اليماني من البيت الحرام وراثته

وبقيت ما أبقي أبي بن سالم^(١)

ولهذا الركن فضل كبير عند الله تعالى كما لبقية الأركان التي خصها الله به فقد روي عن الإمام مجاهد رحمه الله أنه قال: كان الرسول ﷺ يستلم الركن اليماني ويضع خده عليه^(٢).

وكان يقول ﷺ: ((ما أتيت عليه قط إلا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه^(٣) فطوبى لمن فاز بذلك)).

وذكر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنه قال بأنه لم يزل يرى أباه في حج أو عمره وهو يطوف بالبيت فلا يدع الركن اليماني إلا لمسه بيده وكان يراه لا يمس الركنين الآخرين^(٤) اقتداء بهدي النبي ﷺ في ذلك.

ومما روي عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

(١) الفاسي / مصدر سابق ص ٢٨٥

(٢) نفس المصدر سابق ص ٢٨٣

(٣) نفس المصدر سابق ص ٢٨٤ ج ١

(٤) الأزرق / مصدر سابق ص ٣٣٥

كان لا يدع الركن الأسود واليمني إلا ويستلمهما في كل طواف واخبر نافع رحمه الله أن ابن عمر أيضاً كان لا يدعهما في طواف طافه بهما حتى يستلمهما ولقد زاحم على الركن ذات مرة في زحام شديد حتى رعف فخرج فغسل ثم رجع فما تركه حتى أستلمه وقال أحمد بن ميسره قال أخبرنا عبد المجيد أن ابن عمر قال له: أبي ليس هذا بواجب على الناس ولكنه كان يجب أن يصنع كما صنع النبي ﷺ^(١).

حتى نهاه ذات مرة بقوله يا عمر إنك رجل قوي تؤذي الضعيف فإذا رأيت خلوه فاستلمه وإلا فكبر وأمضي^(٢).

وذكر عن بعض العلماء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمثل لأمر رسول الله ﷺ فكان يستلم الحجر الأسود والركن اليماني إذا وجد فجوة فإذا اشتد الزحام كبر كلما حاذاه فحري بنا الاقتداء بفعل النبي ﷺ وبهدي السلف الصالح من خلفائه الراشدين خاصة في المواقع التي يكثر فيها الزحام.

قال ابن عباس رضي الله عنه في ذلك: (إذا وجد المرء على الركن زحاماً فلا تؤذ ولا تؤذى)^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد / تحقيق العلامة محمد السفاريني الحنبلي / المكتب الإسلامي، بيروت،

الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ هـ ص ٤٤٤

(٢) نفس المصدر ص ٤٤٤

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٤

وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: وكل به سبعون ملكاً يعني الركن اليماني فمن قال: (اللهم أني أسالك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.. اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.. قالوا آمين) أخرجه ابن ماجه وغيره^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: على الركن اليماني ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما^(٢).

وزاد الإمام مجاهد رحمه الله ما قوله: من وضع يده على الركن اليماني ثم دعا استجيب له^(٣).

وقال الإمام نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا استلم الركن اليماني قال: بسم الله والله أكبر^(٤).

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه عن ابنه قال: (يا بني أدني من الركن اليماني فإنه باب من أبواب الجنة)^(٥).

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله أن النبي ﷺ كان إذا مر بالركن اليماني قال: اللهم أني أعوذ بك من الكفر والذل والفقر ومواقف الحزي في الدنيا

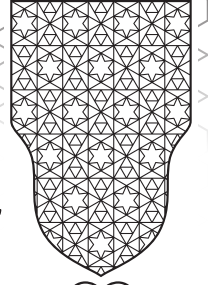
(١) سنن ابن ماجه ج٢ ص ٩٨٥ أبواب المناسك / باب فضل الطواف ٢٩٥٧

(٢) الفاسي / مصدر سابق ص ٢٨٥

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ص ٣٣٧

(٤) نفس المصدر ص ٣٣٨

(٥) الفاسي / مصدر سابق ص ٢٨٥



والآخرة ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
فقال رجل يا رسول الله أريت أن كنت عجلاً قال: وأن كنت أسرع
من برق الخلب^(١).

ففي كل هذه الأحاديث النبوية والروايات التاريخية الواردة عن النبي
ﷺ وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين رحمهم الله دلالة
على استحباب المسح على الركن اليماني إن أمكن والسلام عليه بما ورد فيها
من أدعية في كل طواف دون تراحم ومضايقة للحجاج والمعتمرين، وزاد
بعض العلماء استحباب ذلك في كل وتر قال بذلك الإمام الشافعي رحمه
الله^(٢) فإن ذلك يحط الخطايا خطأً.

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (مسح الحجر
الأسود والركن اليماني تحط الخطايا خطأً)^(٣) أخرجه الإمام أحمد بن
حنبل في مسنده وابن حبان في صحيحه.



(١) الخلب / السحاب الذي ليس فيه مطر - انظر الأزرق في مصدر سابق ص ٣٣٩

(٢) الفاسي / مصدر سابق ص ٢٨٣

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢ ص ٤٤٤ باب مسند عبدالله بن عمر ج ٩ ص ٤٤٣ رقم

الحديث ٥٦٢١



باب الكعبة

(باب الكعبة المشرفة) باب مبارك خاصة وأنه من المواقع التي يستجاب عندها الدعاء^(١). قرب الملتزم وعنده صلى آدم عليه السلام بعد أن طاف بالكعبة بعد اكتمال بنائها مستغفراً ربه عن خطيئته في الجنة ثم دعى بدعائه المشهور (اللهم.. إنك تعلم سريري وعلايتي.. فأقبل معذرتي.. وتعلم ما في نفسي وما عندي فأغفر لي ذنبي.. اللهم.. إنك تعلم حاجتي.. فأقضي عني سؤالي.. اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي.. و يقينا صادقاً كي أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي.. والرضا بما قدرت وقضيت) فأوحى الله إليه حينها: (يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكففت عليه صنيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغني بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمه وإن كان لا يريد^(٢)) وقال ﷺ أيضاً: أمني جبريل عليه السلام عند باب الكعبة مرتين^(٣).

والباب الشريف للكعبة يقع في الجهة الشرقية من الكعبة، ويرتفع عن الشاذروان بحوالي ٢٢٢ سم وطول الباب نفسه ٣١٨ سم وعرضه

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٣٤

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٣٤١

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٩

١٧١ سم، وعمقه داخل الكعبة نصف متر تقريباً^(١).

وتعود قصة بناء باب الكعبة إلى زمن موغل في القدم وتحديدًا بعد بناء آدم للكعبة بفترة وجيزة على ما ذكره أحد المؤرخين المكيين بأنه لم يكن للكعبة باب عند بناء آدم لها بل هي حجرة مربعة الشكل لا باب لها مقفلة من جميع الجهات وأول من صنع للكعبة باباً هو حفيده أنوش بن شيث بن آدم عليهم السلام وقال بذلك الزبير بن بكار^(٢) وكان باباً مفتوحاً لا يغلق، وأضاف المؤرخ ابن هشام في السيرة النبوية نقلاً عن أستاذه الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله: (أن أول من صنع للكعبة باباً يغلق هو الملك تبع أحد ملوك اليمن وكان أيضاً هو أول من كسا الكعبة بثياب يمانية وأوصى ولاته من جرهم بالكعبة وأمرهم بتطهيرها وقيل أنه جعل لها باباً ومفتاحاً)^(٣). ويؤكد ذلك المؤرخ المكي الأزرق في كتابه أخبار مكة نقلاً من رواية ابن جرير الطبري حيث يقول: (كان تبع أول من كسا الكعبة كسوة كاملة، وجعل لها باباً يغلق، ولم يكن يغلق قبل ذلك وزاد بأن الملك تبع قال شعراً يمدح فيه البيت العتيق بعد أن مكث فيها عشرة أيام، وجعل لبابه إقليداً)^(٤). واختلف العلماء في أول من قام بتحلية باب الكعبة الشريف بالذهب.

(١) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠٥

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ١٧٥

(٣) ابن هشام / مصدر سابق

(٤) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠٥ إلى ص ٣٠٧

فوجد العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين بن محمد الفاسي رحمه الله في كتابه شفاء الغرام إشارة إلى أنه عبدالمطلب جد النبي ﷺ فبعدما حفر عن بئر زمزم وجد في أثناء حفره للبئر غزالين وسيفاً صنعا من الذهب كان ساسان ملك الفرس قد أهدهما للحرم ووضعها قرب بئر زمزم، ولما دفن البئر مع مرور الأيام دفنت هي أيضاً مع البئر، فوجدها عبدالمطلب أثناء حفره وأستخرجها ليجده فرصة عظيمة لن تتكرر فأعاد صهرها ليصنع منها باباً للكعبة محلاً بالذهب تعظيماً ومهابة^(١). بينما ذهب بعض العلماء إلى أن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك هو أول من حلّى الباب بالذهب بعد أن بعث إلى واليه على الحجاز بستة وثلاثون ألف دينار وأمره أن يضرب منها على باب الكعبة صفحاً من ذهب^(٢).

واتفق المؤرخين على أن أول من جعل للكعبة بايين شرقي وغربي في الإسلام هو الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أثناء خلافته التي لم تستمر طويلاً حيث جعل الباب الأول للدخول قبالة زمزم شرق الكعبة والآخر للخروج في غربها، وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنه يريد من وراء ذلك تحقيق أمنية الرسول ﷺ لإعادة الكعبة على ما كانت عليه قبل بناء قريش أيام إبراهيم عليه السلام ولكن الخليفة الأموي

(١) المقدسي / مصدر سابق ص ٧١

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق (تاريخ مكة) ص ٣١ وانظر عمر سليمان العقيلي / تاريخ

الدولة الأموية / الجمعية التاريخية السعودية / الطبعة الأولى عام ١٤٢٧هـ ص ٢٢١

عبدالمملك بن مروان رحمه الله قام بإقفال الباب الآخر الغربي بناء على ما أوصى به الحجاج بن يوسف الثقفي اعتقاداً منه أن بناء ابن الزبير كان بهواً من نفسه وليس كما ذكر ثم قيل حتى أن عبدالمملك ندم بعد ذلك^(١) ندماً شديداً خاصة بعد أن أخبره أحد العلماء عن نية رسول الله ﷺ في ذلك وأنه لم يستطع لنقصان المال في بيت المال آنذاك.

واستمر خلفاء بني أمية ومن جاء بعدهم من السلاطين والملوك في العناية بالباب الشريف فهذا الوليد بن عبدالمملك يحليه بالذهب كما ذكرنا تكفيراً عما فعله والده عبدالمملك رحمه الله ثم نهج نهجه بقية السلاطين والخلفاء في الدولة الإسلامية حتى رأيناهم يتسابقون في تزيينه بالرخام والنقوش والآيات بل وتصفيحة بالذهب والفضة كلما سنحت لهم الفرصة لعمارة المسجد الحرام وكانت الأحوال الاقتصادية تسمح بذلك. ومما ذكره المؤرخين في ذلك أن الملك المظفر صاحب اليمن مثلاً قام بعمل باباً جديداً للكعبة عليه صفائح من فضة زنتها ستون رطلاً وكان ذلك في سنة ٦٥٩هـ.

وفي عام ٧٣٢هـ قام السلطان الناصر محمد بن فلاوون سلطان دولة المماليك بعمل باباً آخر للكعبة محلي بذهب قيمته خمسة وثلاثين ألف درهم. وفي عام ٨١٦هـ قام الملك المؤيد صاحب مصر بصناعة باباً للكعبة

(١) عمر سليمان العقيلي / مرجع سابق ص ٢٢١

محلاً بالذهب^(١) وبعدها بسنة أهدى للباب الشريف ستارة عظيمة الحسن
نقش عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله بلون أبيض)^(٢).

وفي عام ٩٦٤هـ خلع الباب السابق بأمر السلطان العثماني سليمان
الأول القانوني ووضع بدلاً عنه باباً جديداً حلاه بحلي كثيرة من
المجوهرات الثمينة.

وفي عام ١٠٤٥هـ عمل السلطان العثماني مراد الرابع باباً للكعبة جعل
فيه من الحلية الفضية^(٣) ما زنته ١٦٦ رطلاً، وطلّي بالذهب البندقي بما قيمته
ألف دينار صنعه في إسطنبول وقيل أنه بقي في الكعبة حتى أبدله السلطان
العثماني مراد خان أو مراد الخامس بعد عام ١٢٩٣هـ.

وفي عام ١٣٦٣هـ قام المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز آل سعود
بصناعة باب من الفضة الخالصة مزين بآيات قرآنية منقوشه بأحرف من
الذهب الخالص وتم تركيب هذا الباب في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٦هـ^(٤).

وفي عهد المغفور له بإذن الله الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود حين
تحسنت الأوضاع الاقتصادية السعودية وازدهرت النهضة في البلاد أمر

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠٧

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٤

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠٥

(٤) محمد بن عبدالله السبيل / نبذة وجيزة عن عمارة الحرمين الشريفين الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

رحمه الله بصنع باب جديد للكعبة يتكون من الذهب الخالص صنعة له الصائغ أحمد بن إبراهيم البدر وقدر ما استخدم فيه من الذهب للباب الخارجي والداخلي «باب التوبة» بحوالي ٢٨٠ كيلو جرام عيار ٩٩, ٩٩ بتكلفة إجمالية بلغت ١٣ مليون و٤٢٠ ألف ريال واستغرق العمل التنفيذي فيه ابتداء من غرة ذي الحجة عام ١٣٩٨ هـ حوالي ١٢ شهراً.

ويتألف الهيكل الإنشائي لهذا الباب الشريف من قاعدة خشبية بسماكة ١٠ سم مثبت عليها صفائح الذهب الخالص المزخرف بطول ١٠, ٣م وعرض ٩٠, ١م وارتفاعه من المطاف ٢٥, ٢م أما باب التوبة الداخلي في جوف الكعبة فطوله ٣٠, ٢م وعرضه ٧٠ سم وكتب على الباب من الخارج والداخل بعض الآيات القرآنية لتذكر الواقفين أمامه بجلالة الموقف وعظمة المقام وأنهم على باب بيت الله الغفور الرحيم الذي ترفع إليه الدعوات وتطلب منه الرحمات وتسكب له العبرات فمن الواقف على عتبته طلب ورجاء ومن الله عز وجل عطاء وعطاء فما أعظمه من موقف وما أجله من عطاء.

بينما نقش على الزاويتين العلويتين لهذا الباب ((الله جل جلاله ومحمد ﷺ)).

ونقش على مقبض الباب: (الله أكبر) ونقش تحت القفل سورة الفاتحة وكتب صنع الباب السابق في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك

عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل سعود سنة ١٣٦٣ هـ وكتب تحتها: صنع هذا الباب في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٩٩ هـ ونقش على جوانبه أسماء الله الحسنى^(١).

وللباب الموجود حالياً مفتاح مصنوع من الذهب الخالص بطول ٤٠ سم يودع لدى بني شيبه الذين هم سدنة الكعبة كما هي وصية النبي ﷺ ولا تزال هذه الأسرة المباركة تنال شرف حفظ المفتاح الشريف إلى الآن كيف لا وهي الأسرة التي اختصها الله تعالى بقوله الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٢) بعدها قال لهم رسول الله ﷺ في يوم فتح مكة: ((خذوها يا بني طلحة خذوا ما أعطاكم الله ورسوله تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم)).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (أن رسول الله ﷺ خرج من الكعبة يومئذ وهو يتلو هذه الآية فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك)^(٣).

واليوم يحفظ المفتاح لديهم في حقيبة حريرية مطرزة بالذهب الخالص والتي يجهزها مصنع الكسوة سنوياً مكتوباً عليها: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)) ومكتوب عليها من الجانب الآخر أمر بصنعه

(١) د/ محمد عبد الغني / مرجع سابق ص ٨٥

(٢) سورة النساء آية ٥٨

(٣) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٦٣

خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله.
وللباب الشريف أيضاً قفل خاص أعيدت صناعته في سنة ١٣٩٩ هـ
بمواصفات القفل القديم الذي يعود تاريخه إلى عهد السلطان عبدالحميد
العثماني سنة ١٣٠٩ هـ مع التعديل الذي يناسب التصميم الخاص بالباب
الجديد لزيادة ضمان الإغلاق ودون الحاجة إلى صيانة وطول هذا القفل
٣٤ سم وعرض كل ضلع منه ٦ سم وفي كل ضلع قطعة من النحاس
الأصفر طولها ٨ سم وعرضها ٢ سم محفور عليها العبارة التالية «صنع في
عهد خالد بن عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٩٩ هـ»^(١).



الشاذروان

جاء في كتب اللغة أن (الشاذرون) بفتح الذال المعجمة وكسرهما وسكون الراء^(١) لفظة فارسية^(٢) وتعني الحجارة المائلة المتصقة بحائط الكعبة^(٣) من جوانبها السفلي الثلاثة أما من جهة الحجر فليس بشاذروان إنما هو عتبه من أصل الكعبة^(٤) لأن قريشاً أنقضتها يوم إعادة بنائها من هذه الجهة يقول الإمام النووي رحمه الله (ارتفاع الشاذروان عن الأرض في بعض المواضع نحو ٣ سم وفي بعضها الآخر نحو ٥ سم ، وعرضه في بعضها الآخر نحو ٥ سم ، وفي بعضها الآخر نحو ٢ سم)^(٥) ويوافق هذا الرأي ما ذكره المؤرخ المكي أبي الطيب الفاسي رحمه الله في كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (أن ارتفاعه عن أرض المطاف من جهة الكعبة ربع ذراع وثمان الذراع وعرضه في هذه الجهة نصف ذراع وربع ذراع وطوله في السماء ستة عشر أصبعاً وعرضه ذراع)^(٦) وربما أن التغير

(١) النووي / يحيى زكريا محي الدين / تهذيب الأسماء واللغات / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / طبعة مزيدة ومنقحة ص ١٧١

(٢) محمود أحمد الدوسري / مرجع سابق ص ٤٥

(٣) الفاسي / مصدر سابق ص ١٩٠

(٤) محمود أحمد الدوسري / مرجع سابق ص ٤٥

(٥) النووي / مصدر سابق ص ١٧٢

(٦) الفاسي / مصدر سابق ج ٦ ص ١٩٠

البيسط فيما بين القياسين للشاذروان يعود إلى الفارق الزمني في البناء بين عهد النووي والفاسي رحمه الله.

و الشاذروان غالباً ما يتكون في بنائه من الأحجار الملاصقة للكعبة والتي يكون عليها البناء المسنم المرخم من جوانبها الأربعة وعدد حجارة الشاذروان الأصلية تحت الرخام ثمانية وستون حجراً^(١) وأضاف المؤرخ المكي أبي الطيب الفاسي رحمه الله أيضاً بأن قريشاً قامت بانقاص الشاذروان من أساس جدار الكعبة حتى ظهر على الأرض كما هي عادة الناس في الأبنية آنذاك^(٢) ولم يعلم متى كان ابتداء العناية ببناء الشاذروان وترميمه فلم يبين مرة واحدة وإنما بني على عدة دفعات فقليل أنه بني في سنة ٥٤١هـ / ١٦٤٦م في عهد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله^(٣) رحمه الله وبني أيضاً في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٣٦هـ على ما ذكره ابن خليل في منسكه وقل أيضاً أنه بني في سنة ٦٦٠هـ وسنة ٦٧٠هـ^(٤) إبان سيطرة المماليك على الحجاز وكان بناء الشاذروان في جميع هذه الأوقات غالباً ما يأخذ شكل المصطبة المرتفعة عن سطح الأرض فطاف عليه بعض العوام

(١) الأزرقي / مصدر سابق، ج ٢ ص ٣٠٨

(٢) الفاسي / مصدر سابق، ص ١٨٨

(٣) مجموعة من المؤلفين / تاريخ الدولتين الأموية والعباسية / مطابع جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، الرياض، ص ١٤٦

(٤) الفاسي / مصدر سابق ص ١٨٩

اعتقاداً منهم بعلو مكانته عن بقية صحن الحرم لذلك حشي العلماء من مغبة ذلك فاتخذوا عليه ما يمنع من الطواف عليه^(١) بل أن بعض العلماء في ذلك الوقت وجدناهم قد اختلفوا فيما بينهم في حكم الشاذروان من الطواف وهل هو من البيت أم لا ؟

فعلماء الشافعية مثلاً قالوا بوجوب الاحتراز منه، وعدم أجزاء طواف من لم يحترز منه، وهو مقتضى مذهب المالكية أيضاً.
وأما علماء الحنابلة فيرون أن الاحتراز منه مطلوب إلا أن عدم الاحتراز لا يفسد الطواف.

وذهب الإمام أبي حنيفة النعمان إلى أن الشاذروان ليس من البيت والله أعلم^(٢) ويوافقه على هذا الرأي بعض العلماء مستدلين على ذلك بأن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حين بنى الكعبة بناها على أساس بناء إبراهيم عليه السلام والله أعلم^(٣).

ولأن الدولة السعودية اليوم قائمة على المذهب الحنبلي لا تؤيد هذه البدع والخرافات التي سادت في الحرم المكي منذ عهد الفاطميين والمماليك في أرض الحرم المكي فقد قامت حفظها الله أثناء التوسعة الأولى للحرم بإعادة بناء الشاذروان ليكون في لصق جدار الكعبة مما صعب الطواف

(١) الفاسي / مصدر سابق ص ١٩٠

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٨٨

(٣) نفس المصدر ص ١٨٩

عليه وخاصة بعد أن تمت تغطية جداره بالرخام الأبيض وجدد بعد ذلك في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله أثناء التوسعة الثانية للحرم المكي سنة ١٤١٧ هـ. وقد ثبتوا عليه مقابض دائرية الشكل مطلية بالذهب الخالص ليشد بها ستارة الكعبة من الأسفل^(١).



الميزاب

(الميزاب) هو وعاء مثبت على سطح الكعبة من الجهة الشمالية يمتد نحو حجر إسماعيل عليه السلام بطول مترين تقريباً وبارتفاع ٢٣ سم وعرض ٢٦ سم^(١) ليقوم بتصريف المياه المتجمعة على سطح الكعبة إلى الأرض بدلاً من بقائها فوق السطح فيؤثر ذلك على بناء الكعبة.

وكان ﷺ إذا حاذى الميزاب بين الركنين أثناء الطواف يقول في دعائه (اللهم أني أسألك رحمة عند الموت والعفو عند الحساب)^(٢)

أما ما ورد عن سيرة صناعة الميزاب التاريخية فيذكر لنا العلامة أبي الطيب الفاسي رحمه الله أن أول ميزاب وضع على سطح الكعبة صنع من خشب و كانت قريش هي أول من وضعته بعد اكتمال بنائها ليتمكن من تصريف مياه الأمطار حال هطولها^(٣) وكانت الكعبة قبل ذلك بلا سقف ولما أعاد الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بناء الكعبة على بناء إبراهيم عليه السلام أثناء خلافته قام بعمل ميزاب آخر للكعبة عند اكتمال بنائه لها فوضعه موضعه السابق وجعل مصبة إلى خارج حجر

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٢٨٩

(٢) ريان مقلان، ومصطفى حكيم / صحيفة مكة / العدد ٤٥ السنة الأولى / الأربعاء / ربيع

الآخر ١٤٣٥ هـ

(٣) الفاسي / مصدر سابق ص ١٩٣

إسماعيل عليه السلام ثم غيره الحجاج الثقفي بعد ذلك عندما عاد هو الآخر بنائها على ما كان عليه في عهد قريش فجعله يصب داخل الحجر الإسماعيلي.

وبينت المصادر التاريخية أيضاً أن أول من صفحه من خلفاء المسلمين بصفائح ذهبية من خارجه والرصاص من داخله هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك رحمه الله حتى قيل أنه استخدم لذلك الذهب الموجود في مائدة النبي سليمان عليه السلام والتي حملت إليه في دمشق من مدينة طليطلة في بلاد الأندلس بعد أن فتحت وقيل أنها كانت مائدة ذات أطواق من ياقوت وزبرجد^(١) وأكبر دليل على صدق هذه الرواية محاولة سرقة من القرامطة الشيعة عندما غزو الكعبة سنة ٣١٧ هـ فلو لم يكن مصفحاً بالذهب لما حاولو سرقة ولكن حماية الله له منعت القرامطة من سرقة عندما أصيب من حاول سرقة بسهم من جبل أبي قبيس قبل أن يقلعه^(٢). وأفاد بعض المؤرخين أنه عبر الأزمنة التاريخية المتعاقبة دائماً ما يقع تغيير وتبديل للميزاب أما لما يعتريه من خراب وأما لأن بعض خلفاء المسلمين العظماء أو الأثرياء الأتقياء يغيره ليهدي الكعبة غيره وينزع الذي قبله.

(١) نفس المصدر سابق ص ١٩٣

(٢) السيد ضياء عطار / آيات المسجد الحرام / كنوز المعرفة - جده ص ٢٩٣

فمثلاً وجدنا أن معظم خلفاء الدولة العباسية قد اهتموا بنقش أسمائهم عليه تخليداً لذكراهم في أقدس موقع على وجه الأرض وكانوا يصنعون ميازيبهم من خشب مبطن بالرصاص ومن ذلك الميزاب الذي صنع في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله سنة ٥٤١هـ / ١٦٤٦م وميزاب آخر عمله الشريف رهيته صاحب مكة قبل ميزاب المقتفي لأمر الله وميزاب صنعه الناصر لدين الله العباسي ٥٧٥هـ / ٦٢٢هـ وقيل أن السلطان العثماني سليمان القانوني ٩٢٦هـ - ٩٧٤هـ أمر بنقله إلى خزانة الروم ولكن بنو شيبه جعلوه يعدل عن رأيه^(١) ليبقى لديهم في مكة وميزاب رابع صنع في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٧٩م. صنعه الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله^(٢) وكان قد صنع من الخشب وتم تبطينه من الداخل بالرصاص والفضة والذهب وميزاب خامس أهدها للكعبة المشرفة الوجيه الثري أبو القاسم إبراهيم بن حسين رامشت منشي الرباط المشهور باسمه^(٣).

ولما جاء العصر العثماني أثناء القرن العاشر الهجري كان أمراءهم المحليين

(١) الشيخ / جمعه بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي / تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام / تحقيق د/ عبدالملك بن دهيش / ج ١ ص ١٤٤

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٧٣

(٣) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٢٩٣

يصطحبون معهم ميزاباً إلى مكة عند زيارتهم لها لأداء مناسك الحج من كل سنة عبر المحمل العثماني يكون محلي بالذهب يصنعه العثمانيون في الاستانة ليجعلوه مكان الميزاب القديم، ويحتفلون بذلك حال تركيبه في احتفالية مهيبية ثم يحملون معهم الميزاب القديم إلى الاستانة عند رجوعهم من الحج^(١) ومن تلك الميازيب العثمانية ميزاب صنع في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥١م وميزاب آخر أحضر من مصر عام ٩٦٢هـ / ١٥٥٤م وميزاب صنع في عهد السلطان أحمد الأول عام ١٠٢١هـ / ١٦١٢م صنعه له المهندس حسن أغا استخدم في صناعته الفضة ونقش بالذهب والمينا الأزوردي^(٢) وميزاباً عمله السلطان عبد الحميد الأول بن السلطان محمود الثاني عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م والذي تم إرساله بصحبة الحاج رضا باشا عام ١٨٥٩م في محملهم العثماني إلى مكة وكان مصفحاً بالذهب ثم أدخلت على هذا الميزاب ترميمات جزيلة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله استخدم فيها في المسامير العلوية المانعة لوقوف الحمام عليه وصفحت جوانبه المعمولة من خشب التك بصفائح من ذهب عيار ٢٤ قيراط تم ذلك حين رمم سطح الكعبة المشرفة في التوسعة السعودية الأولى وليأخذ هذا الميزاب شكلاً مستطيلاً مفتوحاً من

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ و ٢ ص ٣٧ و ص ٦٠٥

(٢) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٢٩٤

أعلاه مما يلي السماء ومن مؤخرته مما يلي سطح الكعبة وكذلك من مقدمته مما يلي حجر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وبلغ طول هذا الميزاب ٢٨, ٢م منها ٥٨سم في داخل الجدار، وعرضه ٢٥سم وارتفاعه ٢١سم. وذكر أحد المؤرخين أنه تم استبدال ذلك الميزاب أثناء عمارة الكعبة المشرفة سنة ١٤١٧هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله بميزاب أحدث من الميزاب العثماني السابق كتب في مقدمته (بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله)^(١) وكتب في جانبه الأيسر: جدد هذا الميزاب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وفي جانبه العلوي: غرست مسامير لمنع الطيور من الوقوف عليه وهو ميزاب ملبس بالذهب بطول ٥٨سم وارتفاع ٢٣سم وعرض ٢٦سم ودخوله في جدار الكعبة بمقدار ٥٨سم^(٢).



(١) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٢٩٥

(٢) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٥٠

كسوة الكعبة

ورد في كتب اللغة أن الكسوة بكسر الكاف وضمها واحدة الكسا، وكسوته ثوباً كسوة بالكسر فأكتسى والكساء واحد الأكسية وتكسى بالكساء لله^(١).

وكسوة الكعبة: هي الثوب أو القماش الأسود المطرز بالآيات القرآنية والنقوش الإسلامية المنقوشة بماء الذهب لتكسى به الكعبة المشرفة في التاسع من ذي الحجة من كل سنة.

وتاريخ الكسوة للكعبة جزء لا يتجزأ من تاريخ الكعبة نفسها نظراً لأن الاهتمام بكسوة الكعبة يعكس مدى اهتمام المسلمين بها، من أجل تقديسها، وتشريفها، وبيان مكانتها الرفيعة في نفوسهم^(٢) ويعد ذلك واجباً دينياً.. وقد جرت العادة كسوة الكعبة تقديساً لها من قبل الإسلام وبعده.. واختلف المؤرخون فيمن كسا الكعبة أولاً فذكر بعضهم أنه إسماعيل عليه السلام بحسب رواية ابن جريج يرحمه الله وقيل أنه عدنان بن إد^(٣) كما زعم الزبير بن بكار في كتاب النسب وقيل أن أول من كسا الكعبة هو تبع أبو كرب أسعد الملك العربي اليميني الحميري حين رأى في منامه أنه يكسوا الكعبة لذلك وعند

(١) محمد الرازي / مرجع سابق ص ٤١٥

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٤٤ (تاريخ مكة)

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٢

عودته من غزوته ليثرب في عام ٢٢٠ ميلادي بأدر لتحقيق رؤيته فكساها المسوح والانطاع^(١) ثم خشي أن يؤثر ذلك في بناء الكعبة فكساها الملاء والوصائل وهي ثياب موصله بعضها ببعض من ثياب اليمن^(٢)

وذكر ابن اسحاق وابن جريج أنه كساها القصب^(٣) اليمني.

وذكر الفاسي رحمه الله رأياً آخر له نقله عن السهيلي وعن الماوردي في الأحكام السلطانية أن أول من كسا الكعبة هو خالد بن جعفر بن كلاب فيما إتجه آخرون إلى أنها أم العباس ابن عبدالمطلب فتيلة بنت حباب عندما نذرت بأنها إذا وجدت ابنها العباس (بعد أن ضاع عليها وهو صغير) أن تكسو الكعبة، فلما وجدته كستها الديباج الأبيض الخراساني، والديباج الأحمر على ما ذكره عبد ربه في العقد الفريد^(٤).

ولما للكعبة المشرفة من أهمية في قلوب العرب منذ أيام الجاهلية وحتى العصر الإسلامي وجدنا معظم الملوك والسلاطين وحتى رؤساء القبائل يتسابقون على التفنن في كسوة الكعبة فقد ذكر أن عدداً من هؤلاء الملوك في الجاهلية كسو الكعبة بأنواع مختلفة من الجلود والأقمشة مثل: الخصف^(٥)

(١) الأنطاع / بساط الأديم من الجلد

(٢) علي حسني الخربوطي / تاريخ الكعبة / دار الجيل / بيروت ص ١٧٥

(٣) الغصب: ثياب يمانية موشقه بالقصب

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٢

(٥) الخصف / جمع خصفه وهو الثوب الغليظ بضع من سعف النخل

والمعافر^(١) والملاء^(٢) والبرود^(٣) والخز^(٤) والحبره^(٥) والأنباط^(٦) والكرار^(٧) والشعر^(٨) والنهارق العراقية^(٩) والقباطي المصرية^(١٠) وكانت هذه الكسى تعلق على جدار الكعبة من الخارج^(١١) وعند تجديدها فإن ما بقي من هذه الكسى يوضع في جوف الكعبة احتراماً لها^(١٢) ومهابة ورفعاً وأما إذا بلي منها شيء أو غرق واهترى أو تلف بفعل الأمطار والغبار أو الشمس أزيل عن الكعبة ودفن في الأرض تقديساً لمقام الكعبة المشرفة فبرغم ما هو سائد آنذاك من أنجاس الشرك إلا أن احترامهم للكعبة ما زال في قلوبهم^(١٣) قائماً بحكم أنها بيت الله الأعظم القادر على كل شيء.

(١) المعافر / نسبة إلى بلد في اليمن يحضر منه الثياب المعافرية

(٢) الملاء / جمع ملاية وهو ثوب لين رشيق

(٣) البرود / جمع برده ثياب من اليمن

(٤) الخز / ما ينسج من صوف وهو أحسن الحرير أو الحرير الخام

(٥) الحبره / جمعها حبرات وهو نوع من البرود مخططاً ويحضر من اليمن

(٦) الأنباط / وأحدها نمط وتضرب من البسط

(٧) الكرار / لباس مكون من خيوط يصنع في مادبا بالأردن

(٨) الشعر / ثياب يصنع من شعر الحيوانات أو تجمع وتنسج من خيوط كالشعر

(٩) النهارق / ثياب تحضر من قرب الكوفة بالعراق ووردت في القرآن الكريم بمعنى الوسائد

(١٠) القباطي / جمع قبطه وهو ثوب رقيق أبيض ينسب إلى أقباط مصر

(١١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ١٩٩ و ص ٢٠١

(١٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٢٤٩

(١٣) المبارك فوري / مصدر سابق ص ٤٣ (تاريخ مكة)

وذكرت كتب التاريخ القديم بأن القبائل العربية قبل الإسلام بفترة وجيزة كانت هي أيضا تتشارك وتتابع وتترافد في كسوة الكعبة قدر احتمالها منذ عهد زعيم قبيلة قريش المشهورة حينئذ قصي بن كلاب الجد الخامس لرسول الله ﷺ حتى جاء الأعرابي أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الذي عرف بتجارته وثرائه في العصر الجاهلي فتعهد بكسوة الكعبة لوحده سنة نظراً لثرائه الفاحش وجميع أفراد قريش في سنة أخرى واستمر في ذلك حتى مات وتكريماً له قامت قريش بتلقيه بلقب «العدل» وقيل لولده من بعده بنو العدل^(١) وبحسب ما ذكره المؤرخون فإن قبيلة قريش المكية كانت هي المتولية زعامة الأشراف على كسوة الكعبة سنوياً يوم الحج الأكبر بحكم موقعها قرب الكعبة ولطالما تفاخرت بذلك الشرف بين القبائل العربية الأخرى وبناء على ذلك فقد تعودت هذه القبيلة المكية أن تكسو الكعبة في يوم عاشوراء وإذا ذهب آخر الحجاج في كل سنة وكان بنو هاشم منهم يعلقون على الكعبة القمص من الديباج للكسوة في يوم التروية لأن الناس كانوا يرون ذلك بهاء وجمالاً فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار^(٢) وكانوا يقصدون من وراء ذلك أن لا تتسخ الكسوة وقت طواف الحجاج أو تتقطع جراء التعلق بها.

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢٤٩١

(٢) نفس المصدر / ص ٢٥٠

وعندما جاء الله تعالى بنور الإسلام في مكة المكرمة لم يسمح كفار قريش للرسول ﷺ ولا لصحابته رضوان الله عليهم بكسوة الكعبة ولا حتى الاقتراب منها نظراً لحقدهم وغضبهم على الدعوة الإسلامية ولما أذن الله للمسلمين بفتح مكة في السنة التاسعة من الهجرة النبوية لم يغير الرسول ﷺ كسوتها التي كانت عليها حتى أصابها الحريق ذات مرة على يد امرأة كانت تريد تبخيرها بالمجمر فاحترقت بعد أن تطاير الشرر عليها فقام ﷺ فكساها الثياب اليمانية وفعل ذلك أيضاً من بعده الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم اقتداء بما فعله ﷺ فقل أن أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كسوها القباطي وهي ثياب تحضر من مصر خصيصاً لهذا الغرض وذكر بعض المؤرخين أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامله على مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه بحياكة كسوتها من هذه الثياب البيضاء التي تشتهر بها مصر وتسمى القباطي^(١) وذكروا أيضاً أنه رضي الله عنه كان ينزع كسوة الكعبة القديمة في كل سنة في موسم الحج ثم يأخذها بنفسه ويقسمها على الحجاج المحتاجين في المشاعر المقدسة ليستظلوا بها بعد تعليقها على شجر السمر في يوم عرفة فقد ورد عن أبي مليكة ما قوله (كان جوف الكعبة مليء بكسي كثيرة بعضها فوق بعض من كسي الجاهلية وصدر الإسلام فخفف عنها الشيء بعد الشيء)

(١) الأزرق / مصدر سابق س ٢٥٠.

(١) وبينت المصادر التاريخية أيضاً أنه لما جاء عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه كان هو أول من ظاهر لها بين كسوتين^(٢) كما بينت المصادر أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رحمه الله اشتهر وتفرد عن بقية الخلفاء يكسوه الكعبة مرتين سنوياً في يوم عاشورا وفي آخر شهر رمضان فكان يكسوها بالديباج الخرساني وهي ثياب تنسب إلى خرسان بلاد فارس^(٣) أحضرت منها بعد أن من الله بفتحها في عهد الفاروق رضي الله عنه.

ونهج نهجه بقية خلفاء بني أمية فتسابقوا فيما بينهم لأجل كسوه الكعبة وخاصة عند قيامهم بعمارة المسجد الحرام، وحذا حذوهم خلفاء الدولة العباسية من بعدهم فقد بينت المصادر أن المأمون رحمه الله [١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ] كان يكسو الكعبة ثلاث مرات في السنة بأنواع مختلفة من الجلود والأقمشة^(٤) مثل الديباج الخرساني الأحمر في يوم التروية والقباطي المصري يوم هلال رجب والديباج الأحمر ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان^(٥) وتفرد أيضاً الخليفة الناصر لدين الله العباسي رحمه الله (٥٧٥ هـ

(١) نفس المصدر ص ٢٥٧ و ص ٢٥٨

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٠

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٤) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٥ (تاريخ مكة)

(٥) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٢٥٥

- ٦٢٢هـ) بكسوة الكعبة كسوة ذات لونين مختلفين سوداء وخضراء مطرزة بطراز أصفر وكان قبل ذلك لون الكسوة أبيض أو أحمر، وفي سنة ٦٤٣هـ في عهد آخر خلفاء الدولة العباسية المستعصم بالله كسيت الكعبة بثياب من قطن مصبوغة باللون الأسود كساها شيخ الحرم المكي العفيف منصور بن منعه البغدادي وكتب عليها بعض آيات القرآن الكريم^(١).

وتتابع بعد ذلك السلاطين وملوك الدول الإسلامية المستقلين عن الدولة العباسية في كسوة الكعبة خاصة ملوك مصر واليمن مثل السلطان الظاهر بيبرس سلطان المماليك، والملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد قلاوون حتى قيل أنه أمر بتخصيص وقف كامل في مصر لصناعة كسوة الكعبة [خاصة بعد سيطرتهم على بلاد الحجاز] وكانت ترسل من مصر إلى مكة في محمل مهيب سنوي محمل بالهدايا الخاصة للكعبة المشرفة^(٢) واستمر هذا المحمل المملوكي يأتي سنوياً إلى مكة حاملاً معه كسوة الكعبة من القاهرة بموكبه المهيب حتى استولى العثمانيون الاتراك على مصر^(٣) فأمر والي مصر العثماني محمد علي باشا بإلغاء تلك الأوقاف المخصصة لصناعة الكسوة وتحويل أموالها إلى خزانة الحكومة المصرية

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٤ (تاريخ مكة)

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور / مصر و الشام في عصر الأيوبيين المماليك، دار النهضة، بيروت

والاكتفاء بتخصيص مبلغاً مالياً من الخزانة المصرية ليصنع منه كسوة الكعبة بدلاً من تلك الأوقاف^(١) مع استمرارية إرسال المحمل من القاهرة إلى مكة المكرمة سنوياً وبعد دخول الإمام سعود الكبير بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله للحجاز وضمها إلى سلطان الدولة السعودية الأولى في سنة ١٢٢٠ هـ تكفل هو بكسوتها من القز الأحمر والقبلان ونتيجة لما يحصل في هذا المحمل القادم من القاهرة من البدع والخرافات التي كانت تحاربها الدعوة الإصلاحية في نجد فقد أمر رحمه الله بمنع المحمل المصري من الدخول إلى الأراضي المقدسة إلا بعد أن يكفو عن تلك البدع ونظراً لعدم وفائهم بهذا وإصرار قادة المحمل المصري على أن تصحب حملاتهم للحج قوات عسكرية الأمر الذي راته الدولة السعودية الأولى تهديداً لسلطانها في الحجاز وسبباً في إثارة البدع بين الناس فقد أثر ذلك على العلاقات بين البلدين آنذاك مما أدى بالتالي إلى إصدار السلطان العثماني حينها فرماناً يقضي بأن يقوم وإليه على مصر محمد علي باشا بإرسال حملات عسكرية متتابعة للقضاء على هذه الدولة وهي ما زالت في طور البناء والنهوض^(٢) وتحقيق له ذلك في سنة ١٢٣٤ هـ وعلى أثر ذلك تمكنت الدولة العثمانية بجيوشها المصرية من استرداد الحجاز مرة أخرى إلى سلطانها لتتمكن بعدها

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٥٤٢

(٢) د/ عبدالله صالح العثيمين / تاريخ المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ

من إعادة حملها السنوي لكسوة الكعبة والذي كان يحضر من اسطنبول^(١) وبما يحمله ذلك المحمل من بدع وخرافات بعيدة عن الدين الإسلامي واستمر الوضع على ما هو عليه حتى من الله على الحرمين الشريفين بقدم الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه والذي تكفل بدوره بكسوة الكعبة من القز الأحمر والقيلان^(٢) من ماله الخاص ولما استقرت الأمور وبسط الأمن قررت حكومة جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله أن تشرع في فتح أبواب لصناعة كسوة الكعبة محلياً، فقام ولده الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله بإنشاء دار خاصة لصناعة عمل الكسوة ومقرها مكة المكرمة^(٣) بحي أجياد عند دار وزارة المالية العمومية آنذاك وكان ذلك في عام ١٣٤٦ هـ وبهذا تكون أول دار خصصت لحياكة الكسوة بالحجاز منذ أن كسيت الكعبة في العصر الجاهلي إلى العصر الحالي بالإضافة إلى الأوقاف المصرية السابقة الذكر وفي ذلك يقول المؤرخ المشهور بشؤون الحرمين الدكتور محمد الياس عبدالغني بأن المصنع باشر نشاطه في صناعة الكسوة وحياكتها محلياً ولكن ولسوء الأوضاع الاقتصادية آنذاك فقد توقف نشاطه فترة من الزمن حتى أعيد تشغيله سنة ١٣٨٢ هـ^(٤) مع

(١) الأزرقى / مصدر سابق جـ ١ ص ٢٥٦

(٢) القيلان: أقمشة ذات لون أسود

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٦ (تاريخ مكة)

(٤) د/ محمد عبدالغني / مصدر سابق ص ٦٠

بداية النهضة السعودية الحديثة بعد أن أمر الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود بتجديده وتطويره^(١) ليأخذ بعد ذلك أبناء المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله على عاتقهم هم صناعة كسوة الكعبة فأولوها اهتماماً ورعاية ومتابعة فشهد لذلك مصنع كسوة الكعبة بمكة عدة توسعات^(٢).
ففي عام ١٣٩٧هـ وتحديداً في عهد المغفور له الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله تم افتتاح المبنى الجديد لمصنع أم الجود في مكة المكرمة^(٣) حيث تم تزويد المصنع بتقنيات عالية رفيعة المستوى لصناعة كسوة الكعبة المشرفة كما تم تجهيز المصنع بمكائن خاصة لنسج الحرير.

أعلم أخي القارئ الكريم :

أن هذه الكسوة التي تصنع في هذا المصنع التي نراها اليوم وبهذا الجمال تكون قد مرت في صناعتها بالمصنع بمراحل عديدة حتى وصلت إلى هذا المستوى من الدقة والجمال بدأ من الصياغة التي يقوم بها قسم المصبغة حيث تتم إزالة المادة العالقة بخيوط الحرير (السرسين) عن طريق أحواض ساخنة ومواد كيميائية خاصة وبحرارة معينة لضمان ثبات اللون المطلوب ثم تغسل البطانة القطنية الخاصة بالكسوة وبعد ذلك يتم صباغة

(١) مقال كسوة الكعبة خير صفة وخير رفعة / مجلة طيران ناس / العدد ١٧ / رمضان، شوال

/ ١٤٣٧هـ ص ٢٢

(٢) الأزرق / مصدر سابق ص ٢٥٦ ج ١

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٦ (تاريخ مكة)

الحرير باللون الأسود بالنسبة للثوب الخارجي للكعبة أو اللون الأخضر للستارة الداخلية، وبعد مرحلة الصباغة يقوم المختبر بفحص الخيوط الحريرية والقطنية المستخدمة من أجل التأكد من مطابقتها للمواصفات القياسية المطلوبة من حيث قوة شد الخيوط الحريرية ومقاومتها لتتنقل بعد ذلك إلى مرحلة النسيج.

وكان المصنع قبل ذلك يستخدم الطريقة القديمة وآلية الصناعة اليدوية التقليدية المتمثلة في تفريغ بكرات الخيوط القطنية وتحويلها إلى سلك لسهولة صبغها باللون المطلوب ومن ثم إعادة لفها يدويا على بكرات لاستخدامها في حشوات الآيات القرآنية المقصبة والزخارف الإسلامية الفضية والذهبية إلا أن المصنع اليوم بعد أن وظف لكسوة الكعبة أحدث مكائن النسيج العالمية المتطورة والتي تعمل من خلال أنظمة الكترونية لمنح القماش نقوشه الهائلة، وبعد هاتين المرحلتين يأتي دور الصناعة لوضع الرسم الأول وطباعة الآيات القرآنية والزخارف الإسلامية وفيها يتم تجهيز النسيج عبر ضلعين متقابلين من الخشب المتين ثم يشد عليهما قماش البطانة الخام ليثبت عليه قماش حرير أسود سادة غير منقوش وهو الذي يصنع عليه أيضاً حزام الكسوة وستارة باب الكعبة وكافة المطرقات ليتولى العمال بعد اكتمال التثبيت طباعة الآيات القرآنية بواسطة استخدام سلك السكرين مع الحبر الأبيض والأصفر.

فيما يتولى قسم تطريز الحزام مهمة تطريز المذهبات والفضيات والزخارف الإسلامية البديعة التي تراها على الكسوة وفي هذا القسم يشد القماش على المنسج ليبدأ التطريز أمهر الفنين بعمل الغرز اللازمة والحشو والقبقة وذلك باستخدام أسلاك فضية مطلية بالذهب ويتم في ذلك تطريز ١٢ قنديل وسورة الإخلاص من كل جانب و١٦ قطعة لحزام الكعبة و٦ قطع لما تحت الحزام إضافة إلى الستارة الخارجية لباب الكعبة وفي آخر الأمر تتم عملية تجميع كل القطع من طاقات قماش الحرير لكل جنب من جوانب الكعبة المعظمة الأربعة وتوصيلها ببعضها البعض وفي هذه المرحلة يتم أيضاً تثبيت القطع المذهبة من أحزمة وقناديل على الثوب الأسود وذلك باستخدام أحدث الماكينات العالمية الحديثة.

واعلم أخي القارئ الكريم أن هناك وحدة عناية خاصة تهتم بترميم الكسوة لما تتعرض له الكسوة من احتكاك يومي وتعلق بها من قبل الزوار والحجيج والمعتمرين لا سيما في أوقات الذروة بل أنه في بعض المرات يبالغ الزوار فيقومون بقطع أجزاء من الثوب الأمر الذي حتم وجود تلك الوحده والتي تعمل على مدار اليوم، وتتولى مهمة خياطة الثوب في موقعه على الكعبة عند ملاحظة ما يطرأ عليه من تمزق أو تأثر^(١).

أما عن كمية الحرير الطبيعي المستخدمة في صناعة الكسوة فهي تقدر

(١) مجلة طيران ناس / مرجع سابق ص ٢٣

بـ ٦٧٠ كيلو جرام، وعدد طاقات القماش المستخدمة ٤٧ طاقة بعرض ٩٨ سم ويبلغ ارتفاع الكسوة ١٤ متر وعرض الكسوة من جهة الركنين اليماني والحجر الأسود ١٠,٧٨ متر، وعرض الكسوة من جهة الملتزم ١٢,٢٥ متراً وعرض الكسوة من جهة الحجرين الركنين العراقي والشامي ١٠,٢٩ متراً وعرض الكسوة من جهة باب إبراهيم ١٢,٧٤ متراً وتقدر تكلفة صناعة الكسوة الإجمالية بـ ٢٠ مليون ريال سعودي تقريباً سنوياً^(١) جزا الله القائمين على ذلك خير الجزاء وفي الدنيا الآخرة إنه قريب مجيب الدعاء.

وفي موسم الحج من كل عام يتم تسليم كسوة الكعبة الجديدة بعد صنعها بالمصنع لسدنة بيت الله الحرام في الأول من ذي الحجة وبإشراف مباشر من قبل الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في احتفالية بهيجة تليق بهذه المناسبة لتقوم بالباسها للكعبة المشرفة في صبيحة يوم التاسع من ذي الحجة الموافق ليوم عرفة بأيد سعودية وإسلامية وحينها تقوم وسائل الإعلام السعودية بنقل هذا الحدث الإسلامي الهام عبر وسائل الإعلام العربية والإسلامية^(٢). وأعلم أخي القارئ الكريم أيضاً أنه حين تسدل كسوة الكعبة من أعلى

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٢) مجلة طيران ناس / مرجع سابق ص ٢٢

الكعبة إلى أسفلها في هذا اليوم المبارك فلا تسبل حتى تصل إلى منتهائها على العادة هي وشاذروان الكعبة إلا بعد أيام من أيام النحر خشية أن ينالها أهل الأهواء والبدع وضعاف النفوس بالعبث والقطع للتبرك بها في بلادهم عند المغادرة ثم يأخذ سدنتها من بني شيبه كسوتها القديمة لتحفظ أو تهدي^(١) لبعض المقامات الإسلامية.



(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٧

جبل الصفا

جاء في كتب اللغة عن كلمة ((الصفا)) أن الصفا مفردة صف، وصافوهم أي اصطفوا في القتال و«المصف» الموقف في الحرب والجمع وصف القوم من باب رد «فاصطفوا» أي أقامهم (صفا) (وصفت) الأبل قوائمها فهي (صافة) والصفصف المستوي من الأرض^(١).

والصفا جبل بمكة مرتفع ذو حجارة صلبة من حجر جبل أبي قبيس^(٢) أحد أخشبي مكة وشيخ جبالها على ما ذكره غير واحد من العلماء ومنهم أبي عبيد البكري والنووي^(٣) وتعود أهمية جبل الصفا الدينية أنه مبتدأ السعي وأحد المشاعر المقدسة في الحرم المكي الشريف و«الشعيرة» واحدة الشعائر وهي (أعلام الحج)^(٤) الدينية الظاهرة التي يؤدي فيها عباد الله مناسكهم^(٥) بالسعي فيها امتثالاً لأمر الله عز وجل وتقرباً إليه بالطاعة قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٦)

(١) محمد الرازي، مرجع سابق ص ٢٧٢

(٢) الأصطخري / مصدر سابق ص ٢١

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٢

(٤) عبدالسلام هارون / مرجع سابق ج ٣ ص ١٩٤

(٥) عبدالرحمن السعدي / مصدر سابق ص ٦

(٦) سورة البقرة آية ١٥٨

فالصفا جبل مبارك يستحب عنده الدعاء اقتداء بفعل النبي ﷺ والسلف الصالح خاصة وأنه مبدأ للسعي الذي هو أحد أركان الحج والعمرة قال النووي في الإيضاح على ما ذكره الفاسي [وليس الصعود على الجبل شرطاً^(١) لبدأ السعي ويمكن له أن يحاذي الحجر الأسود عند سعية^(٢)] قال ﷺ: نبدأ بما بدأ الله به ثم تلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٣).

ويسن للساعي عند جبل الصفا أن يسمى الله ويكبر الله ويحمده وهو مستقبلاً القبلة حيث قدرت المسافة بين الجبل إلى الحجر الأسود بأربعمائة متر تقريباً^(٤).

وتعود أهمية جبل الصفا التاريخية إلى زمن هاجر عليها السلام حين بدأت رحلتها بحثاً عن الماء لرضيعها إسماعيل عليه السلام ابتداء من جبل الصفا ثم سعت مهرولة إلى جبل المروة في أشواط عدة وهي لا تدري أين تذهب حتى أكرمها الله بإجابة دعائها فأخرج لها الماء من تحت قدم الرضيع إسماعيل عليه السلام وبمساعدة جبريل عليه السلام. ومما زاد في أهمية جبل الصفا التاريخية أيضاً أنه كان لهذا الجبل العظيم

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٢

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ١٥٩

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة

سيرة عطرة أخرى مع رسول الله ﷺ حين كان يرعى الغنم لأهله وهو صغير قرب جبل الصفا ففي ذلك يقول ﷺ (كنت أرعى الغنم لأهلي في اجياد) وما ورد في كتب السيرة النبوية عند بداية الدعوة الإسلامية وعند نزول قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١). صعد الرسول ﷺ في البطحاء^(٢) على جبل الصفا ونادى في أهل مكة (واصباحاه) فاجتمعت له قريش ثم قال لهم: ((لو أخبرتكم أن خيلاً^(٣) تريد أن تخرج عليكم من سفح هذا الجبل.. أكنتم مصدقي: قالوا: نعم؟ ما عهدنا عليك كذباً.. قال ﷺ: فأنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد))^(٤).

فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا !!

فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٥).

وزاد عبدالله بن عباس رضي الله عنه ما قوله: قالت قريش للنبي ﷺ

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤ وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير ٤٧٧٠ ص ١١٨٨ وص

١١٨٩ وكتاب الإجارة ٣٣٦٣ ص ٦٣٦

(٢) أحمد شاكر / عمدة التفسير / مختصر تفسير القرآن العظيم لابن كثير / إعداد أنوار الباز،

دار ابن حزم، الطبعة الثانية / ١٤٢٦هـ، ج ٣ ص ٧٤٦

(٣) محمد عبد الوهاب / مختصر سيرة الرسول ﷺ / مطبعة جامعة الإمام / ١٤٢٢هـ /

الرياض ص ٨١

(٤) جامع الترمذي ص ١٩٩٧

(٥) سورة المسد آية ١ وانظر: الفاكهي / مصدر سابق ج ٣ ص ٢٢٩

أدع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً، ونؤمن بك قال: أوتفعلون ؟ قالوا: نعم: قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: أن شئت أصبح الصفا ذهباً فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين.

وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة فقال ﷺ: بل باب التوبة والرحمة^(١).

وفي رواية أخرى: ونزلت ((وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون))^(٢).

ومما ورد أيضاً في سيرة الرسول الكريم ﷺ عن هذا الجبل الأشم أنه بعد فتح مكة في السنة التاسعة للهجرة أقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر ثم طاف بالبيت فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بها شاء أن يدعو^(٣).

وأعلم أخي القارئ الكريم: أن جبل الصفا وعبر الأزمنة بقي كما هو دون أن تطاله يد التطوير قروناً عديدة منذ عهد الرسول ﷺ إلى أن جاء الله بالدولة السعودية الحديثة ذلك أن جبل الصفا لم يكن بحاجة إلى تطوير في تلك الأوقات فكانت المسافة بين الجبلين تكفي لسعي الحجاج والمعتمرين

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٨٠

(٢) سورة الإسراء آية ٥٩ انظر أيضاً تفسير ابن كثير / سورة الإسراء ج ٣ ص ٢٩٥

(٣) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٨١

ولكن ومع ازدياد أعدادهم في العصر الحديث فقد رأت الحكومة السعودية أن تهذب الجبل تهذيباً يسمح ببناء الأدوار المسلحة عليه المخطط لها في التوسعة كما أرتأت أيضاً أن تحيطه بسور من زجاج لا يحجب رؤيا الجبل عن المعتمرين خشية التبرك به والاعتقاد فيه كما يفعل البعض من الجهلة وأهل البدع وتمت جميع هذه الأعمال التطويرية في التوسعة السعودية الأولى والثانية والثالثة.

وكغيره من المعالم المقدسة في مكة المكرمة فقد خص الله تعالى جبل الصفا ببعض الآيات البينات دليلاً على قدسيته وعظم مكانته عند الله. فيذكر بعض المؤرخين المكيين أن من هذا الجبل تخرج الحية يوم القيامة بأمر الله سبحانه وتعالى للناس تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون^(١). زاد ابن عباس رضي الله عنهما ما قوله: هي الثعبان الذي كان في البيت والذي خرج لإبراهيم عليه السلام ليريه موضع بناء البيت فمسح له الأرض ولما أرادت قريش أن تعيد بناء الكعبة في زمن الجاهلية بسبب السيل الذي صدعها منعته تلك الحية فخافوا منها ثم أرسل الله لها عقاباً فاختطفها^(٢) ثم ألقاها نحو خسف العماليق بقية عاد وقال مجاهد قال ابن عباس أيضاً: ألقاها العقاب بأجساد وذلك مصداقاً لما ورد في الروايات (١) سورة النمل آية ٨٢ وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٣٦ وكذلك الأزرقى / مصدر سابق

ج ٢ ص ٧٣٨

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٥٨

التاريخية والأحاديث النبوية عن أشرار الساعة فمن أجياد (تحت الصفا) تخرج الدابة فتستقبل المشرق فتصرخ صرخة حتى تبلغ صرختها^(١) منقطع الأرض من الشرق ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة حتى تبلغ صرختها منقطع الأرض من المغرب ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة حتى تبلغ صرختها منقطع الأرض من الشام، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة حتى تبلغ صرختها منقطع الأرض من اليمن ثم تغدوا فتقيل في عسفان وقيل أنها تخرج قبل التروية أو يوم عرفة أو يوم النحر والله أعلم بالصواب.

وفي ذلك يقول ﷺ: (خمس يتدرون الساعة لا أدري أيهم جاء لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً..

الدابة ويأجوج وماجوج والدجال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى بن مريم عليه السلام^(٢)).



(١) نفس المصدر ونفس المصفحة

(٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي / سيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد /

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ج١ ص ١٦١

جبل المروة

جاء في كتب اللغة أن (المروة) تنطق بفتح الميم ^(١) وهي حجارة بيض براقّة، بل أنه أصلب الحجارة برغم يريقها ولمعناها وتنسب على مروي ومروري، وجاء أيضاً أن المروارة هي الأرض لا شيء فيها ^(٢) وجمعها مروات مثل نمرة ونمرات ^(٣).

(والمروة) بالهاء جبل بمكة ذو حجارة صلبة من أصل حجر جبل قعيقعان ^(٤) ثاني أخشبي مكة وتقع المروة في الجهة الشمالية الشرقية من الكعبة المشرفة على بعد نحو ثلاثمائة متر تقريباً عن الركن الشامي للكعبة. وتعود أهميته الدينية إلى أن جبل المروة هو أحد المشاعر المقدسة الهامة في الحرم المكي الشريف وكذلك يعتبره العلماء علماً من أعلام الحج والعمرة الدينية الظاهرة التي يؤدي عندها عباد الله مناسكهم ^(٥) بالسعي إليها عند جبل الصفا امتثالاً لأمر الله عز وجل وتقرباً إليه بالطاعة واقتداءً بهدي النبي ﷺ في ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ

(١) النووي / مصدر سابق ص ١٥٠

(٢) الفيروز أبادي / مصدر سابق ص ١٣٣

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٧

(٤) الاصطخري / مصدر سابق ص ٢١

(٥) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٦

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ^(١)

وهو أيضاً من الجبال المباركة التي يستجاب عنده الدعاء خاصة عقب انتهاء السعي كيف لا وقد سمعت عنده هاجر عليها السلام البشارة بأنبعاث ماء زمزم من الأرض تحت قدمي رضيعها ولذلك جعل الله عز وجل جبل المروة هو منتهى السعي بين الصفا والمروة وبشارة قبول النسك يقول ﷺ: طوافك بين الصفا والمروة كعتق رقبة^(٢) فما أعظمها من بشارة فمنه يصعد الحجاج والمعتمرون مستبشرين إلى مراكز الحلاقين للحلاقة والتقصير.

ومن الأخطاء الأكثر شيوعاً عند بعض الزوار من الحجاج والمعتمرين الاكتفاء بأخذ أجزاء من شعر الرأس عند جبل المروة فهذا مخالف لما ورد عن النبي ﷺ وسلفه الصالح فالحلق الوارد في الحديث النبوي هو أخذ شعر الرأس بالكلية ولذلك كرره النبي ﷺ في حديثه، أما التقصير فمعناه اقتطاع أجزاء من الشعر بشكل يشمل جميع شعر الرأس، وليس جزيئة بسيطة منه كما يفعل بعض الجهلة الآن والله أعلم.

قال ﷺ: رحم الله المحلقين قيل والمقصرين يا رسول الله قال ﷺ: رحم الله المحلقين قيل يا رسول الله والمقصرين قال ﷺ: رحم الله المحلقين قيل يا

(١) سورة البقرة آية ١٥٨

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٦

رسول الله والمقصرين قال والمقصرين^(١).

وكبقية المشاعر المقدسة في الحرم المكي فإن جبل المروة قد لقي اهتماما وعناية من لدن حكومة خادم الحرمين الشريفين أعزها الله وذلك بتهديب الجبل لعمل أدوار التوسعة السعودية وإحاطته بسور زجاجي لا يحجب الرؤيا حتى لا يتمكن الزوار من الحجاج والمعتمرين من الوصول إلى الجبل والتبرك به والاعتقاد فيه كما يفعل بعض الجهلة من العامة وأهل البدع فإن ذلك منا في لما ورد في سنة النبي ﷺ وسنة سلفه الصالح.

كما قامت كذلك حكومة خادم الحرمين الشريفين في سنة ١٤١٧هـ بتسوية جبل المروة بمستوى الساحة الشمالية المقابلة للمروة وجعلت لها أبواباً للخروج إليها من الجبل بعد إتمام السعي وبذلك يسهل الوصول إلى مراكز الحلاقه في أعلى المروة كما زودت جبل المروة في الوقت الحاضر بجسرين أحدهما للصعود إلى الأدوار العلوية للمسعى والآخر للدخول والخروج من تلك الأدوار إلى الشارع العلوي المؤدي للقرارة^(٢).



(١) سنن ابن ماجه ص ١٠١٢ وأنظر أيضا صحيح مسلم / كتاب الحج ٣١٤٤ ص ٥٣٤

(٢) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٨٦

المسعى

(المسعى) هو المساحة الممتدة بين جبلي الصفا والمروة ومقدار مساحتها لشوط واحد ألف وخمسمائة وعشرين متراً تقريباً وقد قدر العلماء المسافة بين الصفا والمروة بأشواطها السبعة كاملة عشرة آلاف وسبعمائة وثلاثين متراً تقريباً^(١).

والسعي بينهما منسكاً هاماً من مناسك الحج والعمرة، فهي سنة أبينا إبراهيم عليه السلام عندما علمه جبريل ذلك وسنة هاجر عليها السلام أيضاً وقد أمرنا الله بذلك وفعله نبينا محمد ﷺ فالسعي إذا أحد الشعائر الدينية الهامة بالحرم المكي مصداقاً لقوله تعالى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالمناسك اعترض عليه الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام)^(٢).

وأرض المسعى كانت قديماً عبارة عن أرض كثيرة التعرجات

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩١

(٢) د/ محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ٨٣ أنظر الترغيب والترهيب / للحافظ زكي

الدين عبدالعزيز المنذري / دار ابن كثير / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤١٧ هـ / ١٧٤٧

ج ٢ ص ١٦٣

والمُنحدرات والنزول والطلوع والخوانيت على جانبيها والسعي كان في وسط السوق^(١) متعسراً بسبب زحام المتسوقين ولذلك اهتم خلفاء الدولة الإسلامية بتسوية أرض المسعى ورصفها كلما سنحت لهم الفرصة لعمارة الحرم المكي فقد ذكر بعض المؤرخين أن أول من ردم أرض المسعى وأضأه ليلًا هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان تسهياً للحجاج وخشية وصول السيل إليهم^(٢) حال سعيهم ثم استمر الخلفاء والسلاطين بعده في ردمه وفرشه بالحصباء وتضليله وأضأته وربما رشه بالماء كما أنهم قاموا بالعناية بعمارة الأبواب في جانب المسعى للدخول إلى صحن الحرم واستمروا في ذلك حتى تمكن الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ١٣٤٤هـ من ضم الحجاز إلى سلطانه عندها كان من أول أوامره المباركة في الحرم المكي واهتماماته أن يتم رصف الشارع المخصص للسعي وإزالة العوائق المحيطة به وتجديد سقفه مع عمل مضله تقي الساعين حر الشمس وكذلك أمر بهدم المنشآت السكنية والتجارية من حوله وعلى جوانبه لتيسير عملية السعي دون مضائق المتسوقين للحجاج والمعتمرين.

وفي عام ١٣٦٨هـ أمر أيضاً يرحمه الله خاصة بعد استقرار الأمن في المملكة وإرساء دعائمها بإعداد الدراسات اللازمة لضم المسعى إلى

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٢) عمر سليمان العقيلي / مصدر سابق ص ٢٢٢

المسجد الحرام في عمارة واحدة أطلق عليها فيما بعد التوسعة السعودية الأولى حيث أكمل ولده الملك سعود رحمه الله ذلك نظراً لوفاة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٧٣هـ فأشترى بيوتاً على جانبي المسعى وهدمها لصالح توسعة المسعى^(١) وعمارته على عدة طوابق مع ترخيم جدرانه وأرضيته. وبالفعل تم بناء عمارة المسعى المخطط له في التوسعة الأولى والثانية أيضاً عام ١٤٠٧هـ من دورين وبدروم مع ترخيم أرضه وجدرانه بالبلاط ليصبح طول المسعى ١٣٩٤,٥ متر تقريباً بدء من صدر الجدار في منتهى علو الصفا إلى صدر الجدار الذي في منتهى علو المروة وبعرض ٢٠م وبمساحة إجمالية للدورين العلويين ٢٧٨٨م تقريباً وجعل ارتفاع الدور الأرضي ١١,٧٥م بينما ارتفاع الدور العلوي ٥,٨م وعمل للطابق العلوي في التوسعة سلمان من الداخل أحدهما عند الصفا والآخر عند باب السلام وستة عشر باباً مستقلاً ومصعدان كهربائيين للطلوع بالإضافة إلى سلم متحركة وسبع عبارات علوية في أعلى مسعى البدروم لتسهيل الدخول والخروج إلى صحن الحرم، وعمل أيضاً مسار مخصص للعجزة والمسنين، بالإضافة إلى تكييف المسعى تكييفاً مركزياً^(٢).

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله

(١) مجموعة من المؤلفين / تاريخ المملكة العربية السعودية - مطابع جامعة الإمام بالرياض

١٤٣٠هـ ص ١٥١

(٢) محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ٨٦

تم توسعة مساحة المسعى ليتسع لأكثر عدد من الحجاج والمعتمرين بعد ازدياد أعدادهم وليصبح عرضه ٥٠ متراً بدلاً من ٢٠ متراً وكان الغرض من هذه التوسعة الثالثة حل مشكلة الاختناقات التي تحدث أثناء السعي مع ازدياد عدد الحجاج كما روعي في هذه التوسعة أيضاً إعادة تأهيل منطقة السعي ليتحقق الارتباط المباشر بالبدر ومصحن الحرم مع تزويد المسعى بكل ما يحتاجه من خدمات ومخارج ومداخل وصنابير لمياه زمزم ومكاتب الإشراف التابعة للرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين وقد الحق بالمسعى في الآونة الأخيرة ملحقاتاً خاصاً لأكاديمية الحرم المكي العلمية والتي تعنى عناية خاصة بالدين الإسلامي وعلومه المتنوعة.



(بطن المسيل)

الميلان الأخضران في المسعى

يقع الميلان الأخضران في المسعى بين الصفا والمروة وقد ميزا عن بقية المسعى بالضوء الأخضر في أعلى سقفه من الداخل بجميع الأدوار المخصصة للسعي حيث يستحب للساعي أن يهرول إذا وصلهما^(١) لهدي النبي ﷺ في ذلك وسلفه الصالح رضي الله عنهم أجمعين فعن جابر رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ ((ثم نزل - يعني - من الصفا حتى إذا أنصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طواف على المروة))^(٢) رواه مسلم وغيره.

وفي رواية للنسائي: [ثم نزل ماشيا حتى تصوبت قدماه في المسيل فسعى حتى صعدت قدماه ثم مشى حتى أتى المروة فصعد فيها ثم بداله البيت^(٣)].

وفي حديث ابن عمر: (أن النبي ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٣٣

(٢) سنن النسائي ص ٢٢٧٩ وانظر المؤطأ للإمام مالك بن أنس / تحقيق بشار عواد معروف /

دار الغرب / تونس الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ج ٣ ص ٣٥٩

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٧٩

الأول خب ثلاثاً ومشى أربعاً، وكان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة) متفق عليه ولفظ البخاري (بطن المسيل) (١).

وعن صفية بنت شيبة.. أنه كان يسعى ببطن المسيل سعياً شديداً. والافتداء بفعل النبي ﷺ واجب وهو مقتضى شهادة أنه رسول الله فقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة وتأتي في بعض الآيات مقرونة بطاعة الله تعالى (٢).

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (٣).

وقال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٤).

وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥).

قال الإمام أحمد: (وأمشي حتى تأتي العلم الذي في بطن الوادي ثم أرمل من العلم إلى العلم) ولأهمية هذا المكان التاريخية والدينية والذي يسمى عند معظم المكيين بوادي إبراهيم عليه السلام فقد كان الناس قديماً يضعون أعلام تسمى أميالاً ويسمى واحدها الميل الأخضر لأنهم

(١) صحيح البخاري ص ١٢٦ وأنظر المطالب العالیه بزوائد المسانيد الثمانية / للحافظ إبراهيم

العسقلاني / مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ ج ٣ ص ٣٥٩

(٢) د/ صالح بن فوزان / عقيدة التوحيد / مؤسسة الحرمين الخيرية / دار القاسم للنشر،

الرياض ص ١٥٤

(٣) سورة النساء آية ٥٩

(٤) سورة النساء آية ٨٠

(٥) سورة النور آية ٥٦

ربما لطخوه بلون أخضر ليميز هذا المكان من السعي عن بقية المسعى وفي العصر الحاضر قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين بتحديد هذين الميادين بإضاءتهما باللون الأخضر وهي رمز للهرولة في هذا المكان المعين حدد ليتسنى للساعي مشاهدتهما في سعيه بوضوح فيتمكن بذلك الاقتداء بهدي وفعل النبي ﷺ فيهما وفق الله هذه البلاد لما فيه مصلحة العباد.

وأعلم أخي المسلم والزائر الكريم:

أن أفضل الدعاء في هذا المكان أن تقول:

(رب أغفر وأرحم وأعف وتكرم وتجاوز عما تعلم أنك تعلم ما لا

نعلم أنك أنت الله لأعز الأكرم)

وأعلم أيضاً: أن المرأة المسلمة: في حال سعيها لا ينبغي لها الهرولة بل

المشي بوقار وسكينة وعلة النهي في ذلك والله أعلم حتى لا تظهر شيء من

مفاتنها للناس حال هرولتها.



أبواب المسجد الحرام

للحرم المكي الشريف، شرفه الله وزاده تشريفاً ومهابة ورفعة عدد من الأبواب الرئيسية وأبواب أخرى تعد مداخل فرعية وزعت في كل جوانبه وجهاته بلا استثناء ليتمكن زوار البيت العتيق من الدخول والخروج بسهولة ويسر وصولاً إلى الكعبة المشرفة وتشرف الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي على جميع الخدمات المقدمة لهذه الأبواب من خلال الإشراف المستمر ليلاً ونهاراً على جميع الأبواب في المسجد الحرام علماً بأن هذا الإشراف يكون تحت رئاسة إدارة مختصة مسؤولة مسؤولية كاملة عن تنظيم دخول وخروج المصلين من وإلى المسجد الحرام أمام الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي مباشرة.

وكان الحرم المكي قبل الإسلام وبعده بفترة وجيزة بدون أبواب تحيط به الدور من كل جهة وبين تلك الدور أزقة يدخل منها الناس ويخرجون بلا رقيب ولا حسيب وقيل أن أول من جعل للحرم المكي أبواباً هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٧هـ بعد أن أحاط الحرم بجدار دون القامة^(١) ومع مرور الزمن وتعاقب السنين أجريت للحرم المكي عدد من التوسعات أجراها بعض خلفاء الدولة الإسلامية وسلاطين دول العصر

(١) فوزية حسين مطر / تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول،

العباسي وسلاطين الدولة العثمانية فجعلوا للحرم المكي عدد من الأبواب تزيد وتنقص مع كل توسعة وغالباً ما تسمى هذه الأبواب بأسماء أولئك السلاطين تحليداً لذكراهم فنجد أنها وصلت بعد توسعة الخليفة العباسي المهدي رحمه الله مثلاً من ١٩ إلى ٢١ باباً رئيساً بالإضافة إلى ثلاثين مدخلاً فرعياً موزعة على جهات الحرم المكي الأربعة^(١) ولم تتضح معالم هذه الأبواب أو مسمياتها إلا بعد التوسعات التي قام بها سلاطين الدولة العثمانية. بسبب هدم وإزالة القديم منها وبناء أبواب جديدة خلال تلك الفترة السابقة لحكمهم وربما لأن حركة التأليف والطباعة كانت على أشدها في هذا العصر.

فهذا العالم الجليل والرحالة البكري في كتابة الممالك والمسالك يذكر بوضوح بأنه كان للحرم المكي في عهده أي في القرن العاشر الهجري إبان سيطرة العثمانيين على الحجاز أربعة وعشرين باباً^(٢) تقريباً منها خمسة أبواب في الشق الشرقي للحرم مما يلي المسعى قام بإنشائها وترميمها السلطان العثماني سليمان الثاني (١٠٩٩ / ١١٠٢ هـ) وهي كالتالي:

● الباب الأول: الباب الكبير ويسمى باب السلام^(٣).

● الباب الثاني: باب دار القوارير ويسمى باب قايتباي

(١) محمود محمد حمود / مرجع سابق ص ٧٦

(٢) أبي عبيد البكري / الممالك والمسالك بدون اسم المطبعة ولا مكانها ولا سنة الطبع

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٨٧

● الباب الثالث: باب النبي ﷺ ويقال له ايضاً باب خديجة بنت خويلد^(١)

رضي الله عنها.

● الباب الرابع: باب العباس بن عبد المطلب ويسمى باب الجنائز.

● الباب الخامس: باب بني هاشم.

وأما أبواب الشق اليماني للحرم المكي فكانت سبعة أبواب وهي:

● الباب الاول: باب بني عائد ويسمى باب بازان.

● الباب الثاني: باب بني سفيان بن عبد الأسد.

● الباب الثالث: باب الصفا^(٢)

● الباب الرابع: باب عدي بن كعب ويسمى أيضاً باب بني مخزوم ويطلق

عليه اليوم باب أجياد لأنه قبالة حي أجياد.

● الباب الخامس: باب الرحمة أو باب المجاهدين.

● الباب السادس: باب بني تميم.

● الباب السابع: باب أم هاني ابنة أبي طالب.

وفي الشق الغربي من الحرم المكي الشريف ستة أبواب وهي:

● الباب الأول: باب المنارة وقد أطلق عليه عدة أسماء منها باب بني مخزوم

و باب البقالين، أو باب الحزورة أو باب الوداع.

(١) نفس المصدر ص ٨٨

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٨٩

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

- الباب الثاني: باب الخياطين ويعرف أيضاً (باب إبراهيم الخياط).
- الباب الثالث: باب بني جمح ويقال له أيضاً باب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يدخلون منه بشكل مستمر.
- الباب الرابع: باب البختری بن هاشم الأسدي ويستقبل دار زيده.
- الباب الخامس: باب دار زيده^(١).
- الباب السادس: باب بني سهم.
- ومن الشق الشامي للحرم المكي ستة أبواب هي:
- الباب الأول: باب عمرو بن العاص رضي الله عنه.
- الباب الثاني: باب العتيق ويسمى أيضاً باب السدة وباب الزمامة.
- الباب الثالث: باب دار العجلة ويسمى باب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط في شمال الحرم المكي.
- الباب الرابع: باب حجیر بن أبي إهاب التيمي.
- الباب الخامس: باب دار الندوة وهو قريب من باب القطبي (والقطبي) نسبة إلى الأسرة المسهورة بالعلم في هذا القرن ويسمى أيضاً باب الفهور وباب الزيادة.
- الباب السادس: باب دار شيبه بن عثمان (سادن الكعبة) في عهد النبي ﷺ وهو باب يستحب للمحرم الدخول منه والأصل في الاستحباب

(١) نفس المصدر ص ٩٥

ما روي عن عطاء أن النبي ﷺ دخل المسجد من باب بني شيبه وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا^(١).

وهذه الأبواب التي اقتصرنا على ذكرها آنفاً هي الأبواب المشهورة للحرم المكي إبان الحكم العثماني للحجاز أي خلال القرن العاشر الهجري وما قبله بينما هناك مسميات أخرى للأبواب ذكرها الأزرق في كتابة أخبار مكة^(٢) وقد زال أكثرها نظراً لزوال طرقها من العمارة القديمة^(٣).

وحين بدأت التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي الشريف في عام ١٣٧٠ هـ والتي استمرت عشرين عاماً على عدة مراحل هدمت فيها معظم الأبواب السابقة لصالح التوسعة لتشتمل التوسعة على ثلاثة مداخل رئيسية وسبعة وعشرين مدخلاً فرعياً والمداخل الرئيسية هي:

● المدخل الرئيسي الأول: باب الملك عبد العزيز يرحمه الله في الجهة الجنوبية الغربية للحرم المكي الشريف.

● المدخل الرئيسي الثاني: باب الفتح في الجهة الشمالية للحرم المكي الشريف.

● المدخل الرئيسي الثالث: باب العمرة في الجهة الغربية للحرم المكي الشريف.

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٧٧

(٢) انظر الأزرق / مصدر سابق ص ٣٥٩ إلى ص ٣٦٢ في فهرس أسماء أبواب الحرم المكي

(٣) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٦٩

وبين هذه المداخل الرئيسية تم إنشاء سبعة وعشرين مدخلاً فرعياً عادياً^(١) هي أصغر في الحجم من الأبواب الرئيسية الثلاثة وعندما بدأ تنفيذ التوسعة الثانية لخدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله سنة ١٤٠٥ هـ زادت عدد المداخل الرئيسية مدخلاً رئيسياً رابعاً جديداً أطلق عليه باب الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله يقع في الجهة الجنوبية الغربية للحرم المكي الشريف بالإضافة إلى أربع عشرة مدخلاً فرعياً عادياً^(٢) ليصبح العدد الإجمالي لهذه الأبواب مجتمعة ٩٥ باباً بما فيها مداخل البدروم والأدوار العلوية والسلام الكهربائية^(٣).

وفي عام ١٤٣٥ هـ عندما بدأ بتنفيذ التوسعة السعودية الثالثة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله تم زيادة الأبواب الرئيسية باباً واحداً جديداً أطلق عليه باب الملك عبد الله بن عبد العزيز يرحمه الله يقع في الجهة الغربية للحرم المكي الشريف كما تم أيضاً في هذه التوسعة إعادة إعمار باب الملك عبد العزيز يرحمه الله وزيدت الأبواب الفرعية ليصبح عددها مائة وثمانية وثلاثين باباً والجديد في هذه التوسعة الحديثة المباركة هو اتخاذ الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي طريقة جديدة لمعرفة هذه الأبواب وأماكنها بدقة

(١) مجموعة من المؤلفين / تاريخ المملكة / مرجع سابق ص ١٥٢

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٣) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٩٧

ليسهل على الحاج والمعتمر الوصول إليها بسرعة متناهية دون الحاجة إلى الاستفسار وعناء السؤال عنها وهي محور مسمياتها التاريخية السابقة وأبدائها بطريقة الترقيم العددي وهي طريقة سهلة لجميع الحاج مهما كانت لغاتهم ومدى تعلمهم بدأ من الرقم واحد إلى ما لا ينهي عددها^(١) وجميع هذه الأبواب الجديدة بأرقامها المبينة الكبيرة والصغيرة تؤدي إلى داخل المسجد الحرام وسطحه وقبوه وغالباً ما يتم فتحها جميعاً خلال شهر رمضان المبارك وأيام الجمع وفي موسم الحج، والأعياد وتم تزويد أبواب المسجد الحرام بلوحات إرشادية باستطاعتها أن تضيء باللون الأخضر في حالة وجود إمكانية وفسحة لدخول المصلين وتضيء باللون الأحمر في حالة اكتمال الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام من الداخل.

ووصل عدد السلام الكهربائية في هذه التوسعة المباركة بالمسجد الحرام إلى ستة سلام لكل سلم منها اثنا عشر مدخلاً فرعياً يؤدي إلى أروقة الحرم المكي الشريف وتعمل هذه السلام على انسيابية الدخول والخروج بالإضافة إلى سلمين داخليين هما سلم باب ٧٤ وسلم باب ٨٤.

وفي هذه التوسعة السعودية الثالثة تم وضع ثلاثة عشر مدخلاً متخصصاً لذوي الاحتياجات الخاصة يراعي فيه سلامة هذه الفئة الغالية على المجتمع الإسلامي والعالمي بأسرة دون إقحامهم في زحام الأبواب

(١) السيد ضياء / مرجع سابق ص ١٤٧

الأخرى المزدحمة بالزوار من حجاج ومعتمرين.

وأعلم أخي القارئ الكريم:

بأنه يقوم نخبة من الموظفين الأكفاء على إدارة هذه الأبواب جميعاً للمحافظة على موجودات الحرم المكي وعدم تمكين خروج أو دخول شيء من محتويات الحرم ومعداته وذلك بالتنسيق مع الجهات ذات الصلة بالرئاسة العامة لشؤون الحرم المكي.

كما يقومون بمنع دخول الأطعمة والمشروبات المختلفة بمختلف أشكالها وأنواعها ما عدا التمر والقهوة مراعاة لأحوال الصائمين بكميات محدودة ومنع كل من تسول له نفسه معارضة العقيدة الصحيحة من الدخول إلى الحرم الشريف مع تخصيص بعض هذه الأبواب للنساء فقط طوال أوقات الصلوات الخمس وأثنائها وكذلك أثناء المواسم دون اختلاط مع الرجال في الدخول أو الخروج وفق الله حكومة خادم الحرمين الشريفين لما فيه مصلحة زوار بيته العتيق أثناء الليل وأطراف النهار^(١).



(١) الشيخ / محمد عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ٩٧

مآذن المسجد الحرام

مآذن أو منارات الحرم المكي جزءاً لا يتجزأ من معالمه الحضارية وعماراته التاريخية، تتوزع هذه المنارات بقاماتها الشاخحة في السماء على أبواب الحرم المكي الخمسة الرئيسية السابقة الذكر، فهي تشكل معلماً حضارياً وإراثاً إسلامياً منذ قديم الأزل، وتزداد أهمية هذه المآذن لكونها تعد علماً واضحاً للناس ودليلاً ملموساً مشاهداً عن بعد يخبر بمكان وجود الحرم المكي الشريف وموقعة من مكة لجميع الداخلين إليها، لذا اشترط في بنائها أن تكون أعلى من سقف المسجد وجميع بنيانه، فمن خلالها يرتفع صوت الحق داعياً إلى الصلوات المكتوبة ليسمعه القاصي والداني في مكة المكرمة وما حولها من القرى.

أما ما ورد في كتب المصادر عن تاريخ نشأتها فإنه لم يكن للمسجد الحرام مآذن أو منارات عالية سواء كان ذلك في عهد الرسول ﷺ أو في عهد خلفائه الراشدين أو حتى في عهد خلفاء بني أمية حسب ما بينته تلك المصادر وقد اكتفى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمه الله بوضع هلالين بارزين على سطح الكعبة المشرفة أثناء عمارته بينما كان يرفع الأذان آنذاك من فوق منبر الحرم المكي أو من على قمم الجبال القريبة وربما يعود ذلك إلى أن سكان مكة كانوا يتحاشون بناء بيوتهم أعلى ارتفاعاً من سطح

الكعبة فكان بناء الكعبة هو أرفع من بيوت مكة علواً في ذلك الوقت وذكر العلامة المكي أبو الوليد الأزرقى بأن أول من أقام مأذنه مرتفعة ليرفع منها الأذان هو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في سنة ١٣٧ هـ أثناء عمارته للمسجد الحرام وعموماً يمكن القول بأن العصر العباسي قد تفرد ببناء المآذن على المساجد فقد جعلوا للمسجد الحرام في هذا العصر أربع منارات فقط المنارة الأولى أنشأها الخليفة العباسي المنصور عند باب العمرة وهي أول مئذنة أنشئت للحرم المكي والثلاث الأخرى أنشأها ابنه محمد المهدي عند باب السلام وباب على رضي الله عنه وباب الوداع وكان^(١) يؤذن من خلالها مؤذنو المسجد الحرام^(٢) وفي العصر العباسي الثاني خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ومع ظهور المقامات الدينية المذهبية في صحن الحرم أصبح كل أمام من الأئمة الأربعة له مؤذنه الخاص ولم يعد الأذان موحداً كما كان من قبل ونظراً لما قام به الخلفاء والولاة في الدولة الإسلامية من اهتمام بعمارة المسجد الحرام وزيادة مساحاته ازداد أيضاً عدد هذه المنارات تبعاً للمساحة المستحدثة ليصبح عددها الإجمالي سبع منارات ومسمياتها كالتالي:

- المنارة الأولى: منارة باب العمرة: وهي أقدم المآذن في المسجد

(١) د/ فوزية حسين مطر / مرجع سابق ص ١٥٩

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٩٨

الحرام تقع في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الحرام، بناها الخليفة العباسي المنصور رحمه الله أثناء عمارته للمسجد الحرام وأكملها ابنه المهدي في سنة ١٣٩هـ ثم جددتها صاحب الموصل سنة ٥٥١هـ، ثم جددت مرة ثانية سنة ٨٤٣هـ في عهد الدولة المملوكية، ثم هدمها السلطان سليم الثاني (٩٧٤ / ٩٨٢هـ) وأعاد بنائها من جديد بعد وصية السلطان سليمان القانوني [٩٢٦هـ / ٩٧٤هـ] له بذلك.

- المنارة الثانية: منارة باب السلام: بناها الخليفة العباسي محمد المهدي رحمه الله في ١٣٩هـ وهي تجاور باب السلام وجددتها سلطان المماليك قايتباي.

- المنارة الثالثة: منارة باب علي: أنشأها الخليفة العباسي محمد المهدي رحمه الله وأكمل بنائها عام ١٦٨هـ ثم أعاد بنائها السلطان العثماني سليم الثاني انفاذاً لوصية السلطان سليمان القانوني رحمه الله.

- المنارة الرابعة منارة باب الزيارة: أنشأها الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٢٤٨هـ ثم جددتها السلطان الأشرف أبو النصر برسباني سلطان مصر وبلاد الشام والحجاز سنة ٨٢٦هـ.

- المنارة الخامسة: المنارة السليمانية: التي بناها السلطان العثماني سليمان القانوني عند المدرسة السليمانية^(١) والذي حكم في الفترة من

(١) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٥٧

٩٢٦هـ / ٩٧٤هـ وقيل أنه توفاه الله دون أتمامها فأتمها السلطان

سليم الثاني ٩٧٤هـ / ٩٨٢هـ بعد أن أوصاه بذلك.

- المنارة السادسة: منارة باب الوداع أنشأها الخليفة العباسي المهدي رحمه الله أثناء عمارته للحرم المكي ثم جردها سلطان المماليك وقيل أنها سقطت سنة ٧٧١هـ، ثم جددت سنة ٧٧٢هـ.

- المنارة السابعة: منارة باب الحزورة، وكانت تطل على أجياد وتشرف على الحزورة وسوق الخياطين ومنها كان ينادي المؤذن للسحور في شهر رمضان عمرها المهدي أثناء عمارته للمسجد الحرام^(١).

يقول السيد ضياء عطار في كتابة آيات المسجد الحرام: أنه إضافة إلى هذه المنارات السبع كانت الجبال القريبة من الحرم المكي تستخدم للأذان قبل عام ١٣٢٥هـ لارتفاعها عن سطح الحرم^(٢).

ويضيف العلامة المكي أبي الوليد الأزرق في كتابه أخبار مكة أن عدد المآذن يزداد تبعاً لعناية السلاطين والخلفاء بالحرم المكي لعمارته مما أدى إلى بلوغها أكثر من ثمانية عشر منارة بقي منها سبع منارات فقط وهي المذكورة سابقاً.

أما العلامة المكي أبي عبدالله الفاكهي صاحب كتاب تاريخ مكة وأحد

(١) نفس المصدر، جـ ٢ ص ٧٥ إلى ص ١٦٣

(٢) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٧٥

معلمي حلقات الحرم المكي الشريف في القرن الثامن الهجري فيقول:
بأن رئيس المؤذنين كان يؤذن في عصره في منارة باب العمرة وتبعة سائر
المؤذنين ثم صار في زمن العلامة أبي الطيب الفاسي صاحب كتاب شفاء
الغرام المتوفى سنة ٨٣٤هـ يؤذن رئيس المؤذنين في منارة باب السلام ثم
صار يؤذن للصلوات الخمس من على قبة زمزم ثم هدمت جميع المآذن
السابقة ليعاد بنائها من جديد في القرن الرابع عشر الهجري بعد أن شرعت
الحكومة السعودية في التوسعة السعودية الأولى عام ١٣٧٠هـ في عهد
المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز آل سعود والتي وأكملت في عهد
ابنه سعود رحمه الله ثم التوسعة الثانية التي قامت في عهد خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله سنة ١٤٠٥هـ حيث أصبح
للحرم المكي الشريف تسع مآذن شاهخة ذات شكل جمالي متناسق مع
البناء الحديث للمسجد الحرام وعندما أمر خادم الحرمين الشريفين الملك
عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله ببدأ التوسعة الثالثة في سنة ١٤٣٥هـ تم
فيها العمل على إنشاء أربع مآذن جديدة في ساحات الحرم المكي الشمالية
والغربية ليرتفع بذلك عدد المآذن في بيت الله الحرام من تسع مآذن إلى ثلاثة
عشر مئذنة وزعت هذه المآذن على أبواب الحرم الرئيسية كالتالي:

- مئذنتان على باب الملك عبدالعزيز رحمه الله (يعاد بنائها من جديد في
التوسعة الثالثة) ومئذنتان على باب باب الملك فهد رحمه الله.

- ومئذنتان على باب الفتح (يعاد بنائهما في التوسعة الثالثة) بعد أن أزيلت ضمن مشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ومئذنتان على باب العمرة.

- أما المئذنة التاسعة فقد وضعت على باب الصفا ووضعت المئذنتان العاشرة والحادية عشر الرئيسيتان على باب الملك عبدالله في التوسعة الجديدة.

- كما وضعت المئذنة الثانية عشر في الركن الشمالي الشرقي للحرم المكي والثالثة عشرة في الركن الشمالي الغربي ليصبح عدد مآذن المسجد الحرام بعد اكتمال التوسعة بإذن الله ثلاث عشر مئذنة على أحدث الطرز المعمارية ليلبلغ إجمالي ارتفاع المئذنة الواحدة منها حوالي ٨٩ متراً، وقسم بنيان المئذنة الواحدة منها إلى خمسة أجزاء هي القاعة، والشرفة الأولى، وعصب المئذنة، والشرفة الثانية والغطاء وتضاء جميع شرفاتها باللون الأخضر لتأخذ بذلك منظرًا جماليًا فريداً.



(المكبرية)

ظلة المؤذنين

(ظلة المؤذنين) أو ما يعرف بالمكبرية قديماً هي من الآثار الإسلامية والمعالم الخالدة في البيت الحرام ولا زالت إلى اليوم قائمة بالقرب من جبل الصفا يربطها بسكن المؤذنين والأئمة جسر معلق و كانت المكبرية قديماً تصنع من الخشب، وتوضع على سطح المسجد لتقي المؤذنين وخطيب الجمعة من وهج الشمس الحارقة صيفاً، ومن بلل الأمطار حال سقوطها في فصلي الربيع والشتاء.

ورد في كتب المصادر التاريخية المكية عن تاريخ نشأتها على ما ذكره العلامة والمؤرخ المكي أبي الوليد الأزرقى أحد معلمي حلقات الحرم المكي في القرن الثامن والتاسع الهجريين أن أول من عمل ظلة للمؤذنين هو عبدالله بن محمد بن عمران الطلحي أمير مكة في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله ١٧٠هـ / ١٩٣^(١) وقال أنها كانت توضع جوار الحجر الأسود أوفوق البيت أو القبة التي وضعت لبئر زمزم^(٢) في العصر العباسي وقبل ذلك كان المؤذنون يجلسون يوم الجمعة في الشمس تحت منبر الحرم المكي المتحرك، ولم تزل تلك المظلة على حالها حتى عمر المسجد

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٩٩

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١٣

الحرام في خلافة أمير المؤمنين جعفر المتوكل رحمه الله سنة ٢٤٠ هـ فصنع لهم مظلة جديدة زودها بما يسمى في ذلك الحين (بالمزولة) وهي أداة تستخدم لحساب وقت الأذان بدقة عرفها العباسيون بعد اتصاهاهم ببلاد الإغريق أيام خلافة المأمون رحمه الله وظلت المظلة والمزولة تؤدي عملها على أكمل وجه وبما أن تلك المظلة صنعت من الخشب فقد أدى ذلك إلى تأكلها مع مرور الزمن بفعل الأرضة وغالباً ما كانت تشد بالأخشاب ليمنعها من السقوط حتى عمل لها مقرنصاً خشبياً في سنة ٨٢١ هـ لتكون أشد ثباتاً وبعد ذلك بسنة واحدة وتحديداً في شهر ربيع الأول من سنة ٨٢٢ هـ هدمت تلك المظلة وأزيل مقرنصها الخشبي لتصلح من جديد بالدرابزين وجعلوه يطيف بها وبسطح البيت الذي فيه بئر زمزم لتكون أشد ثباتاً ولكن بعد فترة من الزمن وجد هذا الخشب من الدرابزين خراباً أيضاً قد أكلته الأرضة فأقتضى الحال قلعه وإعادة بنائها من جديد وبنيت مظلة أخرى فوق الجدار الذي يلي الكعبة، ثم بنيت ثالثة أخرى فوق الجدار الذي يلي المقام الشافعي، وأخرى فوق الجدار الذي يلي الخلوة^(١) ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن تعدد هذه الأماكن لمظلة المؤذنين في الحرم المكي يعود لأن الأذان لم يكن موحداً في هذه الفترة الزمنية من العصر الإسلامي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين فلكل مذهب من

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١٢ - ٤١٣

المذاهب الدينية أصحاب المقامات الأربعة مؤذن خاص به ومظله خاصة حتى أنهم كانوا يتنافسون في تزيينها إلى درجة أدت إلى ظهور بعض البدع بعد ذلك والعياذ بالله ونظراً لاستمرار هذه المكبريات في العمل بالحرم المكي فقد استمر معها كذلك عمل المزولة لحساب وقت الأذان حتى جاء عام ١٠٧٩هـ فتم تبديلها في فترة حكم السلطان العثماني محمد الرابع (١٠٥٨هـ - ١٠٩٩هـ) ف قيل أنه أمر بصنع مزولة حديثه صنعها له الشيخ محمد بن سلمان المغربي لتوضع في الحرم بدلاً من المزولة القديمة وكانت هذه المزولة أكثر دقة من المزولة السابقة حتى أنه عين لها من يقوم برعايتها لحساب الوقت بشكل أكثر دقة ومتابعة وقام بهذه المهمة أسرة آل الزبير والتي تعرف اليوم بأسرة آل الرئيس^(١) نسبة إلى رئاستهم للتوقيت في الحرم المكي وذكر بعض المكين بأنهم استمروا في هذه المهنة الشريفة إلى أن وصل الحكم السعودي للحجاز في سنة ١٣٤٤هـ حيث تم إلغاء المقامات الأربعة السابقة وإزالتها من صحن الحرم بأمر من المغفور له بإذن الله عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله والذي أمر أيضاً بتوحيد الصلاة في الحرم المكي تحت إمام واحد وبأذان واحد كما أمر أيضاً يرحمه الله بصنع مظلة خاصة للمؤذنين وخطيب الجمعة متحركة يسمح بتنقلها داخل صحن الحرم في أي وقت وزمان.

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٩٩

وذكر أنه أيضاً قام ببناء برج خاص يحمل في أعلاه ساعة للتوقيت في الحرم المكي يراها جميع المصلين والطائفين.

وفي سنة ١٣٧٠هـ حين بدأ العمل في التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي أمر جلالة الملك المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز يرحمه الله بعمل مظلة جديدة من الخرسانة المسلحة خاصة للمؤذنين مثبتة على قباب العمارة العثمانية مقابلة للحجر الأسود في واجهة الكعبة المشرفة من الناحية الجنوبية، وهذه المظلة عملت على ثماني قباب من القباب العثمانية والتي تبلغ مساحة القبة الواحدة منها ٣٥ متراً مربعاً أي أن المظلة كانت على مساحة ٢٨٠م وتبعد عن الكعبة بنحو ٢٥ متراً وعمل لها واجهة من زجاج ليتمكن المؤذن من رؤية الإمام إذا كان يصلي في صحن الحرم المكي وزودت هذه المظلة بأحدث أجهزة التحكم والسيطرة في جمال الصوتيات والتسجيل والإخراج التلفزيوني واستمرت هذه المظلة الخرسانية قبالة الحجر الأسود تؤدي دورها على أكمل وجه حتى سنة ١٤٣٥هـ حين بدأت توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله فتم هدمها لصالح توسعة الصحن وإعادة بنائها من جديد لتناسب جمالية المطاف بعد توسعته مع نقلها إلى قرب الصفا في التوسعة الجديدة للمطاف في مبنى مسلح خاص بها مكون من دورين، مغطى بالرخام الأبيض في بعض جوانبه وتعلوه أربع نوافذ من زجاج من جهة

الشمال ونافذتين من جهة الشرق مطلة على الكعبة مباشرة وللمبنى مدخلاً رئيسياً واحداً تعلوه لوحة ممنوع الدخول لغير العاملين والمبنى موصول بسكن الأئمة والمؤذنين بجسر مغطى من جميع جوانبه وبذلك يستطيع المؤذن والإمام الانتقال من سكنه الخاص خلف الصفا إلى المكبرية الحديثة دون احتكاك بالحجاج والزوار المعتمرين والذين دائماً ما يلجأون إلى التبرك بهم بالتقبيل وخلافة وأثناء السلام عليهم وهذا مناف تماماً لمذهب أهل السنة والجماعة الذي يحرم التبرك بالأولياء الصالحين وخاصة أئمة ومؤذني الحرم المكي منهم.



منبر الحرم المكي

(منبر الحرم المكي) هو جهاز متحرك ذو سلم متعدد الدرجات مزود بوسائل حديثة لتكبير الصوت يرتفع عن سطح الأرض ببضعة أمتار، يصعد عليه خطيب الجمعة فيتمكن من رؤية المصلين من علو مرتفع، وغالباً ما يكون مغطى من الأعلى ليقية حر الشمس وهطول الأمطار.

وأما ما قيل عن نشأته وتاريخ صناعته في المصادر التاريخية فإنه ومع بداية الدولة الإسلامية وفي عهد الراشدين لم يكن للحرم المكي منبراً^(١) فقد كان يكتفي المؤذن بصعود الجبال القريبة من الكعبة للأذان كي يسمعه الناس ويكتفي الخطيب في يوم الجمعة ببعض الأحجار التي ترفعه عن سطح الأرض كما فعل إبراهيم عليه السلام.

وبينت تلك المصادر أن أول من خطب بمكة المكرمة على منبر، هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رحمه الله. قيل أنه قدم به من الشام عندما حج وكان منبراً صغيراً الحجم على ثلاث درجات فقط.

وكان ذلك المنبر الذي جاء به معاوية رحمه الله يعمر ويزاد فيه كلما خرب أو أكلته الأرضة حتى حج الخليفة العباسي وأمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله أثناء خلافته (١٧٠هـ - ١٩٣هـ) وكان معه الأمير موسى بن

(١) السيد ضياء عطار: / المرجع السابق ص ٥٠

عيسى عامله على مصر فجاء الأخير بمنبر صنع خصيصاً للحرم المكي في مصر مكون من تسع درجات منقوش عليه اسم الخليفة فجعله مكان المنبر القديم الذي اكتفى بأرساله إلى عرفه ليوضع في مسجد نمرة^(١) وليخطب عليه خطيب يوم عرفة في موسم الحج.

وبينت المصادر التاريخية أيضاً أنه وفي أثناء خلافة أمير المؤمنين الواصل بالله العباسي ألغيت تلك المنابر القديمة وتم إبدالها بثلاثة منابر جديدة صنعت خصيصاً للحرم المكي وزعت على النحو التالي :

المنبر الأول: لمكة المكرمة والثاني: لمنى والثالث: لعرفة.

وأضاف السيد ضياء عطار المؤرخ المشهور في تاريخ الحرم المكي في كتابة آيات المسجد الحرام أن منبر مكة المكرمة الأول غير أكثر من مرة في عهد كل من المتوكل على الله العباسي والمقتدي بالله العباسي وتميز المنبر الجديد بأنه كان منبراً منقوشاً بالذهب بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل أن تكلفة صناعة أحدهما بلغت ألف دينار وزاد أيضاً أن الملك الأشرف السلطان شعبان بن حسين أهدي للحرم منبراً في سنة ٧٦٦هـ ومنبراً رابعاً أهده الملك المؤيد شيخ رحمه الله في سنة ٨١٨هـ ومنبراً خامساً أهده السلطان الملك أبو سعيد جو يقدم الناصري في سنة ٨٧٦هـ ومنبراً سادساً أهده

السلطان قايتباي سلطان المماليك في سنة ٨٧٩هـ^(١). وكان آخرها منبراً عظيماً
أهداه السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة ٩٦٦هـ^(٢) مكتوب عليه:
(أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم)) تمت صناعته في
اسطنبول من الرخام البديع^(٣).

وفي العهد السعودي الحديث وعندما تمكن الملك عبدالعزيز آل سعود
رحمه الله من ضم الحجاز إلى سلطانه ١٣٤٤هـ كان من أول اهتماماته أن
أخذ للحرم المكي منبراً له عجالات يسمح بنقله في أرجاء صحن الحرم
بحيث يحضر للإمام في خطبة الجمعة عندما يكون في جوار الكعبة وضع
هذا المنبر المتحرك من الخشب الجيد وحلي بالزخارف الإسلامية البديعة
وزود بمكبرات الصوت عالية الجودة وبعد انتهاء الخطبة في يوم الجمعة
والأعياد يصان هذا المنبر في مكان أمين.

وأعلم أخي القارئ الكريم:

بأن هذا المنبر يتم تبديله وتغييره كلما جد جديد في التوسعات السعودية
المباركة ثم يحفظ القديم في متحف مكة المكرمة الأثري ليطلع عليه الزوار
والباحثين عن كتب.



(١) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٥٢

(٢) نفس المرجع ص ٥٥

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ١٠٠

خدم الحرم (الأغوات)

(خدم الحرم) أو ما يسمون حالياً (بالأغوات) هم فئة معينة من الناس تم اختيارهم بشكل محدد ودقيق من بلاد النوبة وجنوب إفريقيا ليتفرغوا تماماً لخدمة الحرمين الشريفين ليلاً ونهاراً من خلال العناية بهما وتبخيرهما بالمجامر^(١) وعدم الانشغال بملذات الدنيا وشهواتها مثل النظر إلى النساء في الحرم أو حتى الزواج وإنجاب الأولاد خارج الحرم فهم قد اختيروا تحديداً بعد تخييرهم لينقطعوا عن كل ذلك ويتفرغوا لخدمة الحرمين فقط وغالباً ما يختار الشخص منهم أن يكون أحد خدام الحرمين بعد أن يتنازل عن شهوات وملذات الدنيا الفانية، مختاراً لا مجبراً.

وكلمة (الأغوات) مفردها (الأغا) هي لفظه أعجمية مستعملة في اللغات التركية والكردية والفارسية، فعند قبائل الأكراد تطلق على شيوخهم وكبارهم وعند الأتراك تطلق على الرئيس والسيد وعند الفرس تطلق على رئيس الأسرة وربها كما استخدمت لفظة أغا أيضاً في العصر العثماني لتطلق على الشيخ أو السيد وصاحب الأرض ورئيس خدمة البيت فكان معظم من خدم الحكومة العثمانية من المشتغلين بالوظائف العسكرية يلقبون بكلمة (أغا) كما استخدمت هذه اللفظة أيضاً في هذا

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٥١

العصر لتطلق على الخصيان الخادمين في القصر العثماني أو على جيش الإنكشارية الذين اشتراهم السلطان العثماني أورخان بن عثمان (٧٢٦هـ / ٧٦١هـ) ليتفرغوا للجهاد وخدمة القصور السلطانية.

أما ما ورد في كتب المصادر المكية عن بداية استخدام هذه اللفظة في مكة المكرمة والمدينة المنورة تحديداً فقد أرجعوا ذلك إلى عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فهو أول من وضع خداماً للكعبة المشرفة من العبيد وبينت تلك المصادر أن أول من أمر بخصيانهم هو ابنه يزيد بن معاوية رحمه الله بعد أن نصحه بذلك أعوانه وبطانته وكان يقصد من وراء ذلك العمل الغير إنساني كي لا يشغل بعضهم بالنظر إلى النساء وزيتتهن في رحاب الحرم المكي الشريف^(١) وليبقى فكرة وعقله منصب على الاهتمام بخدمة الحرم المكي الشريف فقط.

وذكر بعض المؤرخين المكيين أن أول من رتب تنظيم هؤلاء الخدم أو الأغوات في المسجد الحرام هو ثاني خلفاء بني العباس أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور رحمه الله (١٣٦هـ - ١٥٨هـ).

أما بالنسبة لبداية ظهورهم بالمسجد النبوي الشريف فقد تأخر قليلاً إلى القرن السادس الهجري في زمن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فقليل أنه هو أول من عين خصياناً لخدمة المسجد النبوي الشريف وكان

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٥٢

سبب هذا التأخير هو أن اهتمام الخلفاء السابقين كان منصباً أكثر على الحرم المكي الشريف.

وقد ظل هؤلاء (الأغوات) أو خدم الحرم على مر العصور وعبر التاريخ يتميزون بزي معين موحد يميزهم عن غيرهم ممن يشتغلون في الحرم المكي يقول ابن بطوطة في رحلاته (وخدام هذا المسجد الشريف من الأحابيش وسواهم هم على هئيات حسان وصور نظاف، وملابس ظراف، وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام، وهو في هيئة الأمراء الكبار ولهم المرتبات تجري من ديار مصر والشام، ويؤتي إليهم بها في كل سنة)^(١).

فالدولة العثمانية مثلاً خصصت للأغوات في الحرمين الشريفين لباساً معيناً وموحداً يتكون من عباءات إستنبولية وثياباً واسعة مطرزة مشدود عليها بحزام ويحملون في أيديهم عصياً طويلة ويضعون على رؤوسهم غطاء ويقال أن السلطان سليمان القانوني هو الذي رتبهم على هذه الهيئة في القرن العاشر الهجري.

ويتكون لباسهم اليوم من رداء يسمى الرجبه أو الرجبيه وهو ثوباً عليه سديرية والسروال الطويل من تحتها بالإضافة إلى الشال الذي يوضع على الكتف ويسمى الحزام وغطاء يوضع على الرأس يسمى القاووف

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار / دار أحياء العلوم / بيروت / ج١ / الطبعة الثانية / ١٤١٢هـ ص ١٣٥

ويلبسون الساعة والخاتم بشكل دائم.

ودائماً ما يتشدد الأغوات في الالتزام بالزي الرسمي الخاص بهم فهم لا يلبسون الثياب أو الرجبية وزارها مفتوح ومن يعمل ذلك يعاقب بالضرب من رئيسهم المباشر الذي يطلق عليه (شيخ الأغوات) ولا يستخدم هذا الزي السابق إلا في أوقات الدوام الرسمي وعند عودتهم إلى غرفهم للنوم والراحة يلبسون الثياب المعتادة.

وفي العهود المطابقة كان الأغوات يتفاضلون على بعضهم البعض بشارات وعلامات حسب رتبهم فتظهر هذه العلامات معلقة على الزي الذي يرتدونه (فالخبزية)^(١) من الأغوات مثلاً يضعون على رؤوسهم شاشاً مصنوعاً من القصب يسمى (فرخ يشمك) يلفون به الطربوش (القاووف) الذي يرتديه كبار الأغوات فقط من درجة خبزي فما فوق.

كما يمكن التمييز بين درجات الأغوات ومراتبهم بواسطة استعمال الشال (حزام من صوف) على كفيات معينة فمن كان منهم في درجة الخبزية السابقة الذكر فما فوقها فإنه يضع الشال على الكتف ومن كان دون درجة الخبزية فإنه يربط الشال على خصره وتحت رداء (الرجبة أو الرجبية)^(٢).

(١) الخبزية: درجة تمنح للأغوات مفردها خبزي وهي من أعلى درجاتهم رتبة

(٢) الرجبة: نوع من الثياب يلبسه الأغوات

وذكر بعض المؤرخين المكيين أنه يشترط في الذي يريد الالتحاق بسلك الأغوات أن يكون مخصياً^(١) وأن يقبل تطبيق نظام الأغوات عليه مهما صعب وأن لا يعدل عن ذلك وأن يربط في الحرم مدة سبع سنوات متواصلة بناء على جدول المناوبة للأغوات وأن يؤدي واجبه على أكمل وجه وأن يطيع أوامر رؤسائه الشيوخ وأن يكون بصحة جيدة وفي مطلع العصر السعودي كان البحث عن الذين تتوفر فيهم هذه الشروط المذكورة أعلاه يتم عن طريق شيخ الأغوات أو الأغوات أنفسهم فنجدهم يسافرون من أجل هذه المهمة فإذا وجدوا من تتوفر فيهم الشروط فإنهم يخبرون به شيخ الأغوات فيكتب بشأنهم إلى المقام السامي في الحكومة السعودية بالرياض ليأمره وزير الحج والأوقاف بتعيينه وليتم منحه الجنسية السعودية مباشرة بعد وصوله إلى الديار السعودية وليباشر بعدها مهامه في عمله الجديد داخل الحرمين الشريفين والذي كان يقتصر في البداية على غسل المطاف وتنظيف الحرمين من فضلات الحمام وإنارة القناديل وبعد التوسعة الأولى أنحصر عملهم في خمس وظائف هي :

١. المشاركة في استقبال الملك والوفد المرافق له.

٢. خدمة ضيوف الدولة من رؤساء ووزراء.

(١) المخصي من أزيل عنه حب الشهوة وملذات الحياة عن طريق الطب ليتفرغ للعبادة والعناية بالحرم المكي بدون التمتع بالنظر إلى النساء وقد قامت حكومة المملكة بمنع هذه الطريقة نهائياً لما في ذلك من الظلم للحياة الإنسانية.

٣. فصل النساء عن الرجال أثناء الطواف.

٤. تنظيف الحجرة النبوية في المسجد النبوي الشريف وفتحها عند الحاجة لذلك.

٥. استقبال ضيوف الدولة عند باب السلام ومرافقهم^(١) في الزيارة حتى رحيلهم.

وقد كانت الحكومة السعودية منذ عهد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود تتولى الاهتمام بهم وتجزل لهم العطاء وتمنحهم المنح والأوقاف نظير ماضحوبه من ملذات حياتهم الدنيا خاصة بعد صدور المرسوم ملكي في سنة ١٣٤٦هـ الصادر من جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله (بعدم اعتراضهم أو التدخل في شؤونهم الخاصة).

وبعد وفاة الملك عبدالعزيز أيد أبنه سعود رحمه الله تقرير والده السابق وزاد من أعطياتهم ومنحهم في الحرمين فكان الأغوات بذلك موضع اهتمام الأسرة المالكة حتى كان أواخر عهد الملك خالد بن عبدالعزيز وبداية حكم خادم الحرمين الملك فهد يرحمه الله الذي أمر بإلغاء المرسوم السابق وقطع استقدامهم نهائياً وبالتالي إلغاء هذه الوظيفة نهائياً من الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين لما في ذلك من الغبن والظلم للحياة البشرية

(١) خير الدين الزركلي / الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز / دار العلم للملايين / الطبعة

الرابعة ١٩٨٤م، بيروت لبنان، ص ٣٢٢

وحقوقهم الإنسانية واكتفى رحمه الله بالعناية بمن بقي منهم على قيد الحياة فكان يرسل إليهم سنوياً مبالغ مالية ومشالح تصلهم عن طريق الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، مع صرف مرتبات شهرية لهم إضافة إلى عوائد الأوقاف التي توزع عليهم بالتساوي فأوقافهم منتشرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف والأحساء ولهم أوقاف في العراق والمغرب واليمن وأوقافهم في الحرمين الشريفين نوع من البر والإحسان لهذه الفئة الغالية من المجتمع السعودي ومن هذه الأوقاف ما أندثر ومنها ما هو قائم^(١).

وبلغ عدد من بقي من الأغوات على قيد الحياة في الوقت الحاضر أربعة عشر أغا يعملون بالحرم المكي الشريف واثنان عشر أغا يعملون بالحرم النبوي الشريف وكان آخر أغا صدر المرسوم السامي لتعيينه ومنحه الجنسية السعودية في سنة ١٣٩٩ هـ.



(١) خير الدين زركلي / مصدر سابق ص ٣٢٢

حمام الحرم

حمام الحرم أو حمام رب البيت أو حمام الحمى.. كلها أسماء أطلقتها المكيون سكان الحرم على نوع معين من الحمام لا يتواجد إلا في الحرم المكي الشريف ولذلك ينسب هذا الحمام إلى الحرم فيقال له (حمام الحرم) ونراه بكثرة حول الكعبة وفي ساحات الحرم المكي الشريف وعلى شرفاته. أما عن سبب تسميته (بحمام الحرم) فذلك راجع لمكان تواجد به بالحرم المكي ويسمى أيضاً (بحمام الحمى) لأن مكة المكرمة هي حمى لمن يدخلها وحرماً أمناً لساكنيها^(١).

وأهل مكة المكرمة المقيمين فيها بالإضافة إلى زوارها من حجاج ومعتمرين هم دائماً على علاقة وثيقة جداً بهذا النوع من الحمام.. بل أنهم يحرصون على عدم تنفيره أو إلحاق الأذى به احتراماً لقدسية المكان أولاً ثم لأن الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ أوصوا العباد بعدم الصيد في حرمة الأمن أو حتى مجرد تنفيره.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْبِبُوا إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) فشمّل الأمن هنا في الآية السابقة كل شيء من أرض الحرم (شجره ودوابه وحمامه وطيّره) فلا ينفر وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: (إن هذا البلد

(١) الأزرقى مصدر سابق ج ٢ ص ١٤٦

(٢) سورة القصص آية ٥٧

حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض.. فلا ينفر صيدها.. ولا يختلى شوكتها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد^(١) وذلك لأن هذا الحرم حرم حذاؤه من السموات السبع والأرضين السبع) حياله إلى العرش^(٢). واختلف العلماء في بداية ونشأة وجود هذا الحمام المكي في الحرم الشريف فلم يعرفوا له تاريخ معين موثوق به قال الإمام السيوطي رحمه الله: (إن أصل حمام الحرم من الحمامتين اللتين عشعشتا على الغار أثناء هجرة النبي ﷺ فكان جزائهما من الله عز وجل على صنيعهما مع النبي ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية أن يعيشا وذريتهما أمنين في الحرم إلى أن تقوم الساعة آية من آيات الله تعالى وهو القول الراجح والله أعلم.

فيما يذهب العلامة والمؤرخ المكي أبي الوليد الأزرق في كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام إلى أن حمام الحرم هو من نسل طير ((أبائيل، الذي أرسله الله لهلاك إبراهيم وفيله عندما أراد تحطيم الكعبة المشرفة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ ٢ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ٣ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ٤ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلٍ﴾ ٥^(٣) وهذا قول ضعيف ضعفه معظم العلماء

(١) سنن ابن ماجه ص ١٠٣٨

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ١٠٧

(٣) سورة الفيل آية ١-٥

لاتفاقهم على أن الأبايل تلك كانت من نوع طيور الظلام (الخفافيش التي يمتلئ أيضا بها الحرم المكي إلى اليوم والتي تتميز بمخالبتها القوية وقدرتها على حمل الحجارة.

وأما ما جاء في كتب الأقدمين والمؤرخين المعاصرين عن نوعية هذا الحمام وصفته وشكله (فحمام الحرم المكي) مميز عن بقية الحمام المتواجد في سائر الأرض، متفرد في خلقته وهيئته ولونه فلونه أسود داكن متداخل مع اللون الرصاصي يميل إلى الاخضرار في أسفل الرقبة. فسبحان المتفرد الذي خلقه بهذه الألوان المتداخلة ليشكل آية للناس في هذا المكان الطاهر الملي بالآيات والمعجزات خاصة وأن هذا النوع من الحمام لا ينفر ولا يطير من الناس إذا اقتربوا لإطعامه فعلى مدى السنوات الطويلة وعلى مر العصور التاريخية كان أهل مكة وزوارها من الحجاج والمعتمرين يجنون أن يقدموا الحب بأنواعه المختلفة لهذا الحمام طلباً للأجر والثوبة من الله^(١). حتى أننا وجدنا أن معظم الولاة والسلاطين والخلفاء في الدولة الإسلامية كانوا يتسابقون للعناية به فنجد مثلاً التابعي الجليل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أثناء ولايته على الحجاز كان دائماً ما يجعل لحمام الحرم حوضاً مصهرجاً يصب هن فيه الماء ويقدم هن أنواع الحبوب والحنطة

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ / كتاب الحيوان / دار صعب / بيروت لبنان / ١٤٣١هـ

/ المجلد الأول، الجزء الثالث ص ٨٤٤

وكان يقوم بذلك ^(١) بنفسه رحمه الله غير معتمداً على جنوده أو حرسه ابتغاء الأجر والمثوبة من الله.

وفي العهد السعودي الحديث قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين أيدها الله ممثلة في أمانة العاصمة المقدسة ببناء مساكن خاصة لهذا النوع الفريد من الحمام حيث أقيم أحد هذه المساكن تحت جسر الحول ولكن يبدو أن الفكرة لم تلاقي نجاحاً كاملاً لأسباب لا يعلمها إلا الله وقد يكون السبب وراء رفض الحمام أن يأوي في هذه البيوت أن حمام الحرم يجب أن يأوي إلى مكانه الطبيعي قرب الكعبة دون الزامه بمكان معين بعيداً عن الكعبة فسبحان الخالق.

ومما ذكره العلماء عن الآيات البينات التي خصها الله لهذا الحمام المكي بالذات وما قاله الجاحظ رحمه الله (أن هذا النوع من الحمام بالذات لا يعلو البيت صحيحاً ويعلوه مريضاً طلباً للشفاء وأنه إن طار لا يسقط منه شيء على ظهر الكعبة أو سقفها ولا يلوث الكعبة وحرماً بروثه في أي حال من الأحوال) ^(٢).

وهو ما أكدته المحب الطبري بقوله: ((ولولا ذلك لكان البيت مملوء

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٤٦

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٥٢ - ص ٣٥٣

بالقاذورات ومخلفات الحمام مما يتعذر الجلوس معه للصلاة أو الطواف^(١).

ويضيف لنا العلامة والمؤرخ المكي الشيخ محمد طاهر الكردي يرحمه الله وهو (ابن مكة) البار ومؤلف كتاب تاريخ مكة المكرمة ما قوله: (أنه بقي لفترة طويلة يتردد على الحرم المكي بحكم أنه كان يسكن في أحد الأحياء القريبة من الحرم لإثبات أو نفي وقوف الحمام على الكعبة واستطاع أن يوثق بعدسته الخاصة وقوف الحمام على الميزاب البارز عن جدار الكعبة بمترين تقريباً دون الكعبة ونشر ذلك في أحد أجزاء كتابه^(٢).



(١) نفس المصدر ص ١٤٧ و ص ٣٠٧

(٢) محمد طاهر الكردي المكي / التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم / دار خضر / بيروت /

لبنان / الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الندوة

(الندوة) في كتب اللغة كلمة مأخوذة من الندي أي المجلس حيث يندو القوم حواليه وإذا تفرقوا فليس بندي، وناديته أي جالسته في الندي.

قال الشاعر :

متى لو ينادي الشمس ألفت قناعها

والقمر الساري لا لقي المقالدا^(١)

ودار الندوة التي ذكرت في كتب السير والمغازي قد اتفق علماء التاريخ على أن قصي بن كلاب هو من أمر ببنائها^(٢) في فناء الكعبة قبل الإسلام في عصر الجاهلية ولكنهم اختلفوا في موقعها من المسجد الحرام فجعلها بعضهم مكان المقام الإبراهيمي الآن وأخرها بعضهم إلى جهة بئر زمزم أبعد من ذلك بقليل ورجح هذا القول الأخير العلامة والمؤرخ المكي أحمد السباعي في كتابه (تاريخ مكة) مؤكداً على أن موقعها هو أحد الأروقة خلف المقام^(٣) غربي المسجد الحرام^(٤) فكانت أبوابها مشرعة نحو الكعبة ليرى من خلالها الطوائف والمساحة أمامها فضاء للطوائف^(٥) ليتمكنوا من

(١) عبد السلام هارون / مصدر سابق جـ ٥ ص ٤١٢

(٢) أحمد السباعي / مرجع سابق جـ ١ ص ٣٩

(٣) نفس المرجع جـ ١ ص ٢١٣

(٤) الأصطخري / مصدر سابق ص ٤١

(٥) الأزرق / مصدر سابق جـ ٢ ص ١١٤

الطواف حول الكعبة بحرية تامة.

و«دار الندوة» هي من الآثار التاريخية الهامة لمكة المكرمة في التاريخ الجاهلي ولكنها أصبحت اليوم أثراً بعد عين بعد أن كانت بمثابة مجلس الشورى في عصرنا الحاضر يجتمع فيها زعماء قريش للمشاورة وإبرام الأمور^(١) ثم أورها بعد وفاته قصي لبني عبدمناف أيضاً من عبدالدار والتي سلمت رئاستها إلى هاشم ومن بعده إلى ابنه عمير وعامر من بني عبدمناف أيضاً وبعد دخول المسلمين مكة بفترة وجيزة في السنة التاسعة نسيت هذه الدار كلياً بل وهجرت ولم يعد لها أهمية ذلك لأن مقر الدولة الإسلامية كان في المدينة المنورة فأبتاعها معاوية ابن أبي سفيان رحمه الله من ابن الرهين العبدري من ولد عامر بن هاشم بن عبدمناف ويومئذ طلب شبيهه بن عثمان سادن الكعبة من معاوية رحمه الله الشفعة فيها فأبى عليها وأمر معاوية على عمارتها داراً له لينزل فيها أيام الحج ثم نزلها من بعده خلفاء بني أمية حتى جاء عهد الخليفة الأموية عبدالملك بن مروان رحمه الله فأدخل بعضها في المسجد الحرام بعد أن أصلحها وجعلها للمصلين وبقيت كذلك حتى أدخل بعضها الآخر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور رحمه الله أثناء عمارته للمسجد وأوضح بعض المكين أنه الجانب الشامي لدار الندوة وهو المكان الذي كان يصلي فيه الإمام أبي حنيفة النعمان فيما

(١) نفس المصدر جـ ٢ ص ١٠٩

بعد ويسمى (المقام الحنفي) وبقيت الأجزاء المتبقية من الدار لسكن خلفاء بني العباس أثناء حجههم إلى ان ابتاع الخليفة هارون الرشيد داراً من بني خلف الخزاعين وبذلك أهمل ما بقي من دار الندوة ليصبح سكناً للعبيد والغرباء.

وفي ذلك يقول أبي محمد الخزاعي: (ورأيتها أي دار الندوة على أحوال شتى وكانت مقاصيرها التي للنساء تكثرى من الغرباء والمجاورين وفي مقصورة الرجال دواب عمال مكة ثم كانت بعد ذلك دار إيواء لعبيد مكة من السودان وغيرهم وكانت تلقى فيها القمامات ويتوضأ فيها الحجاج حتى صارت ضرراً على المسجد الحرام).

وفي سنة ٢٨١هـ استعمل المعتضد بالله العباسي على بريد مكة رجل من أهلها من جيران المسجد الحرام له علم ومعرفة وحسبه وفطنة بمصالح المسجد الحرام فكتب إلى وزير المعتضد بالله الوزير عبدالله بن سليمان بن وهيب كتاباً يذكر فيه (أن دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت وكثر ما يلقي فيها من القمامات حتى صارت ضرراً على المسجد الحرام وأنه إذا أخرجت ما فيها من القمامات وجهزت للصلاة لكان أفضل للمصلين والطائفين) ووصل الأمر إلى الخليفة أبي العباس المعتضد بالله في بغداد فأمر رحمه الله بعمارة دار الندوة لتكون مسجداً ووصلها بالمسجد الحرام حتى كان المصلين في دار الندوة يستقبلون القبلة ويراهم الجميع وتم ذلك البناء في

سنة ٣٠٦هـ في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله وذكر بعض المؤرخين أنه قام بتسوية جدارها وسقفها وشرفها بالمسجد الكبير وجعل لها منارة وخزانة في زاويتها^(١) وأساطين وأروقة ومنذ ذلك الحين لم يعد لدار الندوة ذكر ووجود بل أصبحت جزء لا يتجزأ من المسجد الحرام.



(١) نفس المصدر ج٢ ص ١١١ - ١١٣

السقاية

ورد في كتب اللغة أن (السقا) يكون للبن والماء.. (والقربة) تكون للماء خاصة و (سقاها) من باب رمى (أسقاها) قال له (سقيا) وسقاها الله الغيث وأسقاها. والاسم (السقيا) بالضم وقيل سقاها الشفية واسقاها لما شيته وأرضه و (سقاياه) الماء معروفة وأما (السقاية) التي في القرآن فقالوا: الصواع الذي كان الملك يشرب فيه^(١) ومعنى أسقاها أي دله على الماء فهو ساق وسقيه كسمية بئر كانت بمكة شرفها الله تعالى بماء زمزم^(٢).

و (السقيا) مهمة جليلة وشرف عظيم وجدت بمكة المكرمة في أيام الجاهلية وكانت عبارة عن ماء عذب من ماء زمزم، ونبذ التمر، والعسل، والزبيب، ونحوه في حياض من الأديم يشربه الحجاج^(٣) من أيدي بني عبدمناف وبني العباس التي ورثوها من قصي بن كلاب^(٤) تقربا إلى الله تعالى رب البيت العتيق ثم قيل أن أبي طالب عم الرسول ﷺ كان فقيراً لا يملك ما لا يعينه على السقاية فاستدان من أخيه العباس بن عبدالمطلب عشرة آلاف درهم إلى نهاية الموسم فيردها. ولكنه صرفها جميعاً في موسم

(١) محمد الرازي / مرجع سابق ص ٢٢٩

(٢) الفيروز أبادي / مرجع سابق ص ١٢٩٥

(٣) صفي الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ١ (روضة الأنوار)

(٤) نفس المرجع ص ٧

الحج للسقاية ولما حان موعد رد الدين عجز عن رده فجعل السقاية لأخيه العباس بدلاً عن الدين^(١) مما يدل على مكانة وشرف السقاية آنذاك والتي لا تقارن بالمال.

وبعد فتح مكة في السنة التاسعة من الهجرة أراد العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أن يجمع مع السقاية التي نالها (السدانة) و (مفاتيح الكعبة) والتي كانت بيد بني شيبه ظناً منه بأن الرسول ﷺ سينزعها من بني شيبه ويعطيها إياه ولكن الرسول ﷺ أبى عليه ذلك خاصة بعد نزول قوله تعالى: (أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها).

ولقد حافظ بني عبدالمطلب على مهمة السقاية للحجاج والمعتمرين في زمن الجاهلية وبعد الإسلام إيماناً منهم بشرف المهمة الموكلة إليهم. وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث حدث به عن النبي ﷺ حين دعا بسجل ماء زمزم ليتوضأ به ثم قال: ((انزعوا عن سقايتكم يا بني عبدالمطلب فلولاً أن تغلبوا عليها لنزعت منكم^(٢))).

وفي رواية أخرى أمر النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم أن يفيضوا نهراً وأفاض في نسائه ليلاً فطاف بالبيت على ناقته ثم جاء زمزم فقال: ناولوني دلواً فشرب ثم تمضمض في الدلو ثم أمر بماء في الدلو فأفرغ في

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٠٦

(٢) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٥٦

البئر لتحصل بركته ﷺ بإذن الله ثم قال: لولا أن تغلبوا عليها لنزعت منكم ^(١).

(فالسقيا) إذا أمانة وشرف شرفه الله لبني العباس بن عبدالمطلب دون غيرهم من أمة محمد ﷺ فما أعظمه من شرف.

ولذلك حرص بنو العباس رحمهم الله على أمر السقاية في الجاهلية وصدر الإسلام وبعده حتى جاء الله بدولتهم العباسية كي لا ينازعهم فيها أحد كما ورد عن رسول الله ﷺ كيف لا ؟ ولذلك وجدنا الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه يضع لها حوضين في صحن الحرم حوض بين بئر زمزم وبين الركن ليشرب منه الطائفين حول البيت العتيق وآخر من ورائها للوضوء، وفي ذلك يقول الشاعر:

كأنني لم أقطن بمكة ساعة
ولم يلهني فيها ريب منعم
ولم أجلس لحوضين شرقي زمزم
وهيهات منك لا أين زمزم
ومما يدل على حرص العباسيين على أمر السقاية وأنها شرف عظيم لهم ما ذكره بعض المؤرخين المكيين من أنه حدث في عهد أول خلفاء بني أمية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله أنه أراد أن يسقي دار الندوة فأرسل إليه ابن عباس رضي الله عنه أن ذلك ليس من شأنك فقال معاوية صدق والله !!
لأنه يعلم ما قاله ﷺ في شأن السقاية يوم فتح مكة!

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة

فأمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان رحمه الله حينئذ أن تكون سقايته بالمحصب في منى بعيداً عن أماكن سقاية بني العباس قال مسلم بن خالد: وكان موضع سقاية العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بين الركن وزمزم مما يلي ناحية الصفا، ثم نحاهما ابن الزبير إلى موضع آخر.

وذكر غير واحد من أهل العلم من أهل مكة أن موضع مجلس ابن العباس رضي الله عنه كان في زاوية زمزم التي تلي الصفا وقد أقام عليه سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب رحمه الله قبة واضحة جليلة كي يعلم الناس مكان من أوكلت إليه السقاية من بني عبدالمطلب^(١) وفي عهد أبي جعفر المنصور رحمه الله الخليفة العباسي أضيف على القبة تلك سقيفة من ساج حديد تعظيماً لبني العباس.

ولكن وللأسف الشديد فقد حالت الاهتمامات السياسية وبناء الدولة العباسية الجديدة ومتابعة الخارجين عليها خلفاء بني العباس عن الاهتمام بأمر السقاية ومتابعتها فكانوا يعهدون بها إلى آل الزبير المتولين أمر التوقيت في الحرم المكي ليقوموا بأعمال السقاية نيابة عنهم إلى جانب عملهم في التوقيت.

ومع مرور الزمن طلب الزبيريون من الخلفاء العباسيين ترك السقاية لهم بالكلية ليتفرغ العباسيين لدولتهم ونشر دين الإسلام فتركوها لهم بموجب

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٦٠٠

منشور أعد بذلك. ونظراً لتكاثر أعداد الحجاج. وكثرة الأعباء فقد أشرك الزبيريون معهم آخرين في العمل عرفوا فيما بعد (بالزمزمة)^(١).

ولما وصل العثمانيون إلى الحجاز في القرن العاشر الهجري واحكموا سيطرتهم عليها أمروا بتثبيت آل الزبير على السقاية بالإضافة إلى العناية بمزولة الحرم حتى لقبهم أهل مكة (ببيت الريس) نسبة إلى اهتمامهم برئاسة التوقيت والسقيا في الحرم المكي واستمرت رئاستهم للتوقيت والسقاية فترة من الزمن.

وفي العهد السعودي الحديث استمرت أيضاً عناية واهتمام ملوك هذه الدولة بالسقيا فكانت عنايتهم تلك عناية كبيرة حيث أولوها جل اهتمامهم وقد تحدثنا في حديثنا عن بئر زمزم في بداية الكتاب عن تلك الجهود والتي كان من أبرزها أن أوكلت مهمة السقاية ومتابعتها والعناية بها لرئاسة الحرمين الشريفين فتولت بدورها تخصيص قسم خاص لهذه المهمة العظيمة يسمى (قسم السقاية) يشرف عليه موظفين وعمال ذو كفاءة عالية وتم جلب أحدث التقنيات الحديثة لحفظ الماء وتعقيمه وتبريده حتى يصل إلى المصلين في حافظات سهلة النقل معبأة بمياه زمزم الحار والبارد في كل ركن وزاوية ورواق من أروقة الحرم المكي الشريف،

(١) الزمزمة: هم أناس من أهل مكة اشتهروا بالعناية بباء زمزم وتولي سقاية الحجاج والمعتمرين وكانت بداية ظهورهم في عهد الدولة العباسية تبعاً لطلب آل الزبير الذين اختصوا هم بالتوقيت في الحرم المكي الشريف

تجدد يومياً وبتقنية عالية رفيعة المستوى كما وضعت بعد ذلك صنادير في مناطق متعددة من الحرم المكي خصصت لماء زمزم.

وتولت رئاسة الحرمين الشريفين كذلك مسؤولية نقل مياه زمزم في صهاريج ضخمة إلى المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة يومياً وليتم توزيعه في نفس الحافظات على كل أروقة المسجد النبوي الشريف وبنفس التقنية العالية.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله أثناء التوسعة الثالثة أمر بإقامة مصنع خاص لتعبئة مياه زمزم في عبوات مخصصة ليتم توزيعها لكل أنحاء العالم الإسلامي.

وبدورها قامت إمارة منطقة مكة المكرمة ممثلة في أميرها الأديب الشاعر الأمير خالد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله بتخصيص لجنة خاصة للسقيا تتولى توزيع عبوات مياه زمزم للحجاج والمعتمرين في المواسم الدينية إيماناً منه بعظم هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه. فما أعظمه من شرف وما أجلها من مهمة يقوم بها خدام الحرمين الشريفين ملوكاً وأمراء.



(الحجابه والسدانه)

(الحجابه) في اللغة الستر (وحجبه) منعه من الدخول، ومنه (الحجب) في الميراث^(١) وحجبه حجباً وحجاباً أي سترة وحجبه، ومن أحتجبت وتحجب والحاجب هو البواب والحجاب ما احتجب به^(٢).

و (السادن) خادم الكعبة والجمع سدنه وقد (سدن) في باب نصر وكتب^(٣) وسدن سدنًا وسدانه: أي خدّم الكعبة^(٤).

(فالحجابه والسدانه) مهمتان عظيمتان وجدتا في الحرم المكي الشريف منذ عصر ما قبل الإسلام تؤكل معاً لشخص واحد ذلك لأن من يقوم بخدمة الكعبة يقوم أيضاً بسترها وحمايتها في آن واحد ممن يريد الدخول إليها من عامة الناس فهي بذلك وظيفة واحده معقودة لمن يقوم بخدمة الكعبة، وحمل مفاتيح الكعبة المشرفة لرعايتها وخدمتها وسترها عن طريق قفل أبوابها أمام كل من يريد الأضرار بالكعبة.

وتعود قصة ظهور مهمة السدانه والحجابه قبل الإسلام إلى زمن سكنى قبيلة جرهم العماليق لمكة بعد ترحيب هاجر بهم للأنس معهم

(١) محمد الرازي / مرجع سابق ص ٩٩

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٣٨ (تاريخ مكة)

(٣) محمد الرازي / مرجع سابق ص ٢٢١

(٤) الفيروز أبادي / مرجع سابق ص ١٢٠٥

حول الكعبة.

فقد روي عن أبي عبد الله محمد بن عايد الدمشقي عن أم سلمه زوج النبي ﷺ أنها حدثت أن جرهماً كانت أهل البيت وهم العرب الذين يتحدثون بالعربية وتزوج منهم إسماعيل عليه السلام فأحلوا حرم البيت واقتتلوه حتى كانوا يتفاوتون، فسلط الله عليهم القبائل العربية فخرجوا من مكة بغير رجعة. وكان حول البيت عنيفة والسييل يدخله ولم يرفع البيت حينئذ فاذا قدم الحجاج وطئوه حتى تذهب الغيضة فإذا خرجوا بنيت^(١)

ومن أجل ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقريش في زمن الجاهلية «أنه كان ولاية هذا البيت قبلكم طسم، فأستخفوا بحقه، واستحلوا حرمة فأهلكهم الله عز وجل فعظموا حرمة» وكان يومئذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطاعاً في قومه.

يقول أهل السير أيضاً «استخفت جرهم بحق البيت فشردهم الله تعالى»^(٢) فقدم مكة قصي بن كلاب وأسمه زيد فقطع الغيضة وأبنتى حول البيت داراً وتزوج حبي بنت خليل فولدت له عبد الدار فسماه (عبد الدار) نسبه إلى داره تلك وكان قصي هو أول من تولى أمر الكعبة وخدمتها من قریش كلها فكانت إليه حجابتها وسدانتها.. ويده مفتاح الكعبة يفتحها

(١) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٦ (روضة الأنوار)

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٣٨ (تاريخ مكة)

متى شاء ولمن شاء وهو الذي أنزل قريشاً ببطن مكة وأسكنهم في داخلها، وكانوا من قبل في ضواحيها وأطرافها متفرقين^(١) وقبل وفاته جعل السدانة والحجابه واللواء ودار الندوة لولده الأكبر عبد الدار^(٢) والسقاية والرفادة لولده الآخر عبد مناف ثم أورث عبد الدار «الحجابه والسدانة» لابنه عثمان ولم يزل الأمر ينتقل في أولاد عثمان حتى وصل أمرها إلى عثمان بن طلحة زمن ظهور الإسلام^(٣) وعن ذلك يقول عثمان بن طلحة:

(كنا نفتح الكعبة الاثنين والخميس فجاء رسول الله ﷺ يريد أن يدخل الناس فنلت منه، وحلم عني).

ثم قال ﷺ يا عثمان (لعلك ستضع هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت)^(٤).

فقلت: هلك قريش يومئذ ودخل النبي ﷺ الكعبة.. ووقعت كلماته تلك مني موقعاً بأن الأمر سيصير إلى ما قال:

وفي رواية أن رسول الله ﷺ لما فتح الله على يديه مكة أرسل بلال بن رباح رضي الله عنه يطلب مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة وكان المفتاح

(١) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٦ (روضة الأنوار)

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٨ (تاريخ مكة)

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٣٨

(٤) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٦٤ وأنظر أيضاً زاد المعاد / لابن القيم الجوزية / مصدر

سابق ص ٤٩٨ ج ٣

عند أمه فطلبه منها فقالت له أمه (أعيزك بالله أن تكون الذي تذهب مأثر قومه على يديك.. فقال عثمان لأمه.. والله لتدفعيه أو ليأتينك غيري فيأخذه منك ثم أعطته إياه بعد أن سمعت صياح عمر رضي الله عنه بسبب إبطاء عثمان وسلم المفتاح إلى رسول الله ﷺ^(١)).

وفي هذا الشأن يقول ابن عباس رضي الله عنهما:-

(لما طلب رسول الله ﷺ المفتاح من عثمان، فهم أن يناوله إياه فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه للعباس بن عبد المطلب فقال: النبي ﷺ: هات المفتاح؟ فأعاد العباس رضي الله عنه قوله.. وكف عثمان!! فقال النبي ﷺ:

أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، فأخذ المفتاح وقال: هاك يارسول الله بأمانه الله^(٢) ثم قام رسول الله ﷺ وفتح باب الكعبة فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٣) فسلمه رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب وهو يقول:

(خذوها يا بني طلحة خذوا ما أعطاكم الله ورسوله تالده خالده لا

ينزعها منكم إلا ظالم).

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٠ (تاريخ مكة)

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٣) سورة النساء / آية ٥٨

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

(أن رسول الله ﷺ خرج من الكعبة وهو يتلو هذه الآية فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك) (١).

وكان السدنة من هذه الأسرة في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم يحتسبون أجورهم ويعتبرون عملهم هذا شرفاً لهم يتوارثه أبا عن جد وكابر عن كابر ومع تعاقب الزمان وعلى مر العصور حتى كثرت الأموال في بيت مال المسلمين عندئذ أصبح السادن منهم يخصص له أجراً من بيت المال بناء على خدمته للكعبة وكانت هذه الأجور عبارة عن أرزاق متفرقة ذكرها البكري في الممالك والمسالك بقوله: (لمن تمن الزيت بسرجهما أربعة آلاف دينار وثلاثمائة دينار تعطى لهما في كل عام.. وأما ما يخصص من النفقة لطيب الكعبة فثلاثة آلاف دينار وستمائة دينار وسبعون ديناراً) ويحمل للمجاورين بها من العين خمسة آلاف وثلاثمائة ومن الورق احدى وعشرون ألفاً) (٢).

وأعلم أخي القارئ الكريم أن هذه المهمة الدينية والتاريخية الجلييلة مازالت في الأسرة المكية الهاشمية من بني شيبه إلى يومنا هذا توارثوها كابراً عن كابر ويعرفون اليوم بالشيبيين وفي الحديث (خذوها خالدة)

(١) الأزرقى / مصدر سابق ص ٢٦٣

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة

إشارة إلى بقاء نسل أبي طلحة إلى يوم القيامة وبقاء السدانة فيهم ويعد ذلك من المعجزات الخالدة للنبي ﷺ في أخباره ببعض الغيبات.. فمفتاح الكعبة اليوم لا يزال محفوظاً عند ممثل العهدة من بني شيبه وطوله ٤٠ سم من ذهب ويحفظ لديهم في حقيبة حريرية مطرزة بالذهب الخالص والتي يجهزها مصنع الكسوة سنوياً مكتوب عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

ومكتوب في الجانب الآخر (أمر بصنعه خادم الحرمين الشريفين)^(١) وجرت العادة الكريمة من ولاية الأمر في المملكة العربية السعودية القيام بفتح باب الكعبة سنوياً لغسلها وتبخيرها وتنظيفها بأفخر أنواع الطيب والعود وماء الورد الذي يحضر خصيصاً لهذه المناسبة وتقوم وسائل الأعلام العالمية بإذاعة هذا الحدث الإسلامي العظيم على الهواء مباشرة في معظم القنوات الإسلامية والعربية.



(الرفادة)

جاء في كتب اللغة أن الرfid بكسر الراء العطاء والصلة، وبفتحها المصدر و (رفده) أعطاه و أعانه. والإرفاد أيضاً يأتي بمعنى الإعطاء والإعانة والصلة^(١) وهي بذلك كلمة مخالفة للوفادة (فالوفادة) بالواو تأتي بمعنى الإطعام والإسكان للموفد فقط وأما كلمة (الرفادة) بالراء فهي تعني البذل والعطاء والإعانة بالمال للتمكن من خدمة الحاج والزائر والمعتمر.

وأما عن قصة نشأة الرفادة في الجاهلية فتعود إلى أن قريشاً في الجاهلية كانت تخرج فيما بينها مالاً حلالاً من جميع سكان مكة وبعد جمعه يتم تسليمه إلى قصي بن كلاب في دار الندوة قبل الاجتماع لموسم الحج بوقت كاف ليشتري به مؤنه وطعاماً^(٢) وكل ما يلزم لاستضافة الحجاج طيلة أيام حجهم وبعد وفاة قصي بن كلاب سلمت الرفادة إلى ولده عبد مناف وبقيت فيهم إلى أن جاء الله بالإسلام وجرى في الإسلام ما كان يجري في الجاهلية^(٣).

(والرفادة) اليوم وفي عصرنا الحديث عادة ما يقوم بها التجار المؤسرين

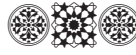
(١) محمد الرازي / مرجع سابق ص ١٩١

(٢) الفيروز أبادي / مرجع سابق ص ٢٨٣

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٤٠ (تاريخ مكة)

والجمعيات الخيرية التي لا عد لها ولا حصر في هذا البلد المبارك فبدورها تتكفل بجمع المال عن طريق الصدقات والهبات ثم تقوم أيضاً هذه الجمعيات الخيرية بشراء كل ما يلزم لإطعام الحاج والزائر بطرق منظمة وميسره وفي عبوات مخصصة وصحية يتم توزيعها على الحجاج والمعتمرين أثناء فترة بقائهم وإقامتهم في مكة والمشاعر المقدسة وبالإضافة إلى ما تقوم به هذه الجمعيات الخيرية تقوم أيضاً حكومة المملكة العربية السعودية هي الأخرى أيدها الله بدور آخر عظيم من أدوار الرفاة من خلال رعاية واستقبال عدد من الحجاج المسلمين وخاصة حديثي الإسلام لتحبيهم في الدين الجديد وعلى حسابها الخاص بدأ من قدومهم من بلادهم إلى وصولهم الديار المقدسة في مخيمات خصصت لهذا الغرض فتكفلت أعزها الله بإعاليتهم وإسكانهم وإطعامهم والبذل والعطاء والإعانة لهم بحكم عوزهم وحاجتهم وتشجيعاً لحدثة إسلامهم فيقدمون ضيوفاً على خادم الحرمين الشريفين وفضيلة مفتي المملكة العربية السعودية حفظه الله وبعض المؤسسات الحكومية التي أنشأت في وزاراتها أقسام خاصة تعنى بالرفاة في مواسم الحج كوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد وإمارة منطقة مكة المكرمة ووزارة الداخلية متمثلة في برنامج ضيوف خادم الحرمين الشريفين للحج والعمرة فجميع هذه الوزارات تكون على أهبة الاستعداد لتنفيذ برنامجها في الحج من كل عام.

ففي حج عام ١٤٣٧هـ مثلاً استقبل خادم الحرمين الشريفين وعلى
حسابه الخاص ما يقارب ٦٠٠ حاجاً من كل بلاد العالم. كما تكفلت وزارة
الداخلية بالمملكة باستضافة بعض الحجاج الذين غرر بهم بحملات
وهمية من بلادهم لتلقفهم الأيدي البيضاء في المملكة من حين قدومهم
الأراضي المقدسة حتى مغادرتها بعد أن أدو مناسكهم بكل رحابة ويسر.
وفي كل عام تستقبل المملكة العربية السعودية أيضاً حجاجاً من دولة
فلسطين مواساة لهم والتي يصل أعدادهم إلى ٢٠٠٠ حاج سنوياً.
جزى الله القائمين على هذه المهمة الجليلة خير الجزاء وأجزل لهم
الأجر والثوبة.



(الوفادة)

جاء في كتب اللغة أيضاً أن (الوفادة) كلمة مأخوذة من (وفد) وتأتي بمعنى قدم فلان فهو (وافد) والجمع (وفود) والوفاده بالكسر تعني أوفده وأرسله^(١) وفي القاموس المحيط وفد إليه وعليه و يفده وفداً ووفوداً ووفادة وإفادة بمعنى قدم وورد وافده عليه وإليه وهم وفود والإبقاء الإشراف ووافد حي الأوفاد وهم قوم أوفاد على سفر^(٢).

وقد عرفت الوفادة أيضاً منذ زمن ما قبل الإسلام وبعده في مكة المكرمة لكثرة ما يفد إلى البيت الحرام من الزوار والطواف والحجاج والمعتمرين من شتى بقاع الأرض.

فمهمة من يقوم بالوفادة تكمن في الترحيب بضيوف الرحمن وإسكانهم واثوائهم وتولي جميع احتياجاتهم ومسئولياتهم من لحظة وصولهم إلى حين مغادرتهم الأراضي المقدسة دون بذل المال فالفرق بينها وبين الرفادة بالراء بذل المال فقط وبالنظر إلى تاريخها في الجاهلية فقد استخفت بهذه المهمة العظيمة قبيلة جرهم العربية التي كانت تسكن مكة فكان جزائهم أن سلط الله عليهم القبائل العربية لتطردهم إلى خارج الجزيرة العربية، ثم كان ما كان من أمر قدوم قصي بن كلاب بن مرة، وجمعه لقريش ووعظه لهم حين

(١) محمد الرازي / مرجع سابق ص ٥٣٢

(٢) الفيروز أبادي / مرجع سابق ص ٢٢٦

قال: (يا معشر قريش إنكم جيران الله^(١) وأهل الحرم وأن الحجاج ضيفان الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فأجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام حجهم حتى يصدروا عنكم) فقالوا.. فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خراجاً تخرجه قريشاً في كل موسم يدفعونه إليه ليشتري به طعاماً للحجاج بمكة ومنى^(٢) وقد ورث هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب هذه المهمة العظيمة ثم ورثها منه أخوه المطلب ثم أولاد هاشم وكان هاشم هذا أعظم أهل زمانه فلم يسمي هاشماً إلا لأنه كان يهشم الخبز ويفتته ويجعله ثريداً ليأكله الحجاج^(٣) فجرى ذلك من أمرهم في الجاهلية حتى جاء الله بالإسلام فاستمر الأمر على ما هو عليه أيام الجاهلية وتعاقت السنون فكان في الدولة الإسلامية الأموية والعباسية من أهتم بأمر الوفادة ورعاها حق رعايتها فبذل النفيس لإكرام الحجاج وأحسن بذلك وفادتهم ولكن وللأسف الشديد فعندما ضعف الإسلام وظهرت بعض الدول الباطنية المادية قاموا وبجهل من حكوماتهم الشيعة بفرض بعض الضرائب والمكوس من قبل الأشراف الموالين لهم فأثقلوا كواهل الحجاج ونسوا تماماً المعنى الحقيقي والعامي للوفادة وأصبح الغرض تجارياً بحثاً حتى جاء الله بدولتنا الرشيدة أيدها الله وأعزها ونصرها على

(١) الأزرقى / مصدر سابق ص ١٩٦

(٢) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٧ (روضة الأنوار)

(٣) المرجع نفسه ونفس الصفحة

كل من عاها فقامت بدورها الوفادي خير قيام (مثلة في وزارة الحج) فهيئت وانشئت ما يسمى اليوم [بمؤسسات الطوافه]، وخصصت لكل بلد من بلدان العالم مؤسسة خاصة بهم يقوم عليها موظفين مدربين على يد أمهر المدربين في العالم، وهم على دراية كاملة بلغة وعادات البلد الذين هم مسؤولين عن تطويفه وإيفاده يقومون برعاية حجاجهم وإيوائهم وإطعامهم والترحيب بهم وتطويفهم بالإضافة إلى تعليمهم مناسك الحج الصحيحة بصدور رحبة ومتابعتهم في تنقلاتهم أثناء وبعد أداء المناسك منذ وصولهم إلى زمن مغادرتهم فهنيئاً لهذا البلد بهذه الوفادة العظيمة وإضافة إلى ما تقوم به هذه المؤسسات من جهود لإيفاد الحجاج فإن أمانة مكة المكرمة أيضاً إحساساً منها بالمسؤولية العظيمة فقد خصصت قسماً خاصاً بالإمارة يسمى (قسم الوفادة) إحياء من أميرها الأديب الشاعر خالد الفيصل آل سعود حفظه الله لتراث الأمة الإسلامية والدين الحنيف وتذكيراً منه للمعنى الحقيقي للوفادة في الإسلام حيث يقوم هذا القسم باستقبال ضيوف الرحمن في المطارات والموانئ والطرق البرية، استقبلاً حافلاً يشهده الحجاج فتهدى لهم المصاحف الشريفة، والكتب النافعة والمفيدة وما يستعينون به لأداء مناسكهم على أتم وجه فجزاء الله هذا البلد خير الجزاء وأنعم عليها بنعمة الأمن والأمان.

ولا ننسى هنا الدور الذي تقوم به أيضاً وزارة الداخلية مشكورة.. عبر

منافذها الحدودية بتخصيص مجتمعات خاصة تشرع أبوابها في مواسم الحج فقط لاستقبال الحجاج في هذا الموسم ملبية لهم كل ما يحتاجونه من دواء وإعانة وتوجيه ديني لتخفيف وعناء السفر عليهم.. وليواصلوا مسيرتهم الإيمانية إلى الأرض المقدسة بأمن وأمان بارك الله لحكومتنا الرشيدة هذه الجهود وأيدها بنصره وتمكينه انه سميع مجيب الدعاء.



الطواف

شرع الله الطواف حول الكعبة في كل وقت وحين سواء كان تابِعاً لنسك^(١) أو منفصلاً بذاته وهو تحية البيت الحرام عن طريق الدوران حول الكعبة سبع مرات بنية التعبد لله عز وجل مبتدئاً بالحجر الأسود ومنتهاً به جاعلاً الكعبة عن يساره^(٢) ونظراً لأهميته الدينية فقد عد نوعاً من أنواع الصلاة بشهادة عدد من الآيات والأحاديث^(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤) وقال تعالى ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٥).

وقال ﷺ: (إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمه، فإذا دخله غمرته، ثم لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلا كتب الله عز وجل له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة)^(٦).

(١) الفيروز أبادي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٣

(٢) الطيار / عبدالله محمد أحمد / خلاصة الكلام في أركان الإسلام / مطبعة وزارة الشؤون

الإسلامية الطبعة الثانية، ١٤٣٢ ص ١٨٤

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٩٣

(٤) سورة الحج آية ٢٦

(٥) سورة الحج آية ٢٩

(٦) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٤ وانظر نهاية الأرب في فنون الأدب / أحمد بن عبد الوهاب

النوري / دار الكتب ١٤٢٤ هـ - ج ١ ص ٢٩٤

وورد في الآثار القديمة: (أنه ليس من ملك يبعثه الله إلى الأرض إلا أمره الله بزيارة البيت، فينقض من تحت العرش محرماً ملياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا ويركع في جوف الكعبة ركعتين ثم يصعد^(١)). وتعود قصة بداية الطواف بمكة وأهميته الدينية إلى زمن آدم عليه السلام عندما هبط إلى الأرض من السماء عندئذ أمره الله تعالى ببناء الكعبة تكفيراً عن خطيئته في الجنة ثم الطواف حولها سبعا، فبنى الكعبة امتثالاً لأمر الله ثم طاف حولها سبعة أشواط كما أمره الله ثم صلى ركعتين شرق الكعبة عند الملتزم ودعى الله بدعائه المشهور: (اللهم أنك تعلم سريري وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فأغفر لي ذنبي اللهم أنك تعلم حاجتي، فأقض عني سؤالي اللهم إني أسالك إيماناً يباشر قلبي، ويقينا صادقاً كي أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي، والرضا بما قدرت)) فغفر له وتاب عنه^(٢) والطواف حول البيت العتيق سنة مؤكدة فعن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب قالاً: قال رسول الله ﷺ: ((طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كلها بالغة ما بلغت طواف بعد صلاة الصبح وفراغه مع طلوع الشمس وطواف بعد صلاة العصر وفراغه

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠٠ انظر القرى / لأبي العباس أحمد بن عبد الله محمد

الطبري / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٣١ هـ ص ٤٨

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٦

مع غروب الشمس) أخرجه المحب الطبري في منسكه^(١).

وعن جابر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهم أنه قال: (كان أحب الأعمال إلى النبي ﷺ إذا قدم مكة الطواف بالبيت)^(٢).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: (أسعد الناس بهذا الطواف قريش وأهل مكة، لذلك فهم ألين الناس فيه مناكب وأنهم يمشون فيه التواذه)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (أكرم سكان السماء على الله الذين يطوفون حول بيته، وأكرم سكان الأرض الذين يطوفون حول بيته)^(٤).

ويذكر بعض المكيين أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من مهد أرض الطواف وحصب أرضية المطاف بالحصباء^(٥) ووضع أسرجه على جدار الحرم ثم تبعه في ذلك عبدالله بن الزبير رضي الله عنه الذي مهد أرض الطواف بعد اكتمال بنائه للكعبة بعدما أصابها الضرر جراء رمي المجنيق من جيش الحصين بن نمير الأموي فقليل أنه أحضر له

(١) نفس المصدر جـ ٢ ص ٢٤

(٢) الفاسي / مصدر سابق جـ ١ ص ٥٩٢

(٣) الأزرق / مصدر سابق جـ ٢ ص ١١

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٩٨

(٥) د/ محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ص ٩٢

رمل الكثيب من أسفل مكة ورشه بالماء حتى تبلد فيكون بذلك ألين على أقدام الطائفين حول البيت، وإذا جاء الصيف أمر الغلمان برش الماء عليه بعد حملها على رقابهم.

ثم نهج نهجه الخلفاء وسلاطين الدولة الإسلامية^(١) بعده فكانوا يأمرهم برش أرض المطاف بالتراب والحصى وتسويته وإزالة التعرجات منه ثم رشه بالماء تسهيلاً للطائفين والمصلين.

يقول العلامة أبي الوليد الأزرقى رحمه الله: أن أول من فرق بين الرجال والنساء في الطواف هو والي الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على مكة خالد بن عبد الله القسري حيث كان يجلس عند كل ركن من أركان البيت العتيق حارساً يمنع اختلاط الرجال بالنساء^(٢) وهو الدور الذي تقوم به اليوم الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وأضاف بعض المؤرخين أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمه الله قام هو أيضاً بتمهيد صحن المطاف وبنى حول المطاف ضفائر لتحول دون إختراق السيل له كما أنه وضع فيه شمستين وأهدى له قدحين من زجاج علقا في سقف الكعبة لإضاءته^(٣) ليلاً للطائفين واهتم كذلك خلفاء الدولة العباسية بالمطاف خاصة عند عمارتهم للحرم المكي فكان الخليفة أبي

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٠

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٢

(٣) عمر العقيلي / مرجع سابق ٢٢٢

جعفر المنصور رحمه الله هو أول من أمر بفرش أرض المطاف كاملاً وكان يشرف بنفسه على ذلك ليلاً ونهاراً أثناء تواجده في مكة حتى توفاه الله فأكمل ولده محمد المهدي عمل أبيه والذي اعتبره أحد المؤرخين أيضاً أنه أول من جعل الكعبة وسط المطاف وقيل أنه أنفق في ذلك أموالاً طائلة^(١).

وكان أول من خصص مكاناً خاص للنساء في صحن الطواف مغطى بالحبال هو الخليفة العباسي المتوكل على الله^(٢) وفعل ذلك بعده خلفاء العصر العباسي الثاني ومن جاء بعدهم من خلفاء الإسلام وذكر أيضاً أن آخر خلفاء الدولة العباسية المستنصر بالله هو أول من جعل للمطاف حاشية وزين الممرات بمشاعل مضاءة^(٣).

ولما جاءت الدولة العثمانية قام السلطان العثماني سليمان القانوني بإحاطة المطاف بعمارة مبنية بالحصص والأجر لتقي المصلين حر الشمس^(٤) وفي العهد السعودي الحديث حضى صحن المطاف بنفس الاهتمام السابق إن لم يكن أكبر من ذلك فوجدنا أن مؤسسها الملك عبدالعزيز رحمه الله سنة ١٣٤٦ هـ بادر بفرش صحن المطاف بالحصباء وأزال المقامات الأربعة الموجودة فيه والتي كانت تعيق حركة الطواف ووضع سرادقات ومضلات

(١) ابن كثير / مصدر سابق (البداية والنهاية) ج ١ ص ١٥٥

(٢) أحمد السباعي / مرجع سابق ط ١ ص ١٨٤

(٣) نفس المرجع ص ٢٨٧

(٤) السيد ضياء عطار / مرجع سابق ص ٢٩ - ص ٣٢

ثابته لتقي المصلين من حر الشمس كما تضمنت التوسعة السعودية الأولى هي الأخرى فرش كامل صحن المطاف بالرخام الأبيض.

وفي سنة ١٣٩٨هـ وتحديدًا في عهد جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز يرحمه الله أمر بإزالة الرخام السابق ليتم تبليط صحن المطاف كاملاً ببلاط مقاوم للحرارة أحضر خصيصاً لهذا الغرض من اليونان مما زاد في راحة الطائفين وقت الظهيرة^(١) واشتمل ذلك المشروع حينئذ على تغيير مدخل بئر زمزم ونقل المكبرية إلى مكانها الجديد فوق العمارة العثمانية فأصبحت مساحة المطاف تتسع لعدد كبير من الطائفين وهم حفاة الأقدام أثناء الحرارة الشديدة كما تم تزويد المطاف بمياه زمزم المبردة في كافة جهاته وجناباته^(٢) وفي أوقات صلاة المغرب والعشاء مساء يقوم العاملون في الحرم بفرش السجاد بحركة دائرية منتظمة تحتوي على ممرات تسمح بدخول من أراد الطواف إلى بقية الصحن بشكل مرن ثم ترفع بعد ذلك.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين المغفور له بإذن الله الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وأثناء التوسعة السعودية الثالثة تم رفع الطاقة الاستيعابية للمطاف ليتسع لأكثر من ١٠٥ ألف طائف في كل ساعة مع تهيئة أماكن أخرى خصصت للطواف بالدور الأرضي والدور العلوي

(١) محمد عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ١٤

(٢) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٦٩

وسطح الحرم ليتمكن من أراد الطواف بها الطواف بيسر وسهولة مع الاعتناء بالطائفين من كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة الذين خصص لهم في هذه التوسعة جسر خاص لطوافهم على شكل حلقة دائرية تحاذي الرواق القديم بعرض ١٢ متراً وارتفاع ١٣ متراً لفصل حركة عربات ذوي الاحتياجات الخاصة عن حركة الطائفين في صحن الطواف مع ربطه بمسار سعي ذوي الاحتياجات الخاصة في ميزاني الدور الأرضي حفاظاً على سلامتهم وتسهيلاً لأداء نسكهم و بذلك حلت مشكلة الاختناقات التي تواجه الطائفين خاصة في المواسم الأكثر ازدحاماً بالحجاج والمعتمرين.

وأعلم أخي القاري الكريم أن الطواف المشروع عدة أنواع هي:

○ أولاً: طواف القدوم وهو مستحب لمن دخل المسجد الحرام.

○ ثانياً: طواف العمرة وكلاهما ركن من أركان الحج.

○ ثالثاً: طواف الوداع وهو واجب من واجبات الحج^(١).

كما أنه يشترط لصحة الطواف شروط منها:

○ أولاً: النية عند الشروع بالطواف

○ ثانياً: ستر العورة

○ ثالثاً: الطواف داخل المسجد الحرام

(١) الطيار / مرجع سابق ص ١٨٤

- رابعاً: أن يكون الطواف حول البيت.
- خامساً: أن يكون البيت العتيق عن يساره، وإذا كان البيت عن يمينه لم يصح الطواف.
- سادساً: أن يبدأ في طوافه بالحجر الأسود، وأن بدأ بغيره لم يصح الطواف.
- سابعاً: أن يكون الطواف سبعة أشواط فقط بلا زيادة ولا نقصان.
- ثامناً: الموالاة في ذلك إلا من عذر كالصلاة المفروضة (والتعب ونحوه).
- تاسعاً: الاضطباع^(١) في الطواف.
- عاشراً: يسن في طواف القدوم تقبيل الحجر الأسود. مع ملاحظة عدم التدافع والتزاحم
- حادي عشر: عدم الكلام أثناء الطواف إلا لحاجة كالدعاء والذكر ونحوه
- اثني عشر: مسح الركن اليماني باليد دون تقبيله
- ثلاث عشر: الصلاة ركعتين بعد الطواف وخلف المقام الإبراهيمي الشريف.

(١) الاضطباع / هو إظهار الكتف الأيمن حال الإحرام في الطواف

٠ رابع عشر: الشرب من ماء زمزم بعد الفراغ من الركعتين^(١).

وأعلم أخي القارئ الكريم أيضًا أنه ينبغي للطائف أثناء طوافه الانتباه إلى ما يلي:

[حفظ اللسان عما يؤدي إلى النقصان، وأن لا يزيد في رفع الصوت عن إسماع نفسه فلا يشوش على غيره في الطواف^(٢)].

وعند سؤال بعض العلماء أيهما أفضل للغرباء عن مكة الطواف أم الصلاة في البيت العتيق؟ أجاب بقوله: أن على مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة وغير واحد من العلماء:

(أن الطواف للغرباء عن مكة أفضل من الصلاة لعدم تأتبه لهم كل وقت، والصلاة لأهل مكة أفضل لتمكنهم من الأمرين) والله أعلم بالصواب^(٣).

وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه عندما قدم المدينة، ركب إليه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فسأله هل الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟ فقال رحمه الله بل الطواف! و مراد أنس رضي الله عنه والله أعلم.

(أن تكرار الطواف أفضل من العمرة ولا يريد به طواف أسبوع واحد

(١) الطيار / مرجع سابق ص ١٨٤

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٠١

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٢٩٤

فإنه موجود في العمرة)).

وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة على الطواف ويرون أن الاشتغال بها أفضل من تكرار الطواف بل ويستفرغون وسعهم فيها بحيث لا يبقى في أحدهم منه يستعين بها على الطواف، وذلك خطأ ظاهر وأدل دليل على هذا الخطأ مخالفة السلف الصالح في ذلك قولاً وفعلاً ولم يفضل تكرارها والإكثار منها النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين وتابعي التابعين رحمهم الله^(١).



مهنة الطوافة

(الطوافة) مهنة عظيمة الأجر والثواب وجدت وارتبطت بالحرم المكي الشريف لوجود سنة الطواف بالبيت العتيق. ومفردتها (مطوف) والمطوف هو الخادم الذي يخدم الطائف بالبيت وصاحب النسك برفق وعناية فيقوم بتلقيه الأذعية الماثورة، وتعليمه أداء نسكه على الوجه الصحيح والمطاف موضعه ورجل طواف أي يكثر من الطواف^(١).

ومهمة الطوافة مهمة جليلة يقوم بها بعض الأولياء والصالحين إيماناً واحتساباً لمساعدة من يصعب عليه الطواف إما لعجمه لسانه أو لعجزه أو لجهله عن تعاليم الدين وكيفية أداء نسكه، وقد يأخذ المطوف ما تيسر له من صاحب النسك من الأجر فليس له أجرٌ مفروض بعينه وغالباً ما تكون احتساباً لوجه الله تعالى وطلباً للأجر والمثوبة من الله.

يقول المؤرخ المكي الأستاذ/ أحمد السباعي في كتابة تاريخ مكة:-
(إن صناعة الطوافة قد إبتدعت في العهد المملوكي أيام وجودهم في مكة وأثناء سيطرتهم على الحجاز بعد انقضاء العهد الأيوبي وذلك لأن الممالك الشراكسة بحكم عجمتهم وجهلهم باللغة العربية وميلهم إلى

(١) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٥٠٨

الأبهة والعظمة والبذل فإنهم كانوا يفضلون الإعتماد على من يخدمهم ويدلهم على مشاعر الحرم المكي والمدني، وواجبات دينهم لأداء مناسك حجهم وعمرتهم بأفضل الوجوه والطرق وتلقينهم الأدعية^(١) المأثورة عن النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ولمزيد من الأجر والثواب).

وأضاف أيضاً [أن السلطان قايتباي سلطان المماليك حج في عام ٨٨٤هـ وجعل القاضي في مكة إبراهيم بن ظهيرة يتقدم لتطويفه وتلقينه الأدعية^(٢)] ولم يذكر المؤرخون مطوفاً قبل القاضي ابن ظهيرة لقن الحجاج الأدعية من مكة وقد اشتهرت أسرته المعروفة بأسرة آل ظهيرة إبان القرن التاسع الهجري بالتعليم في حلقات الحرم المكي وكذلك بالتطويق لسعة علمهم وتفقههم في الدين بالإضافة إلى أسرة آل الفاكهي وآل الفاسي وآل الأزرق وأسرة آل زرعة^(٣).

ولما جاء العهد العثماني في القرن التاسع الهجري اتسعت مهمة المطوف من مجرد مطوف ملقن للأدعية إلى مرشد ديني في الإسكان والإعاشة وتوفير وسائل النقل للحجاج ذلك^(٤) لأن الأمراء الأتراك ورؤسائهم كان لابد لهم من أشخاص يطوفونهم ويهتمون برعايتهم ويقال أن هذه

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٣٨٣

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٣) د/ محمود محمد حمو / مردع سابق ص ١٢٠

(٤) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ٢ ص ٥٣٠ و ٦٥٢

المهنة الشريفة خرجت في زمن العثمانيين من سلك القضاء قليلاً إلى بعض الأعيان في مكة حتى أن عدد المطوفين زاد بعض الشيء بسبب ازدياد الطلب عليهم من الأمراء والجنود والأتراك ومع مرور الزمن دخلت هذه المهنة بعدهم في مراحل متباينة فقليل أن بعض المطوفين كانوا يقومون برحلات خاصة إلى مختلف الدول الإسلامية للاتفاق مع الحجاج على تطويفهم أثناء أداء فريضة الحج ولهذا اتسعت قاعدتها في مكة المكرمة حتى وصلت أخبارهم إلى معظم الحجاج من الأقطار الإسلامية المختلفة بوجود مطوفين ينتظرون قدومهم ويستعدون لخدمتهم واستضافتهم وفي عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله وتحديدًا في سنة ١٣٥٥ هـ صدر النظام المؤقت للمطوفين وهو أول تنظيم شامل يعرف بالمهنة ووظائفها ومواصفات المطوف والمهام التي يقوم بها وآليات التعامل والخدمات المقدمة للحجاج مع تأهيلهم تأهيلاً علمياً وأكاديمياً لهذه المهمة الشريفة من خلال عقد دورات متخصصة عالية المستوى لمن قبل منهم تشتمل على فن الاستضافة والفندقة - وطريقة التعامل مع الحشود بأرقى الأساليب العالمية في فن اللباقة أثناء التحدث معهم.

وفي عام ١٣٦٧ هـ تم تعديل النظام السابق ليناسب تطورات الأحداث مع ازدياد عدد الحجاج وعدل أيضاً في عام ١٣٩٨ هـ خاصة بعد أن أنشأت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي والتي

تولت بدورها إنشاء أداره خاصة تعني بتنظيم هذه الخدمة للحجاج في المملكة فعلت بذلك^(١) مكانتها ازدادت أهمية الطوافه وزاد عدد المطوفين تبعاً لكثرة أعداد الحجاج وتبعاً لاختلاف جنسياتهم ولغاتهم ذلك لأن الاهتمام بهذه الفئة الغالية على قلوبنا يعد واجباً وطنياً كما هو واجباً دينياً كما قامت الحكومة السعودية ممثلة في الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين بتغيير المسمى السابق من إدارة فرعية للمطوفين إلى مؤسسات خاصة تسمى (مؤسسات الطوافه) تتبع الرئاسة العامة مباشرة وبإشراف دقيق ومتابعة منها وأوكل لهذه المؤسسات مهمة استقطاب زوار بيت الله الحرام والمسجد النبوي من معتمرين وحجاج من بلادهم في العالم أجمع إلى المشاعر المقدسة كل حسب لغته وبلده والتكفل برعايتهم وإيوائهم وتسكينهم في مساكن خاصة تحمل لوحة باسم بلدانهم مع تخصيص دعاة وعلماء على دراية كاملة بلغة ذلك البلد وعاداته وتقاليده في الأكل والنوم والمسكن وليقوم هؤلاء الدعاة والعلماء (المطوفين) برعايتهم طيلة مدة أداء نسكهم من خلال تلقينهم الأدعية المأثورة ومتابعتهم في أداء مناسكهم على الوجه المشروع والتأكد من صلاحية محل أقامتهم ومناسبة المواد الغذائية المقدمة لهم وحل جميع مشاكلهم في المملكة من حين وصولهم إلى المملكة العربية السعودية إلى وقت مغادرتهم إلى بلدانهم بعد انتهاء مناسكهم مصحوبين

(١) د/ محمود هو / مرجع سابق ص ٨٢١

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

بالسلامة والأمن ومحمّلين بأنواع شتى من الهدايا السعودية كالمصاحف
والكتب الدينية المطبوعة بجميع لغاتهم فما أجلها من وفادة تستحق الثناء
والشكر.



مصلى الجنائز

لا يخلوا المسجد الحرام دائماً من الصلاة على الجنائز وكانت الجنائز في العصور السابقة يصلى عليها قبالة باب الكعبة ذلك لأن جبريل عليه السلام صلى على جنازة أبو البشر آدم عليه السلام هناك وقال لبنيه: (هذه سنتكم في الأرض) واستمر هذا المكان مصلى للجنائز حتى كان القرن الثامن الهجري حيث يذكر العلامة والمؤرخ أبو الوليد الأزرقي في كتابه أخبار مكة وهو ممن عاش في هذا القرن أنه كان يصلي على الجنائز في عهده في ثلاثة مواضع هي: عند باب العباس وباب بني عبد شمس وباب بني شيبه ثم أعيدت إلى الصحن مقابل باب الكعبة جوار الحجر الأسود وتحت المكبرية^(١) فبعد أن يفرغ أمام الحرم من الصلاة المفروضة يأتي إلى هذا المكان ليصلي عليهم مع جماعة المسلمين.

واستمر الحال على ما هو عليه في القرن الثامن الهجري حتى جاء الله بالدولة السعودية المباركة وأثناء توسعتها الأولى والثانية بقي مصلى الجنائز في موضعه السابق الذكر جوار الباب والحجر الأسود ثم نقل بعد التوسعة السعودية الثالثة التي شهدها الحرم المكي في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يرحمه الله إلى مكان خصص أصلاً للجنائز فقط

(١) الأزرقي / مصدر سابق ص ٥٧

مع ذويهم وأقاربهم يقع بقرب الصفا ما بين باب إسماعيل عليه السلام وباب النبي ﷺ سابقاً ففي هذا الموقع تم تثبيت لوحة إرشادية كتب عليها مصلى الجنائز بعدة لغات وزود المكان بكل ما يحتاج من فرش وماء زمزم ومصاحف وعربات آلية خاصة لنقل الموتى وذويهم من الحرم المكي إلى مقبرة المعلاة والتي تبعد حوالي ٧٠٠م عن الحرم مما يسر لذوي الجنائز مشقة حملها من صحن الحرم والخروج منه إلى مقبرة المعلاة وهي محمولة على أكتافهم، وكان ذلك يتطلب جهداً كبيراً خاصة وأن الجنائز كانت تقطع صفوف المصلين في كل صلاة مفروضة.



المقامات

(المقامات) جمع مقام والمقام هو موضع مصلى الأئمة الفقهاء الأربعة ومكان إلقاء دروسهم الدينية في الحرم المكي الشريف) أنشئت لهم خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين^(١) وقيل أن أول من ابتدعها هم سلاطين الدولة الفاطمية الشيعة خصصوها في بداية الأمر لهؤلاء العلماء الأربعة من أجل إمامة الصلاة وإلقاء الدروس الفقهية والتي تساعد على نشر مذهبهم والدعوة والإفتاء وحتى يجدوا مكاناً مناسباً في الحرم يحتوي كل بدعهم وخرافاتهم مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالمذاهب الفقهية الأربعة آنذاك. ومن خلال الطلاب الذين يرتادونها نقلت هذه المذاهب بأفكارها وأرائها الخاصة إلى كافة بلدان العالم الإسلامي ولتعتمدها دول العالم الإسلامي كل حسب موطنه وبلده مذهباً دينياً تقوم عليه الفتوى في بلادهم وبحسب ما يناسب تلك البلدان.

وهذه المقامات البدعية عددها أربعة كانت موزعة في صحن المطاف على شكل دائري حول الكعبة ليأخذ كل إمام خصوصيته في مقامه كل حسب فكره واعتقاده وهواه العلمي وهي كالتالي:

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٢٨٣

الأول: المقام الشافعي:

يقع خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام مباشرة وقياس المسافة من جدار محرابه إلى جدار الكعبة الشرقي حوالي عشرون متراً تقريباً.

الثاني: المقام المالكي:

يقع بين الركنين الشامي واليماني باتجاه باب العمرة وقياس المسافة من جدار محرابه إلى جدار الكعبة الغربي حوالي خمسة أمتار تقريباً.

الثالث: المقام الحنبلي:

يقع بين الركن اليماني والحجر الأسود باتجاه الحجر الأسود وقياس المسافة من جدار محرابه إلى الحجر الأسود حوالي أربعة عشر متراً تقريباً.

الرابع: المقام الحنفي:

يقع بين الركنين العراقي والشامي باتجاه الحجر الإسماعيلي والمسافة من جدار محرابه إلى جدار الحجر الإسماعيلي حوالي ستة عشر متراً تقريباً^(١).

وأما صفة وأشكال هذه المقامات فهي كما بينها الإمام الحافظ أبي الطيب الفاسي في كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام بقوله:

(أنها عبارة عن أسطوانات بنيت من حجارة وعليها عقد مشرف من أعلاه وفيه خشبه معترضة ذات خطاطيف للقناديل.. وما بين الأسطوانتين من المقام الشافعي لا بناء فيه وما بينهما من المقام المالكي والحنبلي مبني

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٠١ و ص ٤٠٤

بالحجارة المبيضة بالنورة.. وفي وسط كل بناء منها محراب للصلاة.. وزيد في المقام الحنفي أربع أساطين من حجارة منحوته عليها سقف مدهون مزخرف وأعلى السقف مما يلي السماء مدكوك بالآجر ومطلي بالنورة وبين الأسطواناتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم زيد في سنة ٨٠٢هـ).

ويضيف العلامة أبي الطيب الفاسي رحمه الله وهو من علماء القرن التاسع الهجري ومن الأسر التي اشتهرت بالعلم والتقوى (بأن بعض فقهاء ذلك العصر قد افتو بعدم جواز هذه الزيادات على المقامات) فأزيلت للاستفادة من موضعها للصلاة وخوف البدع وفساد اللهو وخشية التبرك والاعتقاد فيها بمرور الزمن^(١).

وأكد هذا الرأي الرحالة المسلم أبي الحسن محمد بن جبير حين قال في رحلاته (بأن الناس كانوا يتنافسون في تزيين هذه المقامات بالشموع والمشاعيل البدعية^(٢) خاصة في وقت أحياء الأعياد البدعية كليلة النصف من شعبان وصيام أيام رجب وعاشوراء وغيرها من الليالي).

يضيف أحد المكين أن في هذا المقامات كان الأئمة الأربعة رحمهم الله يأمون الناس في الصلاة المفروضة تباعاً وليس جماعة واحدة أي بشكل منفرد فالشافعي أولاً ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي وذكر ابن جبير رحمه

(١) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤٠١

(٢) ابن جبير / مصدر سابق ص ١١٠

الله ما يقتضي أن المالكي كان يصلي قبل الحنفي^(١).

ويصف لنا حالهم في الصلاة العلامة المكي أبي الطيب الفاسي بصفته شاهد عيان: (بأنهم كانوا يصلون المغرب والعشاء جمعاً في وقت واحد وبأمام واحد) وسبب الاجتماع في هذه الصلاتين لكونها جهرية وخشية الالتباس بسبب ارتفاع أصوات المبلغين مع اختلاف حركات المصلين كما أن بعض العلماء اعتبر التفرد فيها خلل في الدين لما فيه من المنكرات التي لا تخفى إلا على من غلب عليه الهوى ولم يزل العلماء من السلف الصالح ينكرون ذلك قديماً وحديثاً سألين الله زوال البدعة.

يقول أحد المكين أنه وفي زمن السلطان المملوكي الناصر قلاوون يرحمه الله سنة ٨١٦ هـ وصلته أخباراً بأن الإمام الشافعي يصلي الجهرية منفرداً في المسجد الحرام دون الأئمة الباقين بخلاف ما قرر لهم فأمره بالامتثال لما فيه المصلحة وأصبح الأئمة الأربعة يصلون الجهرية مجتمعين^(٢).

وبقيت المقامات الأربعة في مكانها بصحن الحرم المكي بما تعانية من بدع ومعتقدات ضالة كان وراء إشعالها الفاطميين الشيعة فترة من الزمن إستمريت تسعة قرون كاملة حتى قبض الله للحرم المكي الشريف جلاله المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود ليصلح كل ما

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٠٥

أفسده ذلك الزمن بسبب التيارات المنحرفة لأهل الأهواء والبدع في الحرم المكي حيث قام رحمه الله في سنة ١٣٤٤ هـ بعد إتمام ضم الحجاز لسلطانه ودخول القوات السعودية مكة المكرمة بدون قتال^(١) بتوحيد الأذان والصلاة في الحرم بإمام واحد ومؤذن واحد في جميع الصلوات بلا استثناء ثم أمر رحمه الله في سنة ١٣٧٠ هـ بإزالة جميع هذه المقامات المبنية في صحن الحرم لاستكمال التوسعة السعودية الأولى المباركة المتضمنة توسعة صحن المطاف والمسعى ليس لأجل شيء وإنما خشية الاعتقاد والبدع فيها من أهل اللهو العقدي والانحراف الفكري والتي أبدلت فيما بعد بحلقات خاصة للدروس العلمية تحتوي على مقعد واحد لكل عالم من العلماء المتفرعين لإلقاء هذه الدروس في أركان الحرم ودون مبالغة في تزيينه وبإشراف مباشر ومتابعة من الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين والتي قامت مشكورة بإعداد الجداول الزمنية لمواعيد هذه الدروس مع إعلان أسماء المشائخ الذين يقومون بإلقائها خلال أيام الأسبوع ولا زالت إلى اليوم تقوم بدورها العلمي والدعوي والتوجيهي لمرتاديه من طلبة العلم سواء كانوا من السعوديين أو من الخارج يقوم عليها نخبة من العلماء الأجلاء لهم سمعتهم الدينية ومكانتهم العلمية في المملكة العربية

(١) رابع لطفی جمعه / حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز / دار الملك عبدالعزيز / الرياض

السعودية استطاعوا يخرجوا دفعات شتى من الطلبة ممن أكملوا حضور تلك المحاضرات لينالوا أجازاتهم العلمية لممارسة الدعوة خارج المملكة فحققوا بعد ذلك أفضل الأوسمة والشهادات لتسطر أسماؤهم بخطوط من ذهب يقرأها القاضي والداني في هذه المعمورة.

كما قامت الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين مشكورة بالسماح لوزارة الإعلام بنقل هذه الدروس مباشرة وعلى الهواء بواسطة قنوات التلفزة الإسلامية والعربية ليشاهدها من أراد من المسلمين وفي أي مكان كانوا.



الفتوى

ورد في كتب اللغة أن (الفتوى) ومصدرها (فتو) كفعل و (فتى) كعصي بالضم (واستفتاه) في مسألة (فأفتاه) والاسم (الفتيا) و(الفتوى) و (تفاتوا) ارتفعوا إليه في الفتيا^(١).

والمقصود بالفتوى هنا هي بيان ما أشكل على زوار الحرم المكي الشريف حجاجاً ومعتمرين من الأحكام الدينية والشرعية والرد على استفساراتهم وتساؤلاتهم عن المناسك وطرق أدائها السليمة من خلال ما ورد في الكتاب والسنة من آيات الأحكام وأحاديث الأحكام.

ويشترط لمن أراد الفتوى شروطاً يجب أن تتوفر فيه لخصها لنا الدكتور / محمد بن ناصر الشثري صاحب كتاب الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (أن الفتوى لا يقوم بها إلا من يستطيع تبصير الناس بما هو حلال أو حرام وما يجوز وما لا يجوز من أمور الدين التي لا تدركها ثقافة المسلم العادي ولا تبصر حكم الله تعالى فيها. أنها مرتبة عالية وصلها بعض الدعاة والعلماء وبعضهم يتدرج مترقياً فيها^(٢) حتى يصل إلى درجة الاجتهاد

(١) محمد الرازي / مرجع سابق ص ٣٦٢ و ص ٣٦٣

(٢) د/ محمد بن ناصر الشثري / الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز الطبعة الثالثة / الرياض ج ٢

المطلق^(١) والمقيد^(٢).

ويرجع بداية ظهور مهمة الفتوى إلى زمن صدر الإسلام حين كان الرسول ﷺ يمنح للناس لكي يروه فيسألوه وغالباً ما يلجئ ﷺ في فتاويه إلى التبشير وعدم التنفير وكان ﷺ يخفف عن ذوي الحاجات احتياجاتهم الشرعية وغالباً ما يلجئ بأبي هو وأمي إلى الاقناع لمن يستفتيه متحلياً بصبره المعهود مع السائلين واحتمالهم، والرحمة، والشفقة، والرفق بهم مع تنوعه ﷺ في الإجابة على أسئلتهم على اختلاف كیفيتها حسب الأنسب لمصلحتهم والاختصار على الجواب المباشر لصاحب الفتوى لتحصل الفائدة^(٣) ويعم النفع وكذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم من بعده فيما يعرض عليهم من مشكلات تخص زوار بيت الله الحرام ومشاعره المقدسة واقتفى أثرهم السلف الصالح من العلماء المسلمين وتعود أهمية الفتوى التاريخية بمفهومها المعاصر كمهنة مخصصة معقودة لمن يقوم بها من العلماء في الحرم المكي احتساباً لوجه الله أو بأجر فهي لم تظهر إلا في عهد الدولة العثمانية وامرائها الأتراك الذين احتاجوا فيما يبدو لمن

(١) الاجتهاد المطلق: هو القدرة على التعرف على أقوال العلماء بالجمع والتفريق والترتيب

والتصحيح والقدرة على استخراج الأحكام من النصوص الشرعية

(٢) الاجتهاد المقيد: هو الاجتهاد داخل المذهب ومعرفة مداركه والقدرة على تقدير قواعده

والجمع والتفريق بين المسائل

(٣) د/ محمد بن ناصر الشثري / مرجع سابق ص ٧١

يفهمهم أمور دينهم أما لعجمتهم وأما لجهلهم بأحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها الصحيحة من ناحية أخرى.

وكانت قد خصصت هذه المهمة في زمانهم لبعض المكين من أهل العلم والدين والدراية خلافاً لوظيفة القضاء التي اختص بها العثمانيون لأنفسهم لياشروا عن طريقها جزأها مما من إدارة الحكم في الحجاز^(١).

إلا أن الأهليين من المكين كانوا إذا شعروا بضيق الحكم في مجلس القاضي العثماني وتحامله عليهم لجؤوا مباشرة إلى استفتاء المفتي في الحرم المكي ليفتيهم في قضاياهم فإذا أفتي لصالحهم حملوا فتواه مكتوبة إلى مجلس القاضي مستندين عليها في استصدار الحكم.

وكذلك فعل الأشراف (حكام الحجاز) يومئذ فبحسب سلطتهم وقوتهم كانوا ينتزعون الفتاوى من أصحاب الفتوى انتزاعاً ضد خصومهم ثم يطلبون من القاضي العثماني أن يحكم بموجبها على خصومهم.

يقول العلامة والمؤرخ المكي المعاصر الأستاذ أحمد السباعي عن تاريخ نشأة الفتوى كمهنة في الحرم المكي (أنه عندما نشأت في القرن الخامس الهجري المقامات الأربعة الخاصة بالأئمة أصحاب المذاهب الدينية (الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي) كان لكل مقام منها مفتي خاص بالمقام يرد على من يستفسره في أمور دينه وكان يتولى رئاستهم جميعاً مفتي

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ٢ ص ٥٤٠

الحنيفية^(١).

ثم يردف قائلاً (أن أول من تولى رئاسة الفتوى في الحرم المكي الشريف إبان الحكم العثماني على الحجاز هو الشيخ قطب الدين الحنفي المكي عام ٩٩٢هـ وكان رحمه الله يكتب الفتوى محتسباً لوجه الله تعالى ثم تولاها من بعده ابنه اكمل الدين القطبي سنة ١٠٢٣هـ ثم عبد الرحمن المرشدي سنة ١٠٤٤هـ ثم السيد صادق بادشاة ثم امام الدين احمد المرشدي ثم الشيخ ابراهيم البيري في سنة ١٠٨٥هـ ثم الشيخ محمد المكي الملقب بابن العظيم وولده عبدالله محمد مكي حتى سنة ١٠٩٩هـ وقد اشتهرت بعض الأسر المكية بالفتوى تخصيصاً فكانوا يفتون على المذهب الحنفي أبان القرن الحادي عشر مثل أسرة ال مفتي اما في القرن الثاني عشر الهجري فقد تقلد الفتوى في الحرم المكي أسرة آل العتايي ومنها الشيخ عبد الله عتايي والذي تولاها حتى سنة ١١٠٨هـ ثم تولاها بعده الشيخ عبد القادر صديق وفي عام ١١١٨هـ تقلدها الشيخ تاج الدين القلعي من أسرة آل القلعي ثم اعيدت مرة اخرى الى سلفة الشيخ عبد القادر بن صديق بفرمان سلطاني عثماني من السلطان أحمد الثالث وظل فيها الى ان توفي سنة ١١٣٨هـ ثم تقلدها ابنه يحيى وفي عام ١١٤٣هـ تقلدها الشيخ عبد المحسن تاج الدين القلعي ثم الشيخ علي مفتي عبد القادر ثم عادت الى الشيخ عبد المحسن في سنة ١١٨٧هـ ثم تقلدها الشيخ عبد القادر يحيى ثم

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة

الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي سنة ١١٩٢هـ ثم الشيخ عبد الكريم بن عبد الرسول سنة ١٢٢٨هـ ثم الشيخ عبد الحفيظ العجمي ثم الشيخ عبد الله المرغني سنة ١٢٤٧هـ وممن اشتغل بالفتوى في المسجد الحرام في القرن الثالث عشر محمد حسين كتبي سنة ١٢٥٥هـ ^(١) وهو عميد أسرة آل الكتبي وفي عام ١٢٨٠هـ تولاهما الشيخ جمال عمر ثم الشيخ عبدالرحمن سراج في سنة ١٢٨٤هـ ثم أبنه حسين سراج ^(٢).

فالفقوى في الحرم المكي مهنة جليلة انتشرت في الحرم المكي وبين أرواقه وعند أبوابه الرئيسة وحتى في المشاعر المقدسة الأخرى والمواقيت المكانية يقوم بها عدد من العلماء الأجلاء والمشائخ الفضلاء استطاعوا بعون من الله الوصول إلى درجة الاجتهاد فاختروا من قبل الرئاسة العامة لشؤون الحرمين بعد أن تكفلت بإنشاء إدارة خاصة لشؤون الفتوى ليقوموا بهذه المهمة الجليلة على خير وجه وليؤدو دورهم المناط بهم لزوار بيت الله الحرام من حجاج ومعتمرين مهما كثرت أعدادهم وبما يطرأ عليهم من استفسارات وأسئلة ليقوم هؤلاء العلماء المختارين بعناية فائقة ببيان ما أشكل عليهم ^(٣) بصدور رجابة وسعة بال وتأتي وصبر معتبرين

(١) نفس المرجع ص ٤٧٣ - ص ٥٨٥

(٢) نفس المرجع ص ٥٩١

(٣) فيصل بن علي البعداني: أحوال النبي ﷺ في الحج / مطبعة وزارة الشؤون الإسلامية /

الرياض / ١٤٢٩هـ ص ٦٥

ذلك واجب ديني ومطلب شرعي يلزم كل من يقوم بالإفتاء القيام به فهم الدعاة وهم المفتين أولى النصيب الأكبر في نشر الإسلام وتصحيح العقيدة وربط الناس بالدين في أمور معاشهم وفي شتى مجالات حياتهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية^(١).

ومن أشهر هؤلاء العلماء في بداية العهد السعودي الشيخ عبدالله بن بليهد والشيخ حسين آل الشيخ والشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالرحمن بن قاسم والشيخ عبدالله القرعاوي والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولأجل هذه المهمة العظيمة قامت الرئاسة العام لشؤون الحرمين بتخصيص أماكن مخصصة واضحة المعالم لمن يقوم بالفتوى في داخل أروقة المسجد الحرام وعند أبوابه المتعددة، وأيضا في جميع المشاعر المقدسة كعرفات ومنى ومزدلفة وعند الجمرات وفي المواقيت المكانية تسهيلا للحجاج والمعتمرين جزا الله القائمين عليها خير الجزاء وكتب ذلك في ميزان حسناتهم يوم نلقاه إنه سميع مجيب الدعاء.

كما تفضلت رئاسة الحرمين الشريفين بطباعة أسماء وأرقام ومواقع المشائخ الفضلاء الذين عقدت لهم هذه المهمة الجليلة ونشرها في كل ما تصدره من منشورات وكتيبات إرشادية حتى تعم الفائدة بإذن الله.

(١) د/ محمد بن ناصر الشثري / مرجع سابق ص ٦٧هـ

مكتبة الحرم المكي

تعتبر مكتبة الحرم المكي الشريف من أشهر المكتبات في العالم الإسلامي لكونها تقع في أقدس بقعة وأعظم مكان على وجه الأرض لذا فإنها تستمد أهميتها التاريخية والدينية من موقعها الذي يقع قبالة باب السلام في الجهة الشرقية للحرم المكي الشريف، وتحديدًا في البقعة التي ولد فيها النبي ﷺ ونشأ وترعرع في طفولته تحت كفالة جده عبدالمطلب ثم عمه أبي طالب، ففي هذا المكان كان يرعى الغنم لأهله في أجياد في صباه يقول ﷺ (كنت أرعى الغنم لأهلي في أجياد) وفي هذه البقعة المباركة المليئة بالنسمات الروحانية والعناية الربانية توجد هذه المكتبة العبة بتراتها المجيد.

وفي هذا المكان كانت الدار التي ولد فيها رسول الله ﷺ وهي معروفة لدى المكيين اليوم تقع في فم شعب أبي طالب وهو الشعب الذي كان يسكنه بنو هاشم^(١) جميعاً في زمن الجاهلية وبعد الإسلام ولم يزل النبي ﷺ يسكن فيه حتى هاجر إلى المدينة المنورة بعد أن اشتراه منه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ثم اشتراه من عقيل معاوية بن أبي سفيان رحمه الله الذي أوقفه بعد إسلامه ليكون مسجداً يصلي فيه الناس وقيل أيضاً أن محمد بن يوسف الثقفي أخ الحجاج بن يوسف اشتراه فأدخله في داره

(١) د/ محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ص ١٢٣

التي يقال لها البيضاء ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران في القرن الثاني الهجري فاشترته بهاها الخاص وأوقفته مسجداً ثم أخرجته من الدار البيضاء^(١) وشرعته إلى الزقاق التي في أصل تلك الدار ليصل إليه الحجاج والمعتمرين بسهولة تامة.

يقول السهلي رحمه الله عن هذه الدار (أن هذه الدار قرب الصفا ثم جعلتها زوجة هارون الرشيد العباسي مسجداً حين حجت^(٢) وأنفقت عليها من مالها الخاص وفتحت أبوابها للمصلين في الحرم المكي).

ويضيف الدكتور المؤرخ / محمد الياس عبدالغني أحد الملمين بالتاريخ المكي (أنه لما آلت الحجاز إلى حكم الدولة السعودية قام الملك عبدالعزيز يرحمه الله باختيار هذه الدار لتكون اللبنة الأولى لإنشاء المكتبة العامة بالحرم فقيل أنه شكل لها لجنة من العلماء لدراسة أحوالها ومتطلباتها ثم قام بأهداء مجموعة من الكتب النادرة لتكون النواة الأولى في تأسيس مكتبة الحرم المكي وكان ذلك في عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م وأطلق عليها اسم مكتبة الحرم المكي ثم قيل أن الشيخ عباس قطان أحد تجار مكة المعروفين وأعيانها المشهورين قام رحمه الله في سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م ببناء عمارة خاصة وأوقفها للمكتبة التي أراد الملك أنشاها من ماله الخاص

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٩٩

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٤٦

في الجهة الشرقية من ساحات الحرم الشرقية^(١) ونقل مقتنياتها من الكتب والمخطوطات الثمينة إليها ولما بدأ في مشروع التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام في سنة ١٣٧٥هـ أبقيت هذه المكتبة على حالها لتكون تراثاً قائماً في الحرم المكي الشريف. للباحثين والزوار.

وعندما سأل الدكتور محمد بن عبدالله بأجوده مدير مكتبة الحرم المكي عن بداية نشأة مكتبة الحرم المكي وبداية تكوينها أجاب قائلاً: (بأنه من الصعوبة بمكان معرفة بداية تأسيسها مكتبة عامة للناس.. إلا أن الدلائل والمؤشرات الإيجابية تشير إلى وجود كمية لا بأس بها من الكتب الدينية وبعض الكتابات الخاصة بطلبة العلم في حلقات الحرم المكي خلفها أولئك العلماء الأقدمون في رفوف خاصة بالحرم المكي اعتبرت حينها وقفاً خاصاً لهم. كما أن قدسية المكان كان حافزاً كبيراً للخلفاء الأوائل والموسرين لإيقاف مثل هذه المكتبات في دواليب داخل الحرم المكي خاصة أنهم اشتهروا بذلك في كتب التاريخ والسير والمغازي بل وتنافسوا في ذلك تخليداً لذكراهم) ويوافق هذا الرأي غالبية المؤرخين اليوم الذين يتفقون على أن نواة هذه المكتبة كانت موجودة منذ زمن الخلافة العباسية وتحديداً في زمن الخليفة محمد المهدي العباسي عام (١٦١هـ) حيث قيل أنه بنى قبتين في الحرم المكي أبان عمارته الأولى أحدهما للسقاية والأخرى

(١) د/ محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ص ١٢٣

للمحفوظات من الكتب والمصاحف ومدونات طلاب الحلقات والقراء والفقهاء وسميت قبة بيت المحفوظات فكانت تحفظ فيها المصاحف وبعض الكتب الدينية آنذاك ويمكن تصديق هذا الرأي خاصة إذا عرفنا أن العصر العباسي الأول والثاني اشتهرا بالازدهار العلمي والتنافس بين الخلفاء على تأسيس المكتبات وإلحاقها بالمساجد من خلال دعمها مادياً ومعنوياً^(١) ويؤكد هذا الرأي أمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء الشيخ / محمد بن عبدالله السبيل الذي أرجع نشأتها الأولى إلى القرن الثاني الهجري^(٢) زمن خلافة الدولة العباسية.

وكما هو الحال مع جميع معالم الحرم المكي فقد حظيت هذه المكتبة برعاية وعناية حكومة المملكة العربية السعودية فقد تم تزويدها بمخطوطات نادرة وكل ما يستجد من الكتب والمراجع الدينية والعلمية الحديثة كما زودت المكتبة بأحدث التقنيات الحديثة التي تيسر على زوارها من قاصدي الحرم المكي استخدام أوعيتها المتنوعة بشكل ميسر وسهل خلال أوقات دوامها الرسمي.

(١) مجموعة من المؤلفين / تاريخ الدولة العباسية / مطابع جامعة الإمام / الرياض / ١٤٣٢ هـ

ص ١٠٨.

(٢) الشيخ / محمد بن عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ٨٩.

حيث تحتوي هذه المكتبة على خمسة عشر قسمًا هي:

● أولاً: قسم الخدمة المكتبية: يستقبل المطالعين على اختلاف مستوياتهم وجنسياتهم وأعمارهم ويقوم بخدمتهم في سرعة لاستخراج المصادر والمراجع التي يحتاجونها ومساعدتهم أيضاً في الوصول إلى المعلومة المنشودة من بطون الكتب التي يصل عدد عناوينها بالمكتبة إلى أكثر من مائة ألف عنوان.

● ثانياً: قسم المخطوطات: يقوم بخدمة الباحثين والمحققين بالداخل والخارج ومساعدتهم في الوصول إلى المخطوطة التي يريدونها وتخدم مجال تخصصهم ويبلغ عدد المخطوطات النادرة في مكتبة الحرم المكي الشريف (خمسة آلاف وخمسمائة مخطوطة أصلية) وأكثر من سبعين ألف مخطوطة رقمية عن طريق التبادل والفان وأربعمئة مصوره على الميكروفيلم).

● ثالثاً: قسم الدوريات: يشتمل على مائة وأربع وثلاثين صحيفة ومجلة محلية وعربية متاحة للمطالعين والزوار والباحثين.

● رابعاً: قسم المكتبة الصوتية: يقوم هذا القسم بتسجيل الدروس والخطب التي تلقى في المسجد الحرام ومن ثم تحويلها إلى (CD) ثم يتم ادخالها إلى موقع المكتبة الصوتية بالإنترنت لكي يستفيد منها الزوار المطالعين للموقع.

● خامساً: قسم التصوير الميكروفلمي: يقوم بتصوير الدوريات والمخطوطات الأصلية المصورة والتي ترد إلى المكتبة.

● سادساً: قسم قراءة الميكروفلم: يقوم هذا القسم بحفظ الأفلام الخاصة بالمخطوطات والصحف القديمة وعرضها على أجهزة القراءة الموجودة في القسم.

● سابعاً: قسم جناح الحرمين الشريفين: يقوم هذا القسم بعرض كل ماله علاقة بالحرمين الشريفين من صور قديمة أو حديثة وخرائط وكتب وصور مخطوطات ليستفيد منها زوار الحرم المكي والمهتمين.

● ثامناً: قسم التزويد: يتولى مسؤولية بناء وتنمية المجموعات وفقاً للسياسة التي وضعتها الإدارة.

● تاسعاً: قسم الفهرسة والتصنيف: يناط به القيام بعمليات التحليل والوصف البليوجرافي للكتب الموجودة وإدخال تلك المعلومات في الحاسب الآلي.

● عاشراً: قسم الإهداء والتبادل: يهدف إلى إثراء مقتنيات المكتبة من خلال التبادل بالنسخ التي أعدت للتبادل.

● حادي عشر: قسم التجليد: يقوم بتجليد الكتب الجديدة وترميم الكتب القديمة وتجليدها.

● ثاني عشر: قسم الترميم والتعقيم: حيث يعتبر أحد أهم الأقسام ويتولى

ترميم المخطوطات والكتب القديمة وتعقيمها.

● ثالث عشر: قسم المكتبة الإلكترونية: مهمته تمكين رواد المكتبة من الاطلاع على أمهات الكتب المحفوظة على (CD) أو تلك المخطوطات التي صورت على (CD) وذلك بهدف مواكبة المستجدات وتقديم خدمة سريعة لهم.

● رابع عشر: قسم جناح ذوي الاحتياجات الخاصة: يهتم هذا القسم بالمكفوفين وذوي الإعاقات الخاصة ويضم بعض الكتب والنشرات المطبوعة بطريقة برايل ومجموعة من الأشرطة السمعية والتي تربو على (٢٣٠٠) شريط وأكثر من (٧٠٠ كتاب في مختلف الفنون).

● خامس عشر: قسم العلاقات العامة بالمكتبة: يقوم باستقبال الزوار والوفود الطلابية بالإضافة إلى الأعمال اليومية التي تخص المكتبة وتم ربط المكتبة ألياً مع مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض بحيث يوفر هذا الاتصال الكثير من الجهد والوقت وعناء السفر لأرباب العلم والباحثين في شتى مجالات العلم والمعرفة^(١).

وأثناء التوسعة السعودية الثانية سنة ١٤٠٥ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد عبدالعزيز رحمه الله قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين أيدها الله من أجل تقديم خدمة أفضل بنقل بعض محتويات

(١) الشيخ / محمد بن عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ٩٠

المكتبة من موقعها السابق قبالة باب السلام في الناحية الشرقية لساحات الحرم المكي إلى منطقة أكثر اتساعاً تناسب في عمارتها مع قدسية المكان تقع في الدور الأول من بوابة الملك فهد حيث زود المكان بكل الاحتياجات العصرية للمكتبة من رفوف ومكاتب وأماكن مغلقة لتعطي جواً مناسباً للقراء كما زودت بأجهزة الحاسب الآلي بإعداد كبيرة من أجل التسهيل لمرتاديها وجند للمكتبة إعداد هائلة من الموظفين المدربين ليقوموا بخدمة الزوار في أوقات دوامها الرسمي صباحاً ومساءً وفتحت المكتبة الجديدة أبوابها في ٢٢ / ٧ / ١٤٣٤ هـ برعاية كريمة عن أمير منطقة مكة المكرمة ونظراً للأعداد الهائلة التي تزور المكتبة الجديدة فقد تم الإبقاء على المكتبة القديمة الموجودة في شرق الحرم ببناؤها السابق والتي تكفل ببناءها الشيخ عباس قطان رحمه الله سنة ١٣٧٠ هـ في مكانها قبالة باب السلام لتكون أرثاً ثقافياً وحضارياً تحت مسمى «مكتبة مكة المكرمة» لكي تواصل هي الأخرى مسيرتها الثقافية لمرتادي الحرم المكي في الجانب الشرقي منه وبإشراف من وزارة الشؤون الإسلامية وتضم مكتبة مكة المكرمة القديمة بين جنباتها اليوم كتباً ومخطوطات ونفائس تاريخية لا تقدر بثمن ولا تزال المكتبة قائمة على بنائها التراثي السابق منذ عام ١٣٧٠ هـ الذي يتكون من دورين ونوافذ خشبية مطلية باللون البني الداكن الذي اشتهر بها عمران

وكما قلنا في بداية حديثنا فإن مكتبتني الحرم المكي ومكة المكرمة
تستمدان أهميتهما من خلال موقعهما الحالي من المسجد الحرام وبين جنباتهما
أمهات الكتب الإسلامية الخالدة^(٢).
ليشكلان معاً إراثاً ثقافياً وحضارياً لا يزال قائماً إلى اليوم منذ أقدم
العصور.



(١) د/ محمود محمد محمود / مرجع سابق ص ١٢٦
(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٥٠ (تاريخ مكة المكرمة)

منى

(منى) (وأمني) (وأمتنى) كلها تأتي بمعنى أتى منى ونزلها عند أهل اللغة وتمناه أي أراحه، ومناه إياه وبه تمنيه وهي (المنية) بالضم والكسر والأمنية بالضم^(١) و (المنى) بفتح الميم مقصور على وزن العصا هو رطل وتثنيته (منوان) وجمعة (أمناء) وقد يقال في لغة قليلة في الواحد من تشديد النون^(٢).

وقيل تمنى بمعنى تقدر قال الشاعر:

منت لك أن تلاقيك المنايا آحاد آحاد في الشهر الحلال^(٣)

(ومنى) هنا هي اسم الموضع الذي يؤمر الحاج بنزوله والإقامة به حتى تطلع الشمس على ثبير يوم عرفة وفي يوم النحر، وفيما بعده من أيام التشريق والمبيت به وفيه يرمي الحجاج الجمار، وتعمر أيام موسم الحج وتخلوا بقية السنة إلا ممن يسكنها^(٤) قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾^(٥).

وحدود منى كما وصفها الرحالة المسلم إبراهيم الاصطخري رحمه الله

(١) الفيروز آبادي / مصدر سابق ص ١٣٣٦

(٢) النوي / مصدر سابق ص ١٤٥

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ١٨٠

(٤) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٩٩ تاريخ مكة

(٥) سورة البقرة آية ٢٠٣

بقوله: (منى ما بين قرى وادي محسر (كبرى الملك خالد اليوم) إلى العقبة التي عندها الجمرة الصغرى إلى مكة)^(١) ويضيف العلامة صفى الرحمن المبارك فوري بأنها الواقعة على طريق عرفة من مكة وبينها وبين مكة ثلاثة أميال وهي شعب طوله ميلين وعرضه يسير وبها الآن أبنية كبيرة^(٢) والجبال محيطة بجانيها فما أقبل منها على منى فهو منها وما أدبر من الجبال فليس منها^(٣).

وورد عن ابن جريج رحمه الله أنه قال: قلت لعطاء: أين منى قال: من العقبة إلى وادي محسر ثم قال: سمعنا أنه يكره أن ينزل أحد دون العقبة وروى عبدالله بن عمر عن أبيه أنه قال: (لا يبيت أحد من الحجاج وراء العقبة حتى يكونوا بمنى) وكان رضي الله عنه يأمر كل من ينزل من الحجاج وراء العقبة أن ينزل بمنى^(٤) قال الإمام الشافعي: أن العقبة ليست من منى^(٥) ونقل ابن جماعة في منسكه عن المحب الطبري والنووي أن العقبة من منى ولم ينقل عنها أحد^(٦).

(١) الأصبخري / مصدر سابق ص ٤١

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٩٩ تاريخ مكة

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٤

(٤) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٧٢ وانظر المؤطأ للإمام مالك بن أنس ج ١ ص ٥٤٢

(٥) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٤

(٦) نفس المصدر ونفس الصفحة

وأرض منى حالياً تبعد عن المسجد الحرام بحوالي ٧ كم تقريباً من
الجهة الشمالية الشرقية^(١).

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم (منى) فذهبوا في
ذلك إلى عدة آراء نذكر منها:

○ أولاً: قيل بأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام
في هذا الموقع قال له: تمن فقال له: أتمن الجنة فسميت بذلك الاسم
لأمنية آدم عليه السلام!^(٢)

○ الثاني: ذكره بعض علماء اللغة وغيرهم بأن سبب تسميتها بهذه
الاسم يعود لكثرة ما يراق فيها من الدماء^(٣).

○ الثالث: قيل لأن الله من على خليله إبراهيم عليه السلام فيها بفداء
أبنه فيها^(٤).

○ رابعاً: قيل لأن الله يمن بالمغفرة على عبادة الحجاج المجتمعين فيها
^(٥) في تلك الأيام.

وأعلم أخي الزائر الكريم أن الاقتداء بما جاء عن النبي ﷺ من أدعية

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١٠٣

(٢) الفيروز آبادي / مرجع سابق ١٣٣٦

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ٣٨٠

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٥

(٥) نفس المصدر ونفس الصفحة

وأقوال وأفعال في منى أمر مستحب حسب السعة فقد ورد أن النبي ﷺ كان ينزل بمنى على يسار مصلى الإمام قرب مسجد العيشومة اليوم وكان ﷺ ينزل أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهم في موضع دار الإمارة قريبا من موضعة السابق وكان ﷺ ينزل الأنصار خلف دار الإمارة مع ترخيصه لأهل بيته بالمبيت بمكة ليالي منى قيل: ولم ير أحد من أهل بيته يبيت بمكة سوى عبدالله بن عباس رضي الله عنه فقد كان يظل بها حتى إذا كان وقت الرمي انطلق فرمى ثم دخل مكة فبات فيها أيام منى كلها^(١).

وذكر بعض المؤرخين أن أشياخا من الأنصار تحروا مصلى رسول الله ﷺ أمام المنارة وقريبا منها، وذكروا أن الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلى النبي ﷺ ولم يزالوا يرون الناس وأهل العلم يصلون هنالك ويعرف هذا المكان اليوم (بمسجد العيشومة)^(٢) بجوار شجرة خضراء بين حجرين كبيرين وقد أزيلت تلك الشجرة والأحجار بسبب ما حصل في منى من توسعات وتطوير في وقتنا الحاضر.

وكان ﷺ يقضى أيامه في منى بتعليم الناس أمور الدين وطرق أداء المناسك على الوجه الصحيح روي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يعلم الناس في منى مناسكهم وقال رجل من بني تميم ففتح الله

(١) الأزرقى / المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٣

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٧٥

أسما عنا حتى أنا لنسمعه ونحن في رحالنا^(١).

وذكر بعض أهل العلم أن عائشة رضي الله عنها استأذنت رسول الله ﷺ في بناء كنيف^(٢) لها بمنى فلم يأذن لها^(٣).

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تبني لك بيتاً يقلك فقال رسول الله ﷺ لا ؟ إنما هو مناخ من سبق !!^(٤).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنه لا يجوز أحياء شيء من موات منى ولا تملك جهة من جهاتها فلا ينبغي لأحد أن يختص بمكان من أمكنتها دون غيره فالناس في النزول بمنى سواء سواء كان من أهل مكة أو خارجها قال تعالى ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٥).

إلا أن القاضي أبي يوسف رحمه الله والإمام الشافعي رحمه الله أجازا البيع فيها والكراء وفي جواز أحياء أموات عرفة ومزدلفة اختلاف بين أهل العلم.

وذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى جواز البناء بمنى بدليل: (أن النبي ﷺ اتخذ من منى مضرباً ينزل فيه أصحابه رضوان الله عليهم إذا حجوا).

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٧٣

(٢) الكنيف / بيت صغير يقي من حر الشمس في منى

(٣) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٧٤

(٤) سنن ابن ماجه ص ١٠٠٤

(٥) سورة الحج آية ٢٥

وتقدير صحه هذا الرأي يعود لأمرين^(١):

الأمر الأول: لأن الشافعي قال إذا صح الحديث فهو مذهبي والحديث الوارد في النهي عن البناء بمنى تقوم به الحجة لأن الترمذي حسنه وأبا داود سكت عنه فهو في معنى الصحيح لقيام الحجة به على ما هو مقرر في علم الحديث فالشافعي رحمه الله حينئذ يقول به ويعتبر ذلك مذهبه^(٢).
الأمر الثاني: لا ريب في أن الشافعي رحمه الله على تقدير ثبوت بنائه بمنى لم يكن يحجر بناءه بمنى لأحد ولا يأخذ على النزول فيه لأحد، وأن بنائه في منى لأجل الانتفاع به من جهة الحر وصيانة للأمتعة وما أشبه ذلك فلا يقاس عليه من لم يقصد ببنائه إلا الاختصاص بنزوله وأخذ الأجر عليه كما هو الغالب من أحوال أهل العصر^(٣).

(ومنى) كغيرها من المشاعر المقدسة في مكة المكرمة فقد تميزت ببعض الآيات والعلامات التي تدل على قدسيتها ومكانتها عند الله ومن ذلك ما ورد عن أبي الطفيل رحمه الله قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يسأل عن منى !! فيقولون له: عجباً لضيقة في غير الحج؟

فقال ابن عباس رضي الله عنه: (أن منى لتتسع بأهله كما يتسع الرحم

للولد).

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٧

(٢) نفس المصدر ص ٢٥٨

(٣) نفس المصدر السابق ص ٥٢٩

ومن الآيات العظيمة لهذا المشعر العظيم أيضاً اتساعها للحجاج أيام الحج مع ضيقها في الأعين عن ذلك وقيل قديماً: أن الحداة لا تخطف اللحم بمنى أيام التشريق ولا يقع عليه الذباب مع أن اللحم كان يشرق على الجدران والأسطح والجبال والحاداة تحوم حوله ولا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً.

ومن تلك الآيات أيضاً قلة البعوض والحشرات بمنى أيام التشريق رغم الأعداد الهائلة من الحجاج^(١).

وكغيرها من بقية المشاعر فقد حظيت منى باهتمام عظيم من حكومة خادم الحرمين الشريفين أيدها الله من خلال تأمين كل الخدمات اللازمة والبنى التحتية لراحة الحجاج مدة بقائهم في منى فسخرت جميع طاقاتها الممكنة من خيام مضادة للحريق لإيواء الحجاج صنعت بأدق المواصفات العالمية وبناء مجمعات خاصة للوضوء ودورات مياه^(٢) ومساجد للصلاة وشوارع فسيحة مضاعة ليلاً مزوده بدورات مياه للحجاج في أطرافها، وأنفاق وكباري عملاقة تسهل عملية الانتقال، ومسالخ للذبح أيام التشريق على أعلى المستويات العالمية وفرق للدفاع المدني في كل أرجاء منى، وعدة مراكز للإفتاء في كل مكان بمنى، إضافة إلى مستشفيات ثابتة

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٥٣٠

(٢) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١٠٤

ومتنقلة ورجال أمن تراهم يتواجدون في كل بقعة من بقاعها يسهرون
على حماية وراحة الحجاج أثناء الليل وأطراف النهار، كما زودت منى في
التوسعة الثالثة بمحطات للقطار لتأمين نقل الحجاج في يسر وسهولة بين
المشاعر المقدسة الأخرى وفي دقائق معدودة والجهود مستمرة للمزيد من
التطوير لخدمة الحجاج وراحتهم^(١).



الجمرات

(الجمرات) و (الجمار) مفردھا (جمرة) وهي النار المتقدہ، وجمره تجمرا بمعنى جمعه، والقوم على الأمر اجتمعوا وانظموا كجمروا وأجمروا واستجمروا^(١) ولذلك فإن الحجاج يتجمعون وينتظمون لرمي الجمار تباعاً بالترتيب^(٢) وجمرات المناسك تقع في آخر منى بالقرب من مسجد الخيف^(٣) وعددها ثلاث:

الأولى الجمرة الكبرى والثانية الجمرة الوسطى والثالثة جمرة العقبة^(٤) والمسافة بين جمرة العقبة إلى الجمرة الوسطى مائتان وثلاثة وأربعين متراً تقريباً وما بين الجمرة الوسطى إلى الجمرة الثالثة مائة واثنين وخمسين متراً تقريباً والمسافة من مسجد الخيف إلى مكان الجمار الثلاث ستمائة وستين متراً تقريباً^(٥).

ويعود أصل مشروعية رمي الجمرات إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام حين أتى المناسك مع جبريل عليه السلام ليعلمه كيفية أدائها حينها عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فقال له جبريل عليه السلام أرمه

(١) الفيروز آبادي / مصدر سابق ص ٣٦٧

(٢) الأصطخري / مصدر سابق ص ٢٢٠

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٢

(٤) الفيروز آبادي / مرجع سابق ص ٣٦٧

(٥) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٦

فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له مرة ثانية عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم صارت هذه الأماكن من شعائر الحج يتوجب على الحاج فيها الرمي للانقياد والتعبد لله وحده بما لاحظ للنفس منه قال ابن عباس: ((الشياطين ترجهون وملة أبيكم تتبعون))^(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(٢) وترمى الجمار الثلاث أيام التشريق بالترتيب وهو مطلب شرعي على مذهب الأمام مالك ومتى وقع على غير هذه الصفة ولم يتدارك في وقت الأداء وهو النهار على المشهور لزم فاعل ذلك الدم^(٣) ويبدأ رمي الجمار من ليلة عيد الأضحى الذي يوافق اليوم العاشر من شهر ذي الحجة بعد نفرة الحجاج من مزدلفة ويستمر رمي الجمار حتى اليوم الثاني عشر للحججاج المتعجلين وقبل غروب اليوم الثالث عشر لغير المتعجلين.

والأجمار الإشرع وأما وقت الرمي في أيام التشريق فيبدأ الرمي من زوال الشمس وهو وقت دخول صلاة الظهر وينتهي بغروب الشمس لمن ليس له عذر والأفضل فعل العبادة في أول وقتها لمن قدر على ذلك ولفعله

(١) د/ محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ٨٠ والحديث رواه الحاكم في المستدرک وقال حديث

ﷺ وقوله: (خذو عني مناسككم)^(١) ويسن للحجاج عند دخوله منى أن

يبتدئ برمي جمرة العقبة وهي تحية منى فيستقبل جمرة العقبة حيث يجعل منى عن يمينه والكعبة عن يساره ثم يرمى ويقطع التلبية ويسن له أيضاً التكبير مع كل حصاه ويسن للحاج أن يذهب للجمرات ما شياً ويسن في الدعاء عند الجمرة استقبال القبلة وإطالة القيام في الدعاء.

ومن المسائل المهمة في الرمي أن ترمي الجمرة الواحدة بسبع حصيات ليصبح مجموعة الحصى المستخدم في الرمي كاملاً طوال أيام الحج سبعون حصاة أو تسع وأربعون حصاه لمن تعجل حيث يجب على كل حاج أن يرمي جمرة العقبة يوم النحر بسبع حصيات ويسن أن يلتقط الحصى من مزدلفة أو من طريقه إلى منى أما أيام التشريق فيجب عليه أن يرمي الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات ويجوز له أن يلتقط الحصى من أي مكان من منى ولا يصح أن يرمي الجمار بالأسمنت أو الحجر الكبير ويشترط أن تقع الحصاه في الحوض الدائري للجمار مع ملاحظة تفريق الرميات أي يرمى واحدة بعد واحدة ولا يصح أن يرمي السبع حصيات يكف واحدة ويجوز الرمي ليلاً في أيام التشريق خاصة لمن كان به عذر مثل الرعاة والسقاة وكبار السن وكل ضعيف وكذلك النساء لمنع اختلاطهن بالرجال وخوف الكشف ولا يجوز التوكيل إلا لمن لا يستطيع الرمي ليلاً

(١) محمد بن ناصر الدين الألباني / إرواء الخليل في تخريج أحاديث منار السبيل / ج ٤ ص ٣١٦

أو نهراً مثل الحامل التي تخشى على ولدها أو المريض بعذر ونحوهما.
قال لبيد بن الربيعة^(١):

وإذا حركت غرزتي أجمرت وقمر أبي عدو جون قد أبل
وقد تحدث النبي ﷺ وسلفه الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله
عنهم عن فضل الجمار والطرق المثلث لرمي الجمار في مواطن متعددة نذكر
منها أن رجلين سألا الرسول ﷺ وهو في مسجد الخيف بمنى عن الدين!
وعن فضل رمي الجمار؟

فأجابهم ﷺ بقوله: (وأما رميك للجمار فلك بكل رمية كبيرة من
الكبائر والموبقات الموجبات).

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات أثناء
حجة الوداع فقال: (يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال:
فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال فأأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام،
قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا
في بلدكم هذا في شهركم هذا فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل
بلغت؟ اللهم هل بلغت، فيبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفاراً
يضرب بعضكم رقاب بعض^(٢)).

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ١٨١

(٢) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١١٠ وأنظر صحيح البخاري / مصدر سابق /

كتاب الحج / ١٧٣٩ ص ٥٣٢ و ٥٣٣

وقد ورد عن الحسن البصري رحمه الله ما قوله: (أن من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، عند جمرة العقبة) ولذلك فإن الإنسان المسلم مطالباً بأن يقف عندها للدعاء زمن رمية الجمار^(١).

سأل الطفيل ابن عباس رضي الله عنه عن الجمار كيف ترمى في الجاهلية وفي الإسلام ولا تكون هناك حجارة تسد الطريق؟!.

فأجاب رضي الله عنه بقوله: (أن ما تقبل من الحصى رفع يعني حصى الجمار!)^(٢).

وأضاف سعيد بن جبير رحمه الله: (إنما الحصى قربان فما تقبل منه رفع وما لم يتقبل منه فهو الذي يبقى).

وبه عن ابن جريج رحمه الله أنه قال: (أخبرت أن ثقيفا كان جالسا عند عبدالله بن عمر رضي الله عنه فقال له: (يا أبا عبد الرحمن ما كنا نترأى في الجاهلية من الحصى.. والمسلمون اليوم أكثر.. ثم أنه لضحضاح).

فقال عبدالله بن عمر رضي الله عنه: (إنه والله ما قبل الله من امرئ حجة إلا رفع حصاه)^(٣).

قال عطاء رحمه الله: ثم سألت عبدالله بن عباس رضي الله عنه فقلت: (يا ابن عباس إني توسطت الجمرة.. فرميت بين يدي.. ومن خلفي..

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٣ وانظر أخبار مكة / للفاكهي ج ٤ ص ٣٩٤

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ١٧٦

(٣) الفاكهي / مصدر سابق ج ٤ ص ٣٩٥

وعن يميني .. وعن شمالي .. فوالله ما وجدت له مسأً).

فقال ابن عباس رضي الله عنه: (ما من عبد إلا وهو موكل به ملك يمنعه ما لم يقدر عليه .. فإذا جاء القدر لم يستطع منعه .. والله ما قبل الله من أمري حجه إلا رفع حصاه)^(١).

قال ابن جريج رحمه الله: قال عطاء رحمه الله ((إرم الجمرة من المسيل ولم يكن يوجهه) وقال: (ثم أرجع من أسفل من المسيل كما كان النبي ﷺ يصنع) قال: (فإن دهمك الناس فأرمها من حيث شئت .. فلا بأس ولا حرج).

قلت لعطاء (رحمه الله) فمن أين أرمي السفليين ؟ قال: (من أعلاهما كما كان يصنع من أقبل من أسفل مني . فإن دهمك الناس !! فأرمهما من فرعهما ولم يكن يوجهه، فإن كثر عليك الناس ! فلا حرج من نواحيها رميتها).

قال عطاء رحمه الله: (ولا يضر كأي طريق سلكت نحو الجمرة)^(٢). وعن سليمان بن ربيعة الباهلي أنه قال: (نظرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوم النفر الأول فخرج علينا ولحيته تقطر ماء وفي يده حصيات، وفي حجره حصيات، ماشيا يكبر في طريقه حتى رمي الجمرة الأولى، ثم

(١) نفس المصدر السابق ج ١ ص ١٧٨

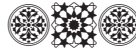
(٢) نفس المصدر ص ١٧٩

مضى حتى أنقطع من مضض الحصى، وحيث لا يناله حصى فدعا ساعة، ثم مضى إلى الجمرة الوسطى ثم الأخرى).

قال ابن جريح رحمه الله قال عطاء رحمه الله: (وإذا رميت قمت عند الجمرتين السفليين) قلت (حيث يقوم الناس الآن) قال: نعم! فدعوت بما بدأ لك ولم أسمع بدعاء معلوم في ذلك، فقلت إلا يقام عند التي عند العقبة؟ قال: لا!! ولا يقام عند شيء من الجمار يوم النفر! قلت: أبلغك ذلك عن ثبت؟ قال: نعم!.

ونتيجة لكثرة أعداد الحجاج في الأعوام الماضية وضيق المسافة بين الجمرات كانت تحدث بعض الإصابات والوفيات لتزاحم الحجاج حول الجمرات لذا قامت حكومة المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود أثناء التوسعة الثالثة بتوسعة الجمرات، وجعلها أربعة أدوار ونفقين تحت الأرض ليسهل على الحجاج عملية الرمي من جميع الاتجاهات في يسر وسهولة. ولتستوعب أكبر عدد ممكن من الحجاج في وقت واحد، كما تم تزويد مباني الجمرات بنظام للتهوية والتبريد والإنارة بطرق فسيحة منظمة للدخول والخروج وأبراج للطوارئ مجهزة بمراكز طبية ومراكز أنقاذ ومراقبة إضافة إلى مهابط للطائرات المروحية ليستوعب كل دور فيها ١٢٥ ألف حاج في الساعة الواحدة كحد أقصى ولتصبح الطاقة الاستيعابية للجسر ٥٠٠ ألف راми

في الساعة^(١) وكذلك زودت الجمرات بلوحات إرشادية بأشهر لغات المسلمين بنظام يفوق كل وصف، مما أدى إلى تقليص حوادث الاختناق والازدحام والتدافع التي كانت تحدث من قبل عند رمي الجمرات مع تواجد عدد من رجال الأمن البواسل ليشفروا على حركة سير الحجاج إلى موقع الجمرات.



المزدلفة

(المزدلفة) هي ثالث المشاعر المقدسة التي يمر بها الحاج في رحلته الإيمانية لأداء مناسك الحج فيؤمر بنزولها والمبيت فيها بعد دفعة من عرفة ليلاً والمزدلفة تقع ما بين مازمي عرفه ومحسر^(١) وتسمى أيضاً (جمعا) بفتح الجيم واسكان الميم^(٢) وتعود تسميتها (بالمزدلفة) لآزدلاف الناس إليها أي اقترابهم من منى، وقيل لمجيء الناس إليها في زلف من الليل أي ساعات^(٣) من الليل وقيل لجمع الصلاتين فيها المغرب والعشاء ومنها يجمع الحجاج الحصيات التي ترمى بها الجمار في أيام التشريق.

والمزدلفة كما حددها الشافعي رحمه الله في كتابه الأم بقوله: (من مآزمي عرفه إلى أن يأتي قرن محسر، على يمينك وشمالك، من تلك المواطن، والقوابل، والظواهر، والشعاب)^(٤).

والمبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج حيث يبيت الحجاج بها بعد نفيهم من عرفات ثم يقيمون فيها صلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا ويجمعون فيها الحصى لرمي الجمرات بمنى، ومن ترك المبيت فعليه

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٩ وأنظر صحيح مسلم / كتاب الحج / ٣١٠٤ ص ٥٢٨

(٢) النووي / مصدر سابق ص ١٥٠

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٩

(٤) الاصطخري / مصدر سابق ص ٢٢ أنظر كتاب الأم / محمد بن إدريس الشافعي / دار

قتيبة / الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ / ج ٥ ص ٤١٦

دم، والمستحب الاقتداء برسول الله ﷺ في المبيت حتى يصبح ثم يقف حتى ينفر ولا بأس بتقديم الضعفاء والنساء ثم يدفع إلى منى قبل طلوع الشمس^(١).

ويعد مشعر مزدلفة بكاملها موقف عدا وادي محسر وهو موضع بين مزدلفة ومنى يسرع فيه الحجاج في مرورهم اقتداء بالنبي ﷺ. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: أنا رديف رسول الله ﷺ قال: فاهراق الماء ثم توضأ ولم يتم الوضوء فقلت يا رسول الله ألا تصلي فقال ﷺ: (الصلاة أمامك فركبنا حتى جئنا جمعاً فنزل فتوضأ فأتم الوضوء ثم أذن بالصلاة فصلى المغرب ثم صلى العشاء ولم يصلي بينهما شيئاً)^(٢).

ويذهب بعض العلماء إلى أن المزدلفة هي (المشعر الحرام) قال تعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٣) أي المكان الذي أمرنا الله فيه بالذكر ليلة النحر والدعاء والإكثار من النوافل^(٤).

بينما يذهب آخرون إلى أن المشعر الحرام هو اسم لموقع من المزدلفة

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٠٢ (تاريخ مكة)

(٢) الأزرقي / مصدر سابق ص ١٩٨ أنظر صحيح مسلم / كتاب الحج / ٣١٠٤ ص ٥٢٨

(٣) سورة البقرة آية ١٩٨

(٤) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٧٦

لا كلها يسمى (قزحا) ويستحب للحاج الوقوف عنده للدعاء والذكر^(١) ففي حديث جابر رضي الله عنه ما يدل على ذلك لأنه قال فيه (ثم ركب ناقته القصواء حتى أتى المشعر الحرام فأستقبل القبلة ودعاء وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفاً)^(٢).

وكان النبي ﷺ ينزل في مزدلفه عند قبلة المسجد الموجود في المشعر الحرام في بداية المزدلفة على قارعة الطريق رقم «٥» ويبعد هذا المسجد عن مسجد الخيف بمنى نحو خمسة كيلومترات تقريباً وعن مسجد نمرة سبعة كيلومترات تقريباً. وكغيره من الشاعر المقدسة فقد حظي مشعر مزدلفة عموماً باهتمام كبيراً ومشروعات تطويرية من حكومة المملكة العربية السعودية على مر السنين في إطار خدمة الحرمين والمشاعر المقدسة والتي هي محل اهتمامات ولاية الأمر حفظهم الله في هذا البلد المعطاء من أجل راحة ضيوف الرحمن وتسهيل حجاجهم ابتغاء مرضاة الله حيث جاء في مقدمة ما قامت به الدولة توسعة المشعر الحرام وتهيئة مساحات المبيت في مزدلفة للحجاج وتزويدها بكل ما هو مطلوب من الخدمات والمرافق الطبية والصحية والمياه النقية والطرق والإنارة ودورات المياه والاتصالات والتغذية والمراكز الإرشادية والأمنية وتنظيم أماكن المبيت فيه لتسهيل

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٠

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٠٣ (تاريخ مكة)

مَعَالِمُ

حركة المرور إلى غير ذلك من الخدمات التي تغطي جميع مساحتها الإجمالية
البالغة ٩٦٣ هكتارا.



المشعر الحرام

(المشعر الحرام) بفتح الميم وكسرها معناه ذو الحرمة^(١) ولذلك يحرم فيه الصيد وغيره فإنه من الحرم^(٢) فالمشعر الحرام ينال ما يناله الحرم المكي من الأجر والثواب وقد اتفق معظم العلماء على أنه اسم لموضع معروف في المزدلفة وليس المزدلفة كلها كما يضمن البعض ويسمى أيضاً (قزحاً) نسبة إلى جبل من جبال المزدلفة.

ويستحب للحاج الوقوف عنده للدعاء والذكر غداة يوم النحر.
قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٣).

وفي حديث جابر الطويل ما يدل على أن المشعر الحرام موضع من المزدلفة لا كلها لأنه قال فيه بعد أن ذكر نزول النبي ﷺ بالمزدلفة ومبيته بها وصلاته فيها الصبح ثم ركوبه ناقته القصواء حتى أتى المشعر الحرام فأستقبل القبلة ثم دعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفاً حتى أسفر وجهه ودفع قبل أن تطلع الشمس^(٤).

وورد أيضاً عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون أنه قال

(١) الفاسي / مصدر سابق ص ٥٢٠ ج ١

(٢) النووي / مصدر سابق ص ١٥٤

(٣) سورة البقرة آية ١٩٨

(٤) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / مصدر سابق ج ١ ص ٥٥ وانظر المبارك فوري / مرجع

سابق ص ١٠٣ (تاريخ مكة)

:سألت عبدالله بن عمر رضي الله عنه عن (المشعر الحرام) فسكت حتى إذا هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر الحرام^(١).

قال عبدالرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن سالم قال: قال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها وكأن ابن عمر رضي الله عنه كان يقصد بذلك عدم التدافع والتزاحم بين الحجاج ومما يدل على ذلك ما روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: هذا الجبل وما حوله (يقصد جبل قزح) وكان الناس يزدحمون عنده فقال ابن عمر: علام يزدحم هؤلاء؟ كل ما ههنا مشعر^(٢) واختلاف الآراء فيه رحمه للناس خشية كثرة الازدحام والتدافع عليه خاصة مع كثرة أعداد الحجاج في هذه الأيام ونظراً لأهمية هذا الموقع الدينية فقد قام الخيرون بإنشاء مسجد فيه يسمى (مسجد المشعر الحرام).

ويقع مسجد المشعر الحرام على الطريق (٥) وكان هذا المسجد مقاماً منذ القرن الثالث عشر الهجري بشكل قديم البناء حيث كانت عمارته متواضعة وبدون سقف وله ستة أبواب ثم أعيدت عمارته وتوسعت في العهد السعودي بما يتلاءم مع قدسية المكان الذي هو فيه بتكلفة إجمالية قدرت

(١) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٦

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٤٩

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

بخمسة ملايين ريال ليصبح طوله من الشرق إلى الغرب ٩٠ م وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٥٦ م ومساحته الكلية ٥٠٤٠ م^٢ ويستوعب لأكثر من اثني عشر ألف مصل وفي مؤخرة المسجد أقيمت منارات حديثة الطراز بارتفاع نحو ٤٠ م وله مداخل عدة^(١) تقع في الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية.



(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ١٤٤

عرفة

ورد في كتب اللغة أن (عرفة) بالكسر، و (العُرف) بالضم هي الريح طيبة كانت أو متته والمعروف ضد المنكر والعرف ضد النكر^(١) وجمعت (عرفات) وأن كان موضعاً واحداً لأن كل جزء منه يسمى عرفه ولهذا كانت أيضاً مصروفة (كعقبات)^(٢) قال النووي رحمه الله: والعرف الاسم من الاعتراف فالناس في عرفه يعترفون بذنوبهم ويسألون الله غفرانها فتغفر^(٣) بإذن الله.

(وعرفات) اسم بلفظ الجمع فلا يجمع قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٤) وقيل في قوله تعالى ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ أي طيبها لهم^(٥).

وعرفه كما وصفها الرحالة المسلم الاصطخري رحمه الله (تقع ما بين وادي عرنه بالنون إلى نخيل حائط بني عامر إلى من أقبل على الصخرات التي تكون بها الموقف^(٦)) والمقصود بالصخرات هنا (جبل الرحمة).

(١) محمد الرازي / مصدر سابق ص ٣١٨

(٢) النووي / مصدر سابق ص ٥٦

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٤) سورة البقرة آية ١٩٨

(٥) عبد الرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٣١٨

(٦) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٨

قال عليه السلام: (عرفة كلها موقف، وفجاج منى كلها منحرا، ومزدلفة كلها موقف) ^(١).

وليست عرفات من الحرم وإنما حد الحرم إلى المأزمين ^(٢) وموضع الوقوف خارج الحرم وقريب من وادي عرنة.

قال المحب الطبري: (عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة (بالنون) جبل الرحمة) وبطن عرفه (بالفاء) ولا يصح أن يكون وادي عرنة بالنون لأن وادي عرنة لا ينقطع على عرفه فكان (التقييد) بل هو ممتد مما يلي مكة يمينا وشمالا ويعرف (بوادي عرفه) وبهذا التحديد الذي حدده المحب الطبري نراه يدخل عرنة في عرفه وهو خطأ ظاهر والله أعلم وأضاف (وعرنة ما جاور وادي عرفه وليس الوادي ولا المسجد فيها إلى الجبال المقابلة مما يلي حوائط ابن عامر وطريق المحصن وما جاور ذلك فليس من عرفه) ^(٣) وبهذا القول فأن عرفه ميدان واسع أرضه مستوية تبلغ نحو ميلين طولا ومثلها عرضا ^(٤) وهي أرض لا يجوز الأحياء فيها ولا التملك لأنها متعبدة ومنسك لعامة الناس فصار حكمها كحكم المساجد قال النووي /

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٩٦

(٢) الاصطخري / مصدر سابق ص ٢٢

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٨

(٤) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٩٥

[أن الأصح هو منع التملك والأحياء فيها مطلقاً^(١)].

أما ما ورد في المصادر التاريخية واللغوية عن سبب تسميتها بعرفه فقد اختلف العلماء في ذلك فذكروا أسباباً عدة فيذكر الضحاك رحمه الله أنها سميت بذلك نسبة إلى التعارف الذي حصل بين آدم وحواء فيها بعد أن أهبط آدم من السماء في بلاد الهند و هبطت معه حواء في جدة فالتقيا في عرفه مرة أخرى بعد أن طويت لهما الأرض.

وذهب آخرون إلى أن سبب تسميتها بعرفه يعود لأن جبريل عليه السلام عرف الخليل إبراهيم عليه السلام بالمناسك في يوم عرفه روي ذلك عبد الرزاق قال اخبرني ابن جريج عن ابن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

بعث الله جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام فحج به حتى أتيا عرفه فكان يقول له (عرفت) فيجيبه بنعم فسميت عرفات!^(٢)

والأصوب والله أعلم أنها سميت بذلك لأن الناس يعترفون بذنوبهم فيها ويسألون الله المغفرة فيغفرها لهم^(٣) قال عَلَيْهِ السَّلَام: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة)^(٤).

(١) الفاسي / مصدر سابق ص ٥٠٤

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٢٨

(٣) الفاسي / مصدر سابق ص ٥٠٤

(٤) سنن ابن ماجه ص ١٠٠٣

وقيل أيضاً أن تسميتها بعرفه يعود إلى (الصبر) على ما يكابدون في الوصول إليه لأن العرف يأتي بمعنى الصبر أيضاً قال الشاعر:

قل لابن قيس أخي الرقيات ما احسن العرف في المصيبات

ويوم عرفه كما هو معلوم للجميع هو اليوم التاسع من ذي الحجة من كل عام ففي هذا اليوم يأتي الناس من كل فج عميق وبلد بعيد حجاجاً رجالاً وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها ليشهدوا منافع لهم دينية ودنيوية^(١) وليؤدوا ركناً مهماً من أركان الإسلام ومن فاته الوقوف بعرفه فقد فاته الحج قال الرسول ﷺ (الحج عرفه)^(٢).

أما ما جاء في كتب السير والتاريخ عن موقف سيدنا محمد ﷺ من عرفه فهو الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف من وراء الموقف وهي التي عن يمينها وورائها صخرتان متصلتان بخصر الجبل المسمى (جبل الرحمة) فأن الظفر بموقف النبي ﷺ هو الغاية في الفضل وأن خفي على الحاج وشق عليه الوصول إليه وقف من الجبل على جميع الصخرات والأماكن التي بينها لعله يصادف الموقف الشريف فتفاض عليه بركاته^(٣).

ولهذا اليوم العظيم كما هو معلوم للجميع فضل كبير بيته العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ

(١) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٧٦

(٢) سنن ابن ماجه ١٠٠٣

(٣) الفاسي / مصدر سابق ص ٥٠٠

جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾

وورد عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال:

(ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفه وأنه ليدنوا عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ماذا أراد هؤلاء؟) (٢).

وعن طارق بن شهاب رحمه الله قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين: آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا يا معشر اليهود نزلت لا اتخذنا ذلك اليوم عيداً يقصد اليوم الذي نزلت فيه وهو يوم عرفة.

قال عمر رضي الله عنه وأي آية قال: (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٣).

ففي هذه الآية يبين الله للمسلمين تمام النصر وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة الأصول والفروع في هذا اليوم المبارك (٤) وفي هذا المكان المقدس. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي

(١) سورة البقرة آية ١٩٨

(٢) سنن ابن ماجه ص ١٠٠٣ وصحيح مسلم كتاب الحج ٣٢٨٨ ص ٥٥٣

(٣) سورة المائدة آية رقم ٣

(٤) عبد الرحمن السعدي / مرجع سابق ص ١٩٩

انزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة^(١).

ومن فضائل هذا اليوم المبارك أن صيامه يكفر سيئات السنة الباقية والماضية^(٢).

فعن أبي قتادة أن رجلاً قال يا رسول الله كيف رأيت صيام عرفة؟ قال: (احتسب على الله أن يكفر السنة الباقية والماضية)^(٣).

وكغيره من المشاعر المقدسة فقد حظى مشعر عرفة باهتمام بالغ من حكومة المملكة العربية السعودية فأقيمت فيه المشروعات التطويرية لراحة ضيوف الرحمن وتسهيل وقوفهم في هذا المشعر المقدس بأمن وأمان فقامت بتوسعة ساحاته المختلفة وتزويدها بكل ما هو مطلوب لراحة الحجاج في هذا اليوم العظيم من الخدمات والمرافق الطبية والصحية والمياه النقية والطرق المضاءة والفسيحة لسير المركبات العملاقة مع تهيئة بعض الطرق للمشاة وتزويدها بدورات المياه والاستراحات المظللة والتي يتم فيها توزيع الأطعمة بالمجان وإقامة المراكز الإرشادية والتوعوية بجميع اللغات، مع تنظيم أماكن الوقوف بعرفة بشكل ليس له نظير لتسهيل حركة المرور والتي يتم تغيير خططها سنوياً وبإشراف عام من خادم الحرمين الشريفين حيث يتم

(١) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٥٤٣ (الرحيق المختوم)

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٠١ وانظر / صحيح مسلم ص ١١٦٥ وجامع الترمذي

ص ٧٥٢

(٣) صحيح البخاري / كتاب الحج / باب صوم يوم عرفة ١٦٥٨ ص ٥١٨

الإعلان عنها سنوياً عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ليعلم بها كل من يريد الحج إلى هذه البلاد المقدسة فيكون بذلك على علم بمدخل عرفه ومخارجها المسموح بها سواء لقواد المركبات أو للمشاة.

كما قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين (وفي خطوة فريدة من نوعها) برش جميع طرق مشعر عرفه برذاذ الماء البارد ليلطف الأجواء على الحجاج وذلك بتكسير المياه إلى أجزاء صغيرة تنطلق في الهواء بمضخات مياه قوتها ١٥ حصاناً من خلال المواسير المزودة برشاشات مياه تضح ١٤٠ لتراً مكعباً في الساعة^(١) بالإضافة إلى زراعة الأشجار لتخفيف حرارة الشمس في يوم عرفه فقد غرست في عرفه لوحدها ١٠٠ ألف شجرة من شجر النيم ليستظل بها الحجاج في هذا اليوم العظيم.

كما قامت حكومة المملكة أيضاً بتوفير جميع المخيمات اللازمة الغير قابلة للحريق لإيواء هذا العدد الهائل من الحجاج كما قامت أيضاً بربط مشعر عرفه بطرق سكه حديد حديثه عالية التقنية لربطه بالمشاعر الأخرى كمزدلفة ومنى حتى تسهل عملية تنقلات الحجاج بينها أثناء أداء مناسكهم بيسر وسهولة وطمأنينة.

إضافة إلى توفير مواقف للسيارات بمساحة ٢٥٠ متر مربع^(٢).

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ١١٦

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة

المحصب (الأبطح)

قال النووي في التهذيب أن المحصب: ينطق بميم مضمومة ثم حاء مفتوحة ثم صاد مشدودة مهملتين مفتوحتين ثم باء موحده، ويسميه المكيون أيضاً الأبطح والبطحاء وخيف بني كنانة^(١) هو أحد المعالم الدينية والتاريخية الهامة بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة يقع قرب الجمار بمنى وتحديدًا بين منى ومكة.

و(المحصب) كلمة مأخوذة من الحصب وهو جنس من أجزاء الأرض ثم يشتق منه^(٢) فالحصباء جنس من الحصى، فيقال حصبت الرجل بالحصباء، والرياح حاصب إذا أتت بالغبار.

قال بعض العلماء: المحصب مسيل ماء فيه حصب يأتي مع السيل يقع بين الحجون بمكة إلى الجمار بمنى.

وتعود أهميته التاريخية إلى أن القبائل العربية في الجاهلية كانت تنزل فيه إذا فرغوا من مناسكهم في ليلة تسمى (الحصبة) يتفاخرون فيها بأبائهم وأيامهم ووقائعهم الحربية بحيث يقوم من كل بطن شاعر وخطيب فيقول: (منا فلان ولنا يوم كذا فلا يترك فيه شيئاً من الشرف إلا ذكره) ثم ينادي: (من كان ينكر ما أقول.. وله يوم كيومنا أوله فخر مثل فخرنا

(١) النووي / مصدر سابق ص ١٤٨

(٢) عبدالسلام هارون / مرجع سابق ص ٧٠

فليات به) ثم يقوم الشاعر فيهم فينشد ما قيل فيهم من شعر.

فمن كان يفاخر تلك القبيلة أو كان بينه وبينها منافرة ومفاخرة يقوم فيذكر مثالب تلك القبيلة وما بها من المساوئ وما هجيت به من الشعر ثم يفخر هو بما فيه^(١) وما عند قبيلته.

ولما جاء الله بالدين الإسلامي عاب على أهل مكة فعلهم ذلك خاصة بعد أداء نسكهم مباشرة فأنزل الله في كتابه العزيز قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٢).

وتعود أهمية المحصب الدينية إلى أنه موضع من المواضع التي يستحب للحاج النزول فيه بعد انصرافه من منى قاصداً مكة فهو منزل نزل به الرسول ﷺ حين انصرافه من منى^(٣) بعد عناء أيام التشريق ووصفه ﷺ بأنه مناخ للركبان.

فعن أبي رافع رضي الله عنه قال: (لم يأمرني النبي ﷺ أن أنزل الأبطح ولكن ضربت فيه قبته فجاء فنزل)^(٤).

وقالت عائشة (أم المؤمنين) رضي الله عنها: (أنما كان النبي ﷺ ينزل

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٠

(٣) النووي / مصدر سابق ص ١٤٨

(٤) صحيح مسلم / كتاب الحج / باب استحباب النزول بالمحصب / ٣١٧٣

فيه لأنه كان أسمع لخروجه حين يخرج فمن شاء نزله ومن شاء تركه^(١). قال ابن جريج: (كنت أسمع الناس يقولون لعطاء إنما نزل رسول الله ﷺ ليلتئذ المحصب ينتظر عائشة رضي الله عنها حيث قال ﷺ: (لا ولكن إنما هو مناخ للركبان من شاء حصب ومن شاء لم يحصب)^(٢).

وزاد عبدالله بن عباس رضي الله عنه ما قوله: (المحصب ليس بشي إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ)^(٣).

ومما زاد من أهمية المحصب أن فيه جبل يقال له (كداء) أو (العلق) وهو الموضع الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ قبل الفتح فقال الناس: خلأت القصواء!!.

فقال ﷺ حينئذ: (ما خلأت القصواء، وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل)^(٤).

ومن هذا الموضع في المحصب يستحب للمحرم دخول مكة عند الثنية بأعلى مكة والتي تهبط إلى المقبرة المعروفة بالأبطح ويقال لها (الحجون الثاني).

(١) سنن ابن ماجه ص ١٠٠٣

(٢) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٠ وانظر سنن أبي داود / كتاب المناسك / باب تحريم حرم مكة ٢٠١٩ ص ٤٤٨

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٤

(٤) د/ عبدالله يوسف غنيم / جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك / مطبعة ذات السلاسل / الطبعة الأولى / ١٣٩٧ هـ ص ٧٣

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع عن كتفي كداء

ويورد الدكتور محمد الخضري بك أستاذ التاريخ الإسلامي في كتابه تاريخ الأمم الإسلامية رأياً مفاده أن قبر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور رحمه الله بأصل كداء في ثنية مقبرة المعلاة في المحصب حيث دفن مكشوف الرأس في سنة ١٥٨ هـ لأنه كان حاجاً^(١).

وللمؤرخ المكي العلامة أبي الطيب الفاسي رحمه الله معلومة أخرى عن المحصب مفادها أن المحصب هو المكان الذي صلب فيه عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ثلاثة أيام^(٢) صلبه الحجاج ابن يوسف الثقفي في خلافة يزيد بن معاوية رحمه الله عندما رفض البيعة بالخلافة ليزيد رحمه الله.

ويذكر المؤرخون أن أول من قام بالاهتمام بهذا الموقع من الخلفاء المسلمين وتسهيله للحجاج هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رحمه الله ثم سهره أيضاً الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان رحمه الله ثم كان آخر من بنى ظفائرها ودرجها وحددها هو الخليفة العباسي المهدي رحمه الله^(٣) أثناء عمارته للحرم المكي.

(١) محمد الخضري بك / محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية / الدولة العباسية / دار المعرفة

/ بيروت / لبنان / ص ٨٠

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٠٧

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٠٨

وذكر أيضاً أنه في سنة ٨١١هـ قام بعض المجاورين للمحصب بتسهيل موضعاً مستصعباً في رأسها وفي سنة ٨١٧هـ تم تسهيل طريق آخر مستصعباً إلى مقبرة الأبطح وكانت حرجه ضيقة فردمت أرضها بالتراب حتى استوت وجعل الحجاج يسلكونها أكثر من الطريق المعتادة كما رصفت شوارعها بالحجارة في القرن التاسع الهجري تسهيلاً للحجاج^(١) ويبدو أن الاهتمام بهذا المكان من قبل الخلفاء كان واضحاً رغم بعده قليلاً عن مشعر منى ذلك لأنه يقع في طريق الحجاج المتجهين من منى إلى الحرم لطواف الإفاضة.

و (المحَصَّب) اليوم هو موضع خصص لمرور الحجاج فقط يكثر فيه بعض الباعة المتجولين قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين بتوسعته وتجهيزه حتى يتمكن الحجاج من المرور به بأسهل الطرق الممكنة وتم تزويده بكافة الخدمات اللازمة من دورات مياه، وطرق مرصوفة ومعبدة ومضاءة ليلاً وخدمات صحية وطبية على أعلى المستويات ومراكز للافتاء والإرشاد كما زود أيضاً بلوحات إرشادية بجميع اللغات وكافة وسائل الاتصالات الحديثة وغيرها من الخدمات الأخرى على طول الطريق من منى إلى الحرم المكي مروراً بالمحصب.

ونظراً لأن الموقع يخلو من لوحات إرشادية تتحدث عن تاريخه الديني

(١) نفس المصدر ص ٥٠٩

فقد أصبح هذا الموقع ممراً وأثراً لا يعرف مكانه وأهميته إلا قلة من الناس المهتمين والمؤرخين المكيين. لذا ندعو هيئة تطوير الحرم ووزارة السياحة بالملكة لوضع لوحات إرشادية توضح للحجاج والزوار أهمية المكان والتاريخ الديني والاجتماعي.



بطن محسر

(بطن محسر) ينطق بميم مضمومة ثم حاء مفتوحة، ثم سين مشدودة، مكسورة ثم راء مهملان^(١) كلمة تعني المهلك وهو مأخوذ من الحسرة والهلاك والندامة وهذا المكان عبارة عن وادي بين منى والمزدلفة على حدّهما وليس منهما وهو مكان مرتفع على يمين الذهاب إلى عرفات ويسار الذهاب إلى منى وقد أقامت الحكومة السعودية في هذا الموقع كبرى الملك خالد لتسهيل مرور المركبات بين المشاعر ومكة وينبغي للحاج إذا وصله الإسراع فيه والتهليل اقتداءً بهدي النبي ﷺ فيه ولذا يسميه أهل مكة أيضاً بوادي النار والمهل^(٢).

وتعود قصة هذا المكان التاريخية إلى زمن حادثة الفيل حين جاء إبراهيم الأشرم من اليمن بستين ألف جندي من الأحباش ومعه بعض الفيلة ليهدم الكعبة المشرفة فلما وصل إلى موضع وادي محسر بين المزدلفة ومنى تهيأ للجهوم على مكة ولم يبق بينه وبينها سوى بضعة كيلومترات فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، ثم دفن معظم جنوده بعد هلاكهم في هذا الوادي وكما هو معلوم للجميع

(١) الاصطخري / مصدر سابق ص ٢٢

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٤

فقد كان هذا الحادث قبل ولادة النبي ﷺ بأقل من شهرين فقط^(١).

ونظراً لما أصاب جنود إبراهيم من الهلاك فقد اتجه معظم العلماء والمكيين لتسمية هذا الوادي (بطن محسر) حيث خسر فيه إبراهيم وجنوده وهلكوا ومنعوا من دخول مكة المقدسة فكان عليهم حسرة وندامة والعياذ بالله. وبين الأزرقى أن امتداد طول هذا الوادي حوالي مائتان وثلاثة وسبعون متراً تقريباً^(٢) وقد اتفق الأئمة الأربعة (رحمهم الله) على استحباب الإسراع في هذا المكان اقتداء بفعل النبي ﷺ عندما وصل إلى بطن الوادي فقد جاء في بعض الأحاديث النبوية ما يقتضي فعل ذلك^(٣) حيث قام ﷺ بتحريك راحلته القصواء للإسراع في هذا الموضع بالذات واختلف العلماء في سبب تحريك ناقته فقليل أنه بسبب سعة الوادي وذهب آخرون لأنه مكان تكثر فيه الشياطين على الصحيح فاستحب ﷺ الإسراع فيه وهو المشار إليه بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أفاض من عرفه إلى المزدلفة حيث أنشد قائلاً:

إليك تعدو قلقاً وضيئها مخالفاً دين النصارى دينها^(٤).

واقترء بهدي النبي ﷺ يستحب للحاج الإسراع فيه وتجنب الوقوف

(١) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨ (روضة الأنوار)

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٠

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٣

(٤) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

فيه للأكل أو للراحة ونحوه ويستحب له أيضاً أن يقول عند مروره:
(اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم)^(١) اقتداء بفعله ﷺ وتجنباً لوساوس
الشياطين هنا والله أعلم.



(١) جامع الترمذي / أبواب الحج عن رسول الله / ٨٨٦ ص ٢٩٨

المأزمان

(المأزمان) تنطق بهزمة ساكنة بعد الميم الأولى وبعدها زاي مكسورة وواحدهما مأزم^(١) وهو الطريق الضيق بين جبلين ويأتي بمعنى المضيق في سائله^(٢) وهو عبارة عن طريق ضيق بين مزدلفة وعرفه والمأزم الثاني بين مزدلفة إلى العلمين حد الحرم يسميها أهل مكة (المضيق) ويستحب للحاج أن يسلكها إذا رجع من عرفه قاصداً المبيت بمزدلفة ولكن وفي الآونة الأخيرة وبعد التوسعات السعودية للمشاعر المقدسة قامت الحكومة بتهذيب الجبال الواقعة على طرفي الطريق لتسهيل عبور المشاة من الحجاج إلى مزدلفة ومنها إلى منى ثم الحرم المكي بعد ازدياد أعدادهم.

يقول المحب الطبري في (القرى) (وأنكر بعض الناس على الفقهاء ترك المأزمين وعدوه لحنا) وهذه عبارة محررة، فإن ترك الهمز في المثال جائز باتفاق أهل العربية فمن همز فهو الأصل ومن لم يهمز فعلى التخفيف فهما فصيحان^(٣).

قال الجوهري في الصحاح:

(١) النووي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٤٨

(٢) الحسن بن يعقوب الهمداني / صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، دار اليمامة،

الرياض، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٢٤٢

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥١٢ و ٥١٣

(المأزم موضع الحرب ومنه سمي الموضع الذي بين مزدلفة وعرفه مأزمين)^(١).

وبين العلامة أبي الوليد الأزرقى في أخبار مكة: (أن طول هذين المأزمين مما يلي المزدلفة إلى العلمين اللذين هما حد عرفه ستة آلاف وسبعة أربعون متراً تقريباً، وعرض ما بين مأزمي عرفات قبل التهذيب خمسين متراً تقريباً، وطولهما مما يلي المزدلفة إلى العلمين اللذين هما حد الحرم المكي من جهة عرفه أربعة آلاف وأربعمائة وخمسون متراً تقريباً)^(٢).

ويقع في أصل هذين المأزمين طريق مختصر من المزدلفة إلى عرفه على اليمين ويسمى طريق ضب ويستحب للحاج سلوكها لأن النبي ﷺ سلكها حين غدا من منى إلى عرفة وروي أيضاً عن عطاء أنه سلكها وقال فيها هي طريق موسى بن عمران عليه السلام^(٣) واليوم أصبحت هذه الطرق التي سلكها النبي ﷺ في حجة غير واضحة للناس بعدما طالتها يد التطوير والتغيير التي طالت غيرها من المعالم التاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ونناشد هيئة تطوير الحرم المكي ووزارة السياحة بالملكة بوضع لوحات إرشادية تشير إلى مثل هذه الأماكن الهامة بما يتناسب مع أهميتها الدينية والتاريخية على حد سواء.

(١) الاضطخري / مرجع سابق ص ٢٢

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٠

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٢

الحديبية

(الحديبية) كما ذكرها النووي في تهذيب الأسماء واللغات: (بضم الحاء وفتح الدال، وتخفيف الباء اسم مكان تاريخي معروف في مكة يبعد عنها اثنين وعشرين كيلو مترا تقريبا).

ونفس القول ذكره الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه الأم ويتفقان في ذلك مع أهل اللغة وبعض أهل الحديث ويذهب أكثر المحدثين إلى القول بتشديد الياء وهما وجهان مشهوران^(١) وسميت بالحديبية بهذا الاسم نسبة إلى بئر ماء قرب شجرة حدباء شرب منها النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم يوم صلح الحديبية التاريخي وفي هذا المكان تحققت للنبي ﷺ إحدى معجزاته الخالدة.

أما شهرة هذا المكان التاريخية والدينية فتعود إلى أن النبي ﷺ نزل ذات المكان تحت الشجرة لما قدم من المدينة المنورة محرماً يريد العمرة بعد أن رأى في المنام رؤيا أنه يدخل مكة محرماً هو وصحابته رضوان الله عليهم أمينين محلقيين رؤوسهم ومقصرين ولذلك خرج النبي ﷺ يوم الاثنين غرة ذي القعدة في السنة السادسة من الهجرة النبوية في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محارباً بل

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٠

خرج مسالماً معتمراً^(١) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا يوم الحديبية أربع عشر مائة والحديبية بئر فبرحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج على البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت ركائبنا^(٢) ثم حدث أن منعهم قريش من الدخول إلى مكة لما علمت بمسيرته إليهم حقداً وانتقاماً منهم على النبي ﷺ وصحابته الذين هزموهم في غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد وغزوة الخندق.

فأرسلت إليه القائد خالد بن الوليد كان ذلك قبل إسلامه في مائتي فارس إلى كراع الغميم قريباً من عسفان ليسد الطريق على المسلمين وجمع معه الأحابيش ليعينوهم في ذلك فأخذ الرسول ﷺ طريق آخر حتى بلغ ثنية المرار أعلى مكة ويسمى أيضاً المحصب والأبطح أو مهبط الحديبية فلما بلغها بركت ناقته ﷺ، فزجروها فلم تقم، فقالوا خلأت القصواء فقال ﷺ: ((ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حاسب الفيل)).

ثم قال: والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم ثم زجرها ﷺ فقامت فتقدم بها إلى أن نزل بالحديبية^(٣).

(١) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٢٣٨ (روضة الأنوار)

(٢) محمد الياس عبد الغني / مرجع سابق ص ٢١ انظر صحيح مسلم / كتاب الجهاد والسير /

باب صلح الحديبية ٤٦٢٩ ص ٧٦٥

(٣) نفس المرجع وص ٢٣٩

ومن الحديبية قرر رسول الله ﷺ إرسال رسوله ومبعوثه إلى قريش ليؤكد لهم أنه ما جاء إلا للعمرة مسالماً لا ينوي القتال فأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأمره أيضاً أن يأتي المستضعفين من المؤمنين والمؤمنات بمكة ليبشرهم بقرب نجاتهم وأن الله مظهر دينه حتى لا يستخفى في مكة أحد بالأيمان ودخل عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار إبان بن سعيد الأموي فبلغ الرسالة وعرضوا عليه أن يطوف بالبيت فأبى أن يطوف ورسول الله ﷺ ممنوع^(١) ثم حبست قريش عثمان بن عفان رضي الله عنه وشاع بين المسلمين أنه قتل فوصل خبره إلى رسول الله ﷺ فقال: لا نبرح الحديبية حتى نناجز القوم ودعى الناس وهو تحت الشجرة أن يبايعوه فبايعوه على الموت ونصرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ونزلت في فضل هذه البيعة آية الرضوان وفي هذا المكان الطاهر قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٢) ولذلك سميت هذه البيعة ببيعة الرضوان وفي هذا المكان تحديداً عقد الصلح بين المسلمين وبين قريش حين جاء مبعوث قريش الثاني إلى النبي ﷺ سهيل بن عمرو والذي يعد من سادات قريش في العقل والحلم والرزانة وأصالة الرأي وقد اختارته قريش لما له

(١) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٢٤٠ (روضة الأنوار)

(٢) سورة الفتح آية ١٨

من باع طويل وتصرف حكيم في القضايا المعقدة والشائكة فجاء بنفسه إلى الحديبية^(١) ليعرض شروطهم فاستبشر به النبي ﷺ لما رآه وقال ﷺ (سهل الله علينا بقدم سهل) ثم قبل ﷺ تلك الشروط التي أملاها عليه سهل ورجع إلى المدينة^(٢) ولم يكن فتح مكة بعد ذلك ليتم إلا لأن قريشاً بنفسها هي التي نقضت هذا الصلح وتلك هي مشيئة الله في الأرض^(٣).

والحديبية اليوم معلم تاريخي وديني من أعلام مكة الخالدة يسمى بالشمسي ويجدر بهيئة السياحة في المملكة إظهاره كمزار سياحي لزوار بيت الله الحرام من حجاج ومعتمرين أو على الأقل الإشارة إلى أهميته التاريخية في لوحات واضحة بأبرز اللغات الإسلامية.

وقد اختلف العلماء هل هي في الحل أو في الحرم المكي فيرى الإمام مالك رحمه الله أن الحديبية داخل الحرم ويذهب الإمام الماوردي إلى أنها في طرف الحل أما الإمام الشافعي رحمه الله فقال: أن بعضها في الحل وبعضها الآخر في الحرم وكذا قال ابن البيطار رحمه الله^(٤).

(١) محمد أحمد باشميل / صلح الحديبية / دار الفكر الطبعة الثالثة / ١٩٧٣م / ١٣٩٣هـ ص ٢٤١

(٢) محمد علي الصابوني / روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن / ج ٢ / دار أحياء التراث العربي / دمشق

(٣) محمد أحمد باشميل / فتح مكة / دار الفكر / الطبعة الثاني / ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ص ٧٥

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٠

وذهب الرحالة المسلم إبراهيم الاصطخري رحمه الله إلى أن الحديبية هي أبعد الحل إلى البيت وليس هي في طول الحرم ولا في عرضه إلا أنها مثل الزاوية للحرم ولذلك كان الناس في الجاهلية يقطعون مسافتها في أكثر من يوم^(١) مشياً على الأقدام.

وفي موقع الحديبية اليوم منطقة تسمى الأعشاش هي مكان أنصاب الحرم على يمين الذهاب إلى جدة^(٢) والحديبية قديماً كانت اسم لقرية سكنت بعد توفر الماء ببركة النبي ﷺ ليست كبيرة والشجرة والحديبية لا يعرفان اليوم بل يسميها الناس [الشميسي] وهو أحد الأحياء المعروفة في مكة على طريق جده السريع وتعود أهميتها الدينية اليوم إلى أنها أفضل المواقيت المكانية للعمرة بعد الجعرانة والتنعيم قال بذلك الإمام الشافعي رحمه الله وعدد من العلماء باستثناء الشيخ أبا حامد رحمه الله فإن الحديبية عنده مقدم على التنعيم والله أعلم بالصواب^(٣) وعلى العموم فجميعها مواقيت مكانية لأهل مكة يحرم منها سكان مكة لأداء العمرة وقد أحرم منها جميعاً النبي ﷺ فحرى بنا الاقتداء بالهدي النبوي.

(١) الأصطخري / مصدر سابق ص ٢٣

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ١٣٢

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٩١

ذي طوى

(ذي طوى) بالضم والكسر وفتح الواو المخففة، والأفصح فتح الطاء^(١) والطوى بمعنى الغنى^(٢) وذي طوى هو موضع ديني هام بأسفل مكة في طريق العمرة المعتادة يطلق عليه المكيين مستجاب عائشة رضي الله عنها وهو ذات الموضع الذي كان يقال له (الحجونين) ما بين مهبط تنية مقبرة المعلاة إلى الثنية القصوى التي كان يقال لها أيضاً الخضراء والتي تهبط على قبور مقبرة المهاجرين^(٣) ويسمى اليوم آبار الزاهر وهو أحد الأحياء المعروفة بمكة، ويستنحب لمن دخل مكة من غير أهلها من جهته أن يغتسل فيه بنية غسل دخول مكة لأي داخل كان ممن يصح إحرامه لحج أو عمرة حتى الحائض والنفساء والصبي إذا مر به^(٤)، وقد بينت المصادر التاريخية القديمة مدى أهمية هذا الموقع تاريخياً ودينياً فهو ليس بمجرد وادي يحمل ذات المسمى بل هو مكان مقدس صلى فيه النبي ﷺ وبات فيه وأغتسل^(٥) فما احوجنا إلى التآسي بفعله ﷺ.

ولا أدل على أهميته الدينية من قول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

(١) النووي / مصدر سابق ص ١١٥

(٢) الفيروز أبادي / مصدر سابق ص ١٣٠٨

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤١٩

(٤) النووي / مصدر سابق ص ١١٥ وأنظر صحيح مسلم، كتاب الحج، ٣٠٤٥ ص ٥٢١

(٥) عدنان محمد الشريف / جريدة مكة / العدد ٥١ / ٣ جماد الأولى ١٤٣٥ هـ ص ٢٦

(إن كانت الأمة من بني إسرائيل لتقدم مكة فإذا بلغت ذي طوى خلعت نعالها تعظيماً للحرم)^(١) فما مصيرنا نحن المسلمين ألسنا الأولى بذلك من بني إسرائيل.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد هذا الموقع المقدس والمعلم التاريخي فلم يثبتوا قطعاً هل هو ذات المكان الموجود فيه البئر المسمى (بئر طوى) والتي حفرها عبد شمس بن عبد مناف في الجاهلية^(٢) أم لا ؟ إلا أنهم متيقنين تماماً من قدسيته ومكانته عند رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم وإنهم لا يختلفون في ذلك.

ومن أولئك العلماء الدكتور/ عدنان بن محمد الشريف عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى الذي ينفي أن يكون مكان اغتساله وصلاته ﷺ هو مكان البئر الحالية والموجودة اليوم استناداً لبعض المصادر التاريخية لديه كالازرقى والفاكهي والفاصي وغيرهم^(٣) ويؤكد أنه أحضر له ﷺ الماء من مكان آخر، ويرجح بأنه جيء له به من أحد أبار الزاهر القريبة دون تحديد بئر معين ويضيف أن هناك روايات تاريخية لديه تشير إلى أنه بئر (ابن عنبسه) دون أن يحدد موقعها ويذكر انقطاع أخبارها^(٤).

(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٣٢ باب تعظيم الحرم وتعظيم الذين فيه والإحاد فيه

(٢) ابن هشام / مصدر سابق / ج ١ ص ١١٢

(٣) عدنان بن محمد الشريف / مرجع سابق ص ٢٦

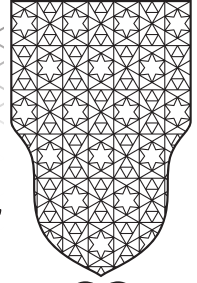
(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة

بينما يرى بعض العلماء إلى وجوب ترجيح تحكيم العقل في ذلك فتراهم يقولون: (أنه لا يعقل أن يبيت ﷺ في مكان ليس به ماء ومن عادته عدم فعل ذلك تم يطلب من أحد الصحابة رضوان الله عليهم إحضار ماء له من مكان بعيد عنه ليغتسل ويصلي مع علمه ﷺ المسبق بموقع البئر، ولماذا أيضاً لم يكتفي بالوضوء فقط بسبب صعوبة إحضار الماء أضف إلى ذلك أن الرسول ﷺ هو من شرع للناس طرق العبادة بفعله ووصفه وتقريره فلم يكن في تشريعه ﷺ عناء أو مشقة لأمتة الإسلامية.

ويضيف الدكتور/ محمد عبدالغني في كتابه تاريخ مكة القديم والحديث أن المسجد الموجود في ذي طوى قد أزيل بسبب توسعة الشارع أما البئر فما زالت موجودة بجروول مقابل مستشفى الولادة خلف عمارة الجفري المبنية حديثاً وتعرف البئر ببئر ذي طوى^(١).

أما علماء الحديث فبدورهم قد أكدوا بما لا يجعل مجالاً للشك بأن البئر موجودة وأن رسول الله ﷺ كان لا يقدم إلى مكة من المدينة حتى يأتي ذي طوى فيبات فيها ليرتاح من عناء السفر حتى يصبح فيغتسل ثم يدخل مكة نهراً فقد روى البخاري من حديث حماد بن زيد عن أيوب به ولهما من طريق أخرى عن أيوب عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه إنه قال: (كان

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١٤٠



وَسَيُخَافُ رَبَّهُ يَوْمَ الْحَسَابِ إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحَرَمِ أَمْسَكَ عَنْ التَّلْبِيَةِ ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طَوًى^(١).

وكغيره من معالم مكة ومشاعرها المقدسة فإن لهذا المكان الطيب الطاهر آيات بينات هي دليل واضح على قدسيته ومكانته الدينية ومن ذلك ما ذكره المؤرخ المكي وأحد قادة التعليم في الحرم المكي أبان القرن التاسع الهجري العلامة أبي الوليد الأزرقى أن قوماً انتهوا إلى ذي طوى ونزلوا بها فإذا بضبي قد دنا منهم فأخذ حدث منهم بقائمة من قوائمه فقال له أصحابه ويحك أرسله فكان يضحك ويأبى أن يرسله ثم أرسله فقتله، ثم ناموا في القايله فانتبه بعضهم فإذا بحية منطوية على بطن الحدث الذي رمى الضبي فقال له أصحابه ويحك لا تتحرك وانظر ما على بطنك فلم تنزل الحية عنه حتى كان من الحدث مثل ما كان من الضبي^(٢).

ويضيف العلامة أبي الوليد الأزرقى رواية أخرى نقلها عن الأمام مجاهد رحمه الله تحدث فيها عن فضل وقدسية ذي طوى وهي مشابهه للرواية السابقة ومؤكده لفضل المكان بعض قال فيها: (دخل قوم مكة تجاراً من الشام في الجاهلية بعد قصي بن كلاب فنزلوا بذى طوى تحت سمرات يستظلون بها فأختبزوا لهم خبزاً ولم يكن معهم آدم فقام رجل منهم إلى قوسه فوضع عليها سهماً ثم رمى بها ضبيه من ضباء الحرم وهي

(١) ابن كثير / البداية والنهاية ج ٥ ص ١٣٥ وأنظر صحيح البخاري / كتاب الحج، باب

الاعتسال عند دخول مكة ١٥٧٣ ص ٥٠٢

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٤٦



حولهم ترعى فقاموا بسلخها وطبخا لحمها ليتأدموا به فبينما قدرهم على
النار يغلي بلحمه وبعضهم يشتوى إذ خرجت من تحت القدر عنق نار
عظيمة فأحرقت القوم جميعاً ولم تحرق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السمرات
اللاتي كانوا تحتها مما يدل على عظم المكان وحرمة عند الله^(١) فالدعاء بإذن
الله فيه مستجاب.



(١) نفس المصدر ونفس الصفحة

مسجد الخيف

(مسجد الخيف) هو أحد العالم التاريخية البارزة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ويقراً عند أهل اللغة بفتح الحاء وسكون الياء يقع هذا المسجد المبارك على سفح جبل بمشعر منى الجنوبي القريب من الجمرة الصغرى^(١).

أما عن سبب تسميته بالخيف فقد اختلف العلماء في ذلك فالعلماء من الرحالة يقولون أنه سمي بذلك نسبة إلى ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء في أقل من الوسط مما يلي مكة المكرمة^(٢) فموقعة بالنسبة لهم يعد منحدرًا مائياً مخيفاً أما علماء السيرة والمغازي فأرجعوا تسميته بذلك نسبة إلى خيف بني كنانة الذي تحالفت فيه قبيلة كنانة مع قبيلة قريش ضد بني هاشم في بداية الدعوة الإسلامية نظراً لمساعدتهم لمحمد ﷺ على أن لا يناكحهم ولا يوارثوهم ثم أخرجهم إلى أحد شعاب مكة.. إلا أبا لهب فانه لم يخرج من مكة ولم يدخل الشعب مع بقية بني هاشم وكانت قريش قد تركته لما تعلمه عنه من عداوته للنبي ﷺ وأما بقية بني هاشم فكانوا جميعاً يحمون النبي ﷺ مسلمهم وكافرهم من عداوة قريش إلا أبا لهب^(٣).

(١) فيصل السلمي / جريدة مكة / العدد ٢٠٠ / السنة الأولى / الأحد ١٤ شوال

١٤٣٥هـ

(٢) الأصبخري / مصدر سابق ص ٢١

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٢

ومما روي عن رسول الله ﷺ في هذا الخيف أنه قال للصحابه رضوان الله عليهم قبل فتح مكة: (إذا قدمنا مكة إن شاء الله تعالى نزلنا بالخيف الذي تحالفوا فيه علينا!).

قال ابن جريج: قلت لعثمان وأي حلف؟ قال: الأحزاب.
ثم بنى المسلمون فيه مسجداً بعد أن تم لهم فتح مكة في السنة التاسعة من الهجرة يصلي فيه الحجاج مدة بقائهم في منى أيام التشريق.
وترجع أهمية هذا المسجد الدينية إلى أن النبي ﷺ صلى فيه في حجة الوداع ومعه نفر من الصحابة رضوان الله عليهم ووصفه بأنه قد صلى في مكانه وموضعه سبعين نبياً قبلاً ومنهم موسى عليه السلام.

روى عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال: (كنت مع النبي ﷺ في مسجد الخيف، حين جاءه رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقفى فسلما عليه ودعوا له ثم سألاه عن دينهما فأجابهما عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم^(١)).
وذكر بعض المكيين بأن مصلى النبي ﷺ كان في موضع لدى الأحجار بين يدي المنارة بالقرب من شجرة عند عيشومه خضراء وسمي هذا الموقع فيما بعد بمسجد العيشومة^(٢).

ومما ورد من الأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح الدالة على

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / المعجم الكبير / دار أحياء التراث / بيروت الطبعة

الأولى جـ ١٢ ص ٢١٩

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٩٨ (تاريخ مكة)

قول النبي ﷺ: (صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى عليه السلام)^(١) وكأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان وهو محرم على بعير من إبل شنوءه مخطوم بخطام أبيض له ضفirtان) وروي في مسند البزار من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: ((في مسجد الخيف قبر سبعون نبياً)) وإسناده رجال ثقات أضاف عبدالله بن عباس رضي الله عنه ما قوله: (صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً كلهم يحطمون بالليف (يعني رواحلهم) وقال مجاهد رحمه الله: (حج خمسة وسبعون نبياً كلهم قد طاف بالبيت وصلى في موضع مسجد الخيف.. فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة فيه فأفعل)^(٢).

روى عن ابن جريج رحمه الله عن الإمام عطاء بن رباح رحمه الله أنه قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: (لو كنت أحداً من أهل مكة ما أتى عليّ سبت حتى أتى مسجد الخيف فأصلي فيه ركعتين)^(٣).

ويمثل مسجد الخيف اليوم أحد المساجد التاريخية المشهورة في الإسلام علامة بارزة في مشعر منى يصلي فيه الحجاج طيلة مدة بقائهم في منى أيام

(١) انظر السلسلة الصحيحة من حديث الألباني ص ٣٧/٥ وأنظر المعجم الكبير الطبراني /

سند ابن عمر ١٣٥٢٥ ج ١٢ ص ٢٧٧

(٢) الازرقعي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٢

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٣٨

التشريق، ونظراً لكثرة عدد المصلين وتزايدهم فيه وكغيره من بقية المعالم في المشاعر المقدسة فقد نال اهتمام وعناية خلفاء وسلطين المسلمين على مر التاريخ ولا يزال هذا المسجد إلى اليوم يلقي رعاية واهتماماً واضحاً من لدن حكام المملكة العربية السعودية خدام المشاعر خاصة وأنه يتوسط مشعر منى فتمت توسعته وإعادة إعماره في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م أثناء التوسعة السعودية الثانية وبتكلفه إجمالية قدرت بتسعين مليون ريال حيث تم في هذه العمارة بناء أربع منائر على الطراز الحديث، وزود المسجد في هذه التوسعة بأربعمئة وعشرة وحدات تكييف وألف ومئة مروحة هواء، كما تم أنشأ مجمع خاص لدورات المياه يقع خلف المسجد مباشرة في مبنى مستقل يضم أكثر من ألف دورة مياه وثلاثة آلاف صنبور للوضوء.

والمسجد اليوم بموقعه الحالي وبعمارته السعودية الحديثة يعد معلماً حضارياً بارزاً في مشعر منى يرتاده الحجاج كل سنة وبكثافة عالية نظراً لما ورد فيه من فضل على لسان النبي محمد ﷺ وسلفه الصالح وما جاء في الآثار عن الأنبياء من قبلة.



مسجد التنعيم

(مسجد التنعيم) معلم حضاري وديني بارز من معالم مكة المكرمة يقع في غربي مكة بحي التنعيم، ويبعد عن المسجد الحرام نحو سبعة كيلو مترات تقريباً فهو ليس من الحرم بل الحرم دونه^(١) ويسمى أيضاً مسجد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ومسجد العمرة وخلافاً لكونه معلماً حضارياً فإنه يعد أيضاً ميقاتاً لأهل مكة^(٢) بل إن بعض العلماء ومنهم الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله قد عدوه من أفضل المواقيت لأهل مكة بعد الجعرانة^(٣) فمن هذا المسجد يحرم أهل مكة للعمرة اقتداءً بهدي النبي ﷺ في ذلك أما عن سبب تسميته بـ (التنعيم) فيعود ذلك ؛ لأن الجبل الذي عن يمين الداخل إليه يقال له نعيم الحرم والذي على اليسار يقال له ناعم^(٤) والوادي الذي فيه المسجد يسمى نعيماً^(٥).

وتعود أهمية مسجد التنعيم الدينية إلى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أحرمت منه في حجتها مع رسول الله ﷺ بعد أن وجهها رسول الله ﷺ عندما حاضت في الحج وتلك قصة مشهورة.

(١) الأصبخري / مصدر سابق ص ٢٢

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٨

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٠٦ (تاريخ مكة)

(٤) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٣١

(٥) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٧٨

ففي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها حاضت فنسكت المناسك كلها غير أنها لم تطف بالبيت ! قال: فلما طهرت وطافت قالت يا رسول الله تنطلقون بعمره وحجة، وانطلق بالحج فأمر عبدالرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج من شهر ذي الحجة^(١).

وعن حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنها عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال لعبدالرحمن: (أردف أختك يعني عائشة رضي الله عنها فأعمرها من التنعيم فإذا أهبطت بها الاكمة فمرها فلتحرم فأنها عمره متقبلة)^(٢).

وإضافة إلى كون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد اعتمرت منه فقد اعتمر منه أيضاً ابن أختها الصحابي الجليل عبدالله الزبير رضي الله عنه فقد روى عن الحجاج بن زياد رحمه الله أنه رأى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه عند (فيه جمانه) ومعه أربعة نفر أو خمسة من الأحراس قال الزنجي: فسألت الحجاج - أتابع - فأخبرني قال: رأيت ابن الزبير يصلي في المسجد من وراء فيه جمانه فاعتمروا منها^(٣).

ولما للمسجد من أهمية دينية وتاريخية فقد أعيد بنائه في عهد خادم

(١) صحيح البخاري / مصدر سابق ص ١٣٩ (كتاب الحج / العمرة) ١٧٨٥ ص ٥٤٠

(٢) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٨

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٠٩

الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله ١٤٠٧ هـ بعد أن أمر يرحمه الله بإعادة أعمار جميع المساجد التاريخية في الحرمين الشريفين على مساحة قدرت ٢,٨٤,٠٠٠ م^٢ تشمل المرافق التابعة له من دورات مياه وحمامات ومواقف سيارات ومضلات وسكن للأئمة والمؤذنين وساحات إضافية تستغل وقت الذروة بتكلفة أجمالية تقدر بـ ١٠٠ مليون ريال وأما مساحة المسجد الفعلية فهي ٦٠٠ م^٢ ويستوعب نحو ١٥٠٠٠ مصلى^(١) في وقت واحد و المسجد اليوم لا يكاد يخلو ساعة واحدة من زائر أو معتمر أو مصلى أعز الله حكومة خادم الحرمين الشريفين على ما بذلته من جهد وما تبذله من جهود لا عدّها ولا حصر من أجل أعمار بيوت الله في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة من أجل تجهيزها لقاصديها من زوار الحرمين الشريفين حجاجاً كانوا أو معتمرين.



مسجد البيعة

يقع مسجد البيعة في مشعر منى، وتحديدًا في أسفله ويبعد عن جمرة العقبة بحوالي ٣٠٠ متر إلى ٥٠٠ متر يمين الجسر^(١) يقبع بين تلال من مباني وجسور الجمرات العملاقة ليبدو للناظر بلونه الطيني الفاتح وبعمارته العثمانية واضحًا للعيان في مشعر منى وبالقرب منه على سطح جبل ثبير الشهير تقف لوحة إرشادية تشير إلى بداية حدود المشعر الحرام^(٢).

وتعود أهمية مسجد البيعة التاريخية والدينية إلى بداية الدعوة الإسلامية حين كان النبي ﷺ يتوارى فيه عن أنظار كفار قريش أثناء دعوته للناس للدخول في الإسلام منتهزاً فترة موسم الحج حيث يكثر الحجاج من كل بقاع الأرض فالواقع كان متوارياً عن الأنظار ويعد مثاليًا كي يستقبل فيه الوفود التي ترغب في الدخول إلى الإسلام وليوجه عليهم تعاليم الدين الجديد وفي ذات المكان المبارك جاء الله للنبي ﷺ بقوم يؤمنون بدعوته وينصرونه ويؤازرونه في وقت عصيب كان النبي الجديد في أمس الحاجة لعونهم ونصرتهم لتستقيم دعوته فتبلغ آفاق الأرض ألا وهم قبيلتي

(١) عبدالرحمن حويت / جريدة مكة / الثلاثاء ١٤ ذو الحجة سنة ١٤٣٥ هـ العدد ٢٤٠ السنة

الأولى

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٦

الأوس والخزرج من يثرب (المدينة المنورة) ^(١).

ذكر علماء السيرة والمغازي أنه وفي الثاني عشر من البعثة استقبل النبي ﷺ في هذا المكان وفداً من اثني عشر رجلاً يمثلون قبائل الأوس والخزرج قدموا من يثرب للاستماع لتعاليم الدين الجديد حيث عقدت بيعة العقبة الأولى ^(٢) وفيها تمت مبايعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن لا تأخذهم في الله لومة لائم وعلى نصرته إذا قدم إليهم يثرب فيمنعون عنه ما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم وأزواجهم ^(٣).

وفي السنة التالية عقدت بيعة العقبة الثانية تأكيداً وإصراراً من أهل يثرب على جديتهم بحضور ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان من الأنصار واعتبر المؤرخون هذه المعاهدة أو البيعة هي النواة الأولى لإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فيما بعد.

وطيلة العهد الإسلامي الأول وعهد الراشدين ثم في عصر الدولة الأموية بقي هذا الموقع الأثري والتاريخي على حالته دون إعمار حتى جاء الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله في ١٣٧ هـ ليأمر بتشييد مسجد البيعة لأول مره في التاريخ تخليداً لذكرها العطرة وتكريماً لجدهم

(١) عبدالرحمن حويت / مرجع سابق نفسة الصفحة

(٢) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٣١ (روضة الأنوار)

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة

الأعلى العباس بن عبدالمطلب رحمه الله عم النبي ﷺ الذي كان حاضراً مع رسول الله ﷺ وقت البيعة مطمئناً بنفسه على أنهم سوف يساعدونه ويحمونه كما يحمون أبنائهم وزوجاتهم وأنفسهم^(١) ليضل مسجد البيعة شائخاً طيلة السنوات الماضية حتى تمت عمارته في العهد العثماني.

ويبدو (مسجد البيعة) اليوم في حال حسن من ظاهره يميل بناء جدار محرابه قليلاً إلى اليسار نحو الجنوب الغربي في اتجاه القبلة وتبلغ مساحته الإجمالية ٥٠٠ متر مربع تقريباً.

وللمسجد باب واحد فقط يقع في الطرف الغربي من الجدار الشمالي وهو غير مستقوف فيما تم تزيين المسجد ببعض العقود لتفتح على صحن المسجد المستقوف ويحيط بالمسجد سور حديدي وضع على قاعدة اسمنتية وللسور باب من الحديد^(٢) وقد أجريت للمسجد في العهد السعودي الحديث بعض الصيانة للبنية التحتية من أجل تصريف المياه، ولحمايته في حال سقوط الأمطار وجريان السيول كما تم في هذه العمارة إحاطته بسور من حديد.

وحتى اليوم يبقى (مسجد البيعة) معلماً مهماً وشاهداً من شواهد المعاهدات التاريخية في مكة المكرمة و المشاعر المقدسة التي كان لها أكبر

(١) الأزرقى / مرجع سابق ص ٢٠٦

(٢) عمر المضواحي / جريدة مكة / العدد ٥٢ السنة الأولى ٤ جماد الأولى سنة ١٤٣٥ هـ

الأثر في قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة^(١) وليعتبره المؤرخين رمزاً
باقياً من رموز التاريخ الإسلامي المضيء.



مسجد نمرة

جاء في كتب اللغة أن كلمة (نمره) تنطق بفتح النون وكسر الميم^(١) وهي اسم لجبل يقع في عرفة^(٢) ونمره كفرحه تعني النقطة الصغيرة من السحاب، والنمرة أيضاً هي البردة من صوف يلبسها الأعراب^(٣) في البادية.

و(مسجد نمرة) المنسوب إلى الجبل يقع إلى الغرب من مشعر عرفات من جهة وادي عرنه^(٤) ليشكل علامة فارقة في جبين مشعر عرفات فمن الممكن الاستدلال عليه من كل أطراف عرفات الغربية.

وقد اتفق العلماء على أن مسجد نمرة بموقعة الحالي هو من الحرم المكي بديل ما رواه الإمام سفيان بن عيينه رحمه الله [كانت قريشاً لا تخرج من الحرم في يوم عرفه ويقفون بنمره دون عرفه في الحرم] وذكر ذلك الماوردي في حاوية والمحجب الطبري في القرى^(٥).

وتعود أهمية المسجد التاريخية والدينية إلى أن النبي ﷺ نزل يوم عرفه في حجة الوداع في ذات الموقع المقام عليه المسجد ثم صلى صلاة الظهر

(١) النوي / مصدر سابق ص ١٧٧

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٢٦

(٣) الرازي / مصدر سابق ص ٤٩٥

(٤) الأصطخرى / مرجع سابق ص ٢٢٠

(٥) الفاسي / مصدر سابق ج ٥ ص ٥٣٦

والعصر جمعا وقصرا^(١) وفي ذات المكان خطب خطبة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة النبوية^(٢) ومنذ ذلك الوقت وهذا المكان المبارك يشهد خطبة الحج في يوم عرفه من كل عام لهدي النبي ﷺ.

روى عن ابن جريج رحمه الله أنه قال: سألت عطاء أين كان النبي ﷺ ينزل يوم عرفه ؟

قال: في نمرة ! ؟ حيث منزل الخلفاء إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفه يلقي عليها ثوباً يستظل به ﷺ^(٣).

وذكر بعض المكيين أن أول من شيد مسجد نمرة في هذا الموضع المبارك هو الخليفة العباسي محمد المهدي في منتصف القرن الثاني الهجري.

ثم حظى المسجد بعد ذلك باهتمام الخلفاء والسلاطين لعمارتها وتجديده فقد قيل أن الجواد الأصفهاني رمم وعمره في سنة ٥٥٩هـ ثم عمر بعد ذلك في عهد المماليك سنة ٨٤٣هـ بأمر من السلطان سيف الدين قطز.

ثم عمر أيضاً في عهد السلطان المملوكي قايتباي سنة ٨٨٤هـ وقيل أنها كانت العمارة الأفخم والأكثر جمالاً واتقاناً للمسجد.

ثم جدد المسجد كذلك في العهد العثماني إبان حكم السلطان عبد الحميد

(١) فيصل السلمي / جريدة مكة / العدد ٢١٠ / السنة الأولى / الأحد ٤ شوال سنة ١٤٣٥هـ

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٥٤ (تاريخ مكة)

(٣) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ١٩٤

الأول في سنة ١٢٧٢هـ^(١).

ويعتبر مسجد نمرة اليوم هو ثاني أكبر وأهم المساجد في مكة المكرمة والمشاعر والمقدسة بعد المسجد الحرام وربما هو رابع أكبر مساجد العالم الإسلامي^(٢) لأنه يصلي فيه معظم الحجاج يوم عرفة فيجتمع فيه خلق كثير ولذلك كان مسجد نمرة ثاني أكثر الأماكن عناية ورعاية طيلة الأزمنة الماضية.

وفي العهد السعودي شهد مسجد نمرة أكبر توسعة له في التاريخ الإسلامي على الإطلاق قامت بها حكومة خادم الحرمين الشريفين إيماناً منها بأهمية الموقع للناس قاطبة رغم أنه لا يعمر بالحجاج إلا مرة واحدة في السنة ومع ذلك فقد انفتحت في توسعته وعمارته ما يقارب ٢٣٧ مليون ريال تقريباً ليصبح طوله من الشرق إلى الغرب ٣٤٠ متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٢٤٠ متراً، وبمساحة إجمالية تقدر بأكثر من ١١٠ آلاف متراً مربعاً تقريباً كما أقيم بعد ذلك في خلف المسجد مساحة مظلة تقدر بحوالي ٨٠٠٠ متراً مربعاً، وبهذه المساحة أصبح المسجد يستوعب لنحو ٤٠٠ ألف مصلي، وفي هذه التوسعة المباركة عمل للمسجد ست مآذن بارتفاع قدره ٦٠ متراً كما أقيم على سطحه ثلاث قباب وعمل للمسجد أيضاً مداخل

(١) عمر المضواحي / جريدة مكة / العدد ٢٤٠ / السنة الأولى الأربعة ٥ ربيع الأول

١٤٣٥هـ

(٢) عمر المضواحي / مرجع سابق ونفس الصفحة

رئيسية تحتوي على ٤٦ باباً صغيراً تسمح بمرور أكبر عدد من الحجاج في وقت واحد وزود المسجد بـ ٦٦٣ وحدة تكييف كما أقيمت في خلف المسجد أكثر من ألف دورة مياه و ١٥ ألف صنوبر للوضوء تحتوي على خزانين علويين للمياه سعة كل منهما ٤٥٠٠ متر مكعب^(١) وتم تزويد المسجد بغرفة للإذاعة الخارجية مجهزة لنقل خطبة يوم عرفة وصلاتي الظهر والعصر من كل سنة مباشرة بواسطة الأقمار الصناعية إلى كافة بلدان العالم العربي والإسلامي.



(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١١٨

مسجد الجن

مسجد الجن هو أحد المعالم الأثرية البارزة في مكة المكرمة يقع في طرف جبل الحجون المعروف بأعلى مكة عند شعب يسمى شعب أبي دب^(١) وتحديدًا بين الشارع المؤدي إلى مقبرة المعلاة وبين شارع المعلاة. وتعود تسميته (بمسجد الجن) نسبة إلى ذات المكان والموقع الذي خط فيه رسول الله ﷺ خطأً في الأرض لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه خوفاً عليه من الجن^(٢) ليلة استمع ﷺ من الجن^(٣) عن تساؤلاتهم حول الدين الجديد وتعاليمه التي من الممكن أن يتبعوها في حالة استطاع النبي ﷺ اقناعهم بها فليلتها بات النبي ﷺ يحيب على استئلتهم حتى قبل طلوع الفجر بقليل وفي تلك الليلة نزلت سورة الجن على ما ذكره علماء التفسير. فعن ابن عثمان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة صلاة العشاء ثم أنصرف وأخذ بيد عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فخرج به حتى أتى أبطح مكة فأجلسه ثم خط أمامه خطأً وقال له: لا تبرح ويحك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فأنهم لن يكلمونك ثم انطلق رسول الله ﷺ حتى لم أره.. فبينما أنا كذلك فإذا

(١) أبو دب: رجل من بني سودة بن عامر بن صعصعة انظر معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) فيصل السلمي / جريدة مكة / العدد ٢١٠ الأحد ١٤ شوال سنة ١٤٣٥ هـ (مقال خاص)

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٠١.

برجال كأنهم الزط^(١) شعورهم تغطي أجسامهم لا أرى منها عورة ولا أرى بشراً فجعلوا ينتهون إلى الخط فلا يجاوزونه ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل جاء رسول ﷺ وأنا في خطي!! فقال لي ﷺ: لقد آذاني هؤلاء النفر الليلة^(٢) ثم دخل ﷺ في الخط فتوسد فخذي ثم رقد ﷺ وكان ﷺ إذا نام نفخ فذكر حديث فيه طول^(٣).

وزاد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في رواية أخرى له أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة من أحب منكم أن يحضر معي أمر الجن فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطأ ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما عدت أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ثم بقي منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ منهم مع بزوغ الفجر فانطلق فتبرز ثم أتاني فقال ما فعل الرهط؟ فقلت هم أولئك يا رسول الله ﷺ قال ابن مسعود: فأعطاهم

(١) الزط/ جنس من السودان أو الهنود والواحد منهم يسمى (زطي) أثارو الفتنة في عهد الدولة العباسية.

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٠٧ (تاريخ مكة).

(٣) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٩٦ وجامع الترمذي ص ٤٨٦٠ وصحيح مسلم ١٠٠٧ ص ٢٢١.

عظماً وروثاً زاداً ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم^(١).

(ومسجد الجن) اليوم من المساجد المشهورة في مكة المكرمة قرب الحجون يعرفه الناس بهذا الاسم ويعرف لدى المكين أيضاً (بمسجد الحرس) نسبة إلى رئيس الحرس في حكومة أشرف مكة حيث كان من عادته أنه إذا طاف بمكة لتفقد أحوالها ووصل عند هذا المسجد وقف عنده ولم يتجاوزه حتى يجتمع عنده عرفاؤه وحرسه الذين يأتونه من شعب بني عامر ومن ثنية المدينة ثم يرجعون جميعاً منحدرين إلى داخل مكة^(٢) إلا أن مسجد الجن هو الاسم الذي اشتهر به عند غالبية المكين تحليداً لذكرى النبي ﷺ مع هؤلاء النفر من الجن.

وكبقية المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة ومشاعرها المقدسة فقد أهتم الموسرين بعمارتها وترميمه عبر الأزمنة المتعاقبة حتى كان آخر بناء له أقيم في سنة ١٤٢١هـ على الطراز الحديث في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله والمسجد اليوم خاضع لوزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية حيث أوكل لها أمر رعايته وصيانته بعد أن خصصت له من يقوم بالأذان والإمامة فيه في أوقات الصلوات المفروضة حسب ما هو سائد في المساجد الأخرى التابعة للوزارة.

(١) محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ص ١٣٣

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٢

مسجد الشجرة

(مسجد الشجرة) هو أيضاً أحد المساجد المعروفة بتاريخها الديني المجيد يقع بحذاء مسجد الجن في أعلى مكة بالحجون قبل جسر المشاة على يسار الصاعد إلى المعلاه.

ومسجد الجن ومسجد الشجرة ارتبطا معاً بحدث تاريخي وديني واحد ولذلك فهما قريبان من بعضهما في الموقع والمكان.

وتعود أهمية (مسجد الشجرة) الدينية إلى أنه مسجد بني في موضع الشجرة (النخلة) التي خاطبها النبي ﷺ وأمرها بالقدوم إليه وهو يخاطب الجن بعد طلبهم إحضار آية أو معجزة على صدق نبوته وكلامه فقالوا له أدع شجره ؟ فأقبلت إليه تخط بأصلها وعروقها الأرض حتى وقفت بين يديه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد سؤالها عما يريدہ ﷺ أمرها بالعودة إلى مكانها فرجعت حتى انتهت إلى موضعها الذي هو اليوم موضع مسجد الشجرة^(١) أقيم فيه المسجد تخليداً لذكرى هذه المعجزة النبوية العظيمة.

وفي ذلك يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان بالحجون مكتتب حزين خاصة بعد إيذاء الجن له لتعجيزه وأثبت

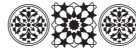
(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٢ وانظر صحيح مسلم / كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح / القراءة على الجن / رقم الحديث ١٠٠٧ ص ٢٢١ وانظر صحيح البخاري / كتاب مناقب الأنصار / باب ذكر الجن ٣٨٥٩ ص ٩٦٩.

عدم نبوته فقام ﷺ ودعى الله تعالى وقال: (اللهم أرني اليوم آية فلا أبالي بمن كذبنى بعدها من قومي) فإذا شجرة قبل عقبة المدينة فنادها فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت وقال آخرون بأن من طلب المعجزة هم أهل قريش وليس الجن بدليل ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان بالحجون فرد عليه المشركون فقال: (اللهم أرني آية اليوم لا أبالي من كذبنى بعدها فأني فقيل: أدع شجرة؟! فأقبلت تخط الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت إلى موضعها فقال رسول الله ﷺ (لا أبالي من كذبي بعدها من قومي) والحقيقة الواضحة للجميع أن الشجرة تلك كانت معجزة خالده من معجزات النبي ﷺ سواء طلبها البشر أم هم الجن لتبقى ذكرها قائمة عبر العصور ممثلة في ما سمي بعد ذلك بمسجد الشجرة والذي ما يزال قائماً يتعبد فيه إلى يوم القيامة.

يضيف الدكتور محمد الياس عبدالغني وهو أحد علماء ومؤرخي مكة المشهورين في كتابه تاريخ مكة المكرمة قديماً حديثاً بأن المسجد الذي أقيم في موضع الشجرة تلك جدد في سنة ١٤٢١ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله على غرار عمارة مسجد الجن ليؤكدوا معاً للناس كافة بأن هنا قامت حضارة إسلامية خالدة^(١).

(١) د/ محمد إلياس عبدالغني / مرجع سابق ص ١٣٥

فأين وزارة السياحة بالمملكة العربية السعودية من كل تلك المعالم والآثار الخالدة والتي تشكل للناس آيات بينات يتعص بها ويزداد إيمان كل من زارها من زوار هذا البلد المقدس خاصة عندما يقرأ حكايتها مع النبي ﷺ فلا عجب أن يكون هذين الأثرين الخالدين منسيين لا يعلم بهما إلا قلة من المكيين وبعض المختصين من علماء السيرة والمغازي.



مسجد الجعرانة

كلمة (الجعرانة) تنطق عند أهل اللغة بكسر الجيم وإسكان العين مع تخفيف الراء^(١) وأما عند أهل الحديث فنسمعهم يشددون راءها وكلاهما صحيح^(٢) ووردت الجعرانة أيضاً بالتخفيف عند أهل الأدب.

والجعرانة كانت قديماً عبارة عن قرية من قرى مكة تقع في شوالها الشرقي عند وادي سرف على طريق الطائف^(٣) وهي قرية تتميز بأن مائها يضرب به المثل لعذوبته وتبعد عن الحرم المكي بخمسة وعشرين كيلومتراً تقريباً^(٤) ويتوسط القرية مسجد صغير بناه رجل من قريش^(٥).

وأما عن سبب تسميتها مع المسجد بالجعرانه فنسبه إلى امرأة من قريش يقال لها (رائطة)^(٦) بنت سعد بن زيد بن مناة ولقبها الجعرانه وهي أم لأسد بن العزي وهي المعنية^(٧) بقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ

(١) النووي / مصدر سابق ص ٥٨

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٠٥ (تاريخ مكة)

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٤١

(٤) النووي / مصدر سابق ج ٢ ص ٥٨

(٥) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٣

(٦) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٧

(٧) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٢

غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴿١﴾.

يقول عنها العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره: أنها امرأة كانت تغزل فإذا أبرمت غزلها نقضته^(٢) فكانت تتعب على الغزل وتتعب على النقض ولم تستفد سوى الخيبة وسفاهة العقل ونقص الرأي^(٣) أما ما جاء في أهمية المسجد التاريخية والدينية فيعود كذلك إلى أن النبي ﷺ كان قد محض أرضه التي أقيم عليها بيده المباركة على محبس الماء الموجود فيه بعد نزوله فيها للإحرام بالعمرة حتى انبعث الماء من تلقاء نفسه فشرّب منه الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

ولقرية الجعرانة قصة أخرى أيضاً مع رسول الله ﷺ فبعد غزوة الطائف في السنة التاسعة من الهجرة النبوية أمر رسول الله ﷺ بترك الغنائم التي كسبها من الطائف فيها لحفظها حتى يعود أصحابها إلى الحق ويرجعوا عن عبادة الأوثان وكانت نحو أربعة وعشرون ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاه، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستمئة ألف سبي وكان ﷺ قد أمن عليها^(٤) الصحابي الجليل مسعود بن عمرو القفاري رضي الله عنه ولما عاد النبي ﷺ بجيشه من عمرته مكث في الجعرانة بضعة عشر يوماً لا

(١) سورة النحل آية ٩٢

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٠

(٣) عبدالرحمن السعدي / مرجع سابق ص ٤٢٢

(٤) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٣٠٧ (روضة الأنوار)

يقسم الغنائم يبتغي بذلك عودة هوازن تائبين ليحرزوا أموالهم وسباياهم
فما جاء منهم أحد فأخرج ﷺ الخمس من تلك الغنائم أو الفيء وأعطاهما
لأناس ضعفاء حديثو الإسلام لتأليفهم وتحبيبهم في الإسلام وأناس لم
يسلموا بعد ليدعوهم إلى الإسلام وشاع بين الناس أن محمداً ﷺ يعطي
عطاء في الجعرانه لمن يخاف عليه من الفقر فازدحم الأعراب عنده من كل
مكان يطلبون منه الأرزاق حتى الجأوه ﷺ إلى شجرة هناك فتعلق رداءه
من شدة الزحام فقال ﷺ (ردوا علي ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان
لي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما الفيتموني بخيلاً ولا جباناً
ولا كذاباً ثم أخذ وبره من سنام بعير وقال: (والله مالي من فيئكم ولا
هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط، فإن
المغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة فرد الناس ما كانوا
أخذوه من الغنيمة^(١)).

يضيف العلامة والمؤرخ المكي أبي الطيب الفاسي رحمه الله في شفاء
الغرام بأخبار البلد الحرام :

إن الرسول ﷺ أحرم يومئذ من تلك البقعة المباركة حيث المسجد
القديم المسمى بمسجد الجعرانه تحت الوادي في العدو القصوى من
الجعرانه حيث الحجارة المنصوبة وراء الوادي وكان المسجد قد أقيم على

(١) صحيح مسلم / كتاب الزكاة / باب أعطاء المؤلفات قلوبهم على الإسلام ٢٤٣٦ ص ٤٢٨

أكمة هناك بناه رجل من قريش^(١) وكان إحرامه ﷺ ليلة الأربعاء لأثني عشر ليلة بقيت من ذي القعدة وكان أن أنتهى إلى الجعرانه ليلة الخميس لخمس ليالٍ خلون من ذي القعدة حيث أقام بها ثلاث عشرة ليلة^(٢).

يقول الزنجي أن ابن جريج رحمه الله قال: أخبرني زياد بن محمد بن طارق أنه أعتمر مع الإمام مجاهد رحمه الله من الجعرانه وأحرم من وراء الوادي فقال له: (من هاهنا أحرم النبي ﷺ)^(٣).

ويعتبر مسجد الجعرانه اليوم من أفضل المواقيت المكانية قبل التنعيم للعمرة لأهل مكة لأن النبي ﷺ أحرم منها على رأي الامام مالك بن أنس والشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيرهم من العلماء^(٤).

يقول عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان قد: (أعتمر أربع مرات: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والعمرة الثالثة من الجعرانه، والعمرة الرابعة من ذي الحليفة وكانت في زمن حجته ﷺ)^(٥).

ولكون الجعرانه من أهم مواقيت العمرة لأهل مكة بل وأفضلها على

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٣

(٢) نفس المصدر ص ٥٤٦

(٣) ياقوت الحموي / مصدر سابق ج ٢ ص ١٠٥

(٤) المبارك فوري / مرجع سابق ص ١٠٦ (تاريخ مكة)

(٥) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٨

رأي بعض العلماء كما ذكرت آنفاً فقد أمر خادم الحرمين الشريفين بأعمار مسجدها القديم على الطراز الحديث في سنة ١٤٢١ هـ بتكلفه أجمالية تقدر بمليون ريال وكانت هذه العمارة على مساحة قدرت بأربعمئة وثلاثين متراً مربعاً وليستوعب نحو ألف مصل^(١) في وقت واحد وتشتمل هذه العمارة على جميع الخدمات الإنسانية والبنية التحتية التي تسهل للمعتمرين إحرامهم بأسهل وأفضل الطرق جزئاً الله خدام الحرمين الشريفين خير الجزاء على ما يولونه من رعاية واهتمام ببيوت الله تعالى في هذه المشاعر المقدسة.



مسجد الإجابة

(مسجد الإجابة) هو واحد من أقدم المساجد الأثرية والدينية والتاريخية بمكة المكرمة، ويقع المسجد على يسار الذهاب إلى منى عند مدخل شعب آل قنفذ أو مشعب اللثام كما يسميه أهل مكة ليس ببعيد عن ثنية أذاخر^(١) يقابله جبل زرود المشرف على البياضية، والذي يفصل بين مبنى شرطة العاصمة المقدسة، ومسجد الملك عبد العزيز المقابل لمسجد الإجابة من جهة الجنوب ويعرف الشعب الذي يقع فيه المسجد اليوم بشعب النور أو بحي البطحاء ويطلق عليه أيضاً خيف بني كنانة أو المحصب ويسمى كذلك بـ (المعبدة) وهو الاسم المشهورة لدى المكيين.

وتعود أهمية المسجد التاريخية والدينية إلى أن الرسول ﷺ صلى فيه صلاة المغرب بعد أن من الله عليه بفتح مكة في السنة التاسعة من الهجرة النبوية وذلك سمي وكان يبيت فيه ﷺ تلك الليالي - بأبي هو وأمي - لأنه كان قد باع منزله في مكة قبل هجرته إلى المدينة المنورة من عقيل بن أبي طالب فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال «قلت يا رسول الله أين تنزل غداً؟ قال: و هل ترك لنا عقيلاً منزلاً؟ نحن نازلون بخيف بني كنانة، حيث تقاسمت قريش على الكفر يعني المحصب وذلك أن قريشاً حالفت

كنانة على بني هاشم إلا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يشترون منهم ولا يؤوهم.. وقد مر معنا خبر ذلك الحلف^(١) عند حديثنا عن مسجد الخيف. ويذكر بعض المؤرخين أن أول من بنى المسجد وعمره هو عبد الله بن محمد عمره سنة ٧٢٠هـ بطول قدره ثمانية عشر ذراعاً أي تسعة أمتار تقريباً من المحراب إلى الجدار المقابل له. وجعل به حجراً مكتوب عليه (مسجد الإجابة) وكان أهل مكة يقصدون المسجد بالزيارة بكرة كل يوم سبت من شهر ذي القعدة في كل عام^(٢).

ويذكر المؤرخ المكي الصباغ في كتابه تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام) وهو من مؤرخي القرن الثالث عشر الهجري والمشهورين بمكة المكرمة أن المسجد معروف لدى أهل مكة وقد قام بعمارتها السلطان العثماني عبد المجيد الثاني (١٢٩٣هـ - ١٣٢٧هـ) آخر السلاطين العثمانيين والذي كانت له جهود واضحة وجيليلة في خدمة الإسلام والمسلمين^(٣) وتحديداً في الحرم المكي الشريف ومشاعره المقدسة.

(١) الدكتور فواز بن علي الدهاس / المشرف على وحدة المتاحف بجامعة أم القرى / مقابلة خاصة بالحاسب الآلي .

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ٤٣٤.

(٣) مجموعة من المؤلفين / تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر / مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤٢٧هـ / الرياض / ص ٣٣.

وفي العصر الحديث قامت حكومة المملكة العربية السعودية بعمارة (مسجد الإجابة) في عهد المغفور له بإذن الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عام ١٤٢٢هـ وهي عمارة حسنة ثابتة على الطراز الحديث حيث تم فيها كساء المسجد من الخارج بعد أعمارة عمارة حديثة بالرخام الملون وجعل في وسطه قبة جميلة وتعلوه منارة أقيمت في خارج فناء المسجد، مع تجهيزه بالمواضي ودورات المياه للمصلين وكافة الخدمات الإنسانية والبنى التحتية وبعد إتمام عمارته أوكل المسجد إلى وزارة الشؤون الإسلامية لإتمام الأشراف عليه كما هو المتبع والمعمول به في المملكة العربية السعودية.



جبل ثبير

(ثبير) بفتح أوله وكسر الباء الموحدة ثم ياء ساكنة وراء^(١) كلمة مأخوذة من المثابرة على الأمر والمواظبة عليه، وعكسه (التثبير والثبور) وهو الهلاك والخسران والعياذ بالله^(٢) قال تعالى (ادعوا هنالك ثبورا)^(٣) والثبرة: هي الأرض السهلة وتراها شبيه بالنوره تأتي أيضاً بمعنى الحفرة في الأرض. [وجبل ثبير] جبل معروف في مكة المكرمة بل هو أعلى جبالها وأعظمها ارتفاعاً يرتفع ميل ونصف عن سطح البحر ويقع من الناحية المتصلة بمنى^(٤).

وأما عن سبب تسميته بثبير فيعود ذلك إلى رجل من قبيلة هذيل اسمه ثبير سكن الجبل ومات فيه فعرف به^(٥) وللجبل مسميات عدة مثل ثبير الأثيرة وثبير النضع وثبير الأعرج، وثبير النخيل، وثبير غيناء وثبير الأحذب وثبير الزنج وأما سبب تعدد هذه المسميات لهذا الجبل فيعود ذلك إلى تشظى الجبل وانقسامه في أماكن مختلفة عبر الأزمنة القديمة المعروفة [بعصر التكوين] فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول

(١) يا قوت الحموي / مصدر سابق ج ٢ ص

(٢) محمد الرازي / مختار الصحاح ص ٦٩

(٣) سورة الفرقان آية ٢٣

(٤) عبد الله يوسف الغنيم / مرجع سابق ص ٧٨

(٥) أحمد شاكر / مرجع سابق ص ٦٥٩

الله ﷻ أنه قال: (لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى) أي أنقسم إلى عدة جبال صغيرة.

ويؤكد هذه الحقيقة العلمية ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان فيذكر أن ثبيراً هذا اسم لعدة مواضع في مكة أهمها:
أولاً: (ثبير الأثبرة) أو ثبير حراء:

وهذا الجبل يقع على يسار الذهاب من منى إلى عرفة ويقصده الزوار والمعتمرين والحجاج وهو المعروف اليوم (بجبل النور) ويذكر بعض العلماء أن الدعاء فيه مستجاب لأن الرسول ﷺ تعبد فيه الليالي الطوال خلال شهر رمضان قبل بدأ الدعوة الإسلامية على ملة أبينا إبراهيم عليه السلام وفيه نزل جبريل عليه السلام ببشارة النبوة ودين الإسلام وفيه نزلت أول سور القرآن وفيه اعتكفت عائشة رضي الله عنها أيضاً بعد ظهور الإسلام^(١).

روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة (والمرسلات عرفا) وأنه ليتلوها وأناي لا تلقاها من فيه.. وأن فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حيه فقال النبي ﷺ: أقتلوها فأبتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ (وقيت شركم كما وقيتم شرها)

أخرجه البخاري^(١).

ثانياً: ثبير النّصع:

وهو من أعظم الجبال في مكة يقع على الطريق بين منى وعرفة وهو المراد بقولهم في الجاهلية: (أشرق ثبير كيما نغير)^(٢) وكانت العرب في الجاهلية لا تدفع ولا تغير في حروبها إلا بعد طلوع الشمس بعد أن تشرق من على جبل ثبير^(٣) سمي بالنصع لأنه يكون ناصعاً بعد شروق الشمس عليه.

الثالث: ثبير الأعرج:

وهو جبل مشرف على مسجد نمرة في جهة عرفة، أما عن سبب تسميته بالأعرج فنسبة لمولى كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يلقب بالأعرج كان قد بني له فيه بيتاً فنسب إليه^(٤) هذا الجبل بعد أن سكنه وعاش فيه.

الرابع: ثبير النخيل:

وهو جبل يشرف على موضع يقال له الخضراء على الطريق إلى منى ويقال له أيضاً (جبل الأبقحانة) عند معظم المكيين.

(١) صحيح البخاري / ص ١٤٣

(٢) ياقوت الحموي / مصدر سابق ج ٢ ص

(٣) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٨٧

(٤) عبد الله يوسف الغنيم / مرجع سابق ص ٧٦

الخامس: ثبير غيناء:

وهو الجبل المشرف على طريق العدل وبئر ميمون سابقاً ويشرف أيضاً على شعب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى شعب الحضارمة بمنى وكان يسمى أيضاً سميراً (وذات قلادة)^(١).

السادس: ثبير الأحذب.

وهو من الجبال المشهورة في مكة سمي بذلك لأنه محدودب الشكل.

السابع: ثبير الزنج :

وهو جبل مشهور بمكة أيضاً سمي بذلك لأن الزنج من الأفارقة كانوا يجتمعون عنده للعب وللهو ثم سكنوه بعد ذلك فسمي بجبل الزنج نسبة إليهم.



جبل النور (غار حراء)

(جبل النور) هو أحد جبال مكة التاريخية ومعالمها الدينية الخالدة لا يجهله مسلم من المسلمين.

يقع هذا الجبل الأشم في شرق مكة على يسار الذهاب إلى عرفات على بعد أربعة كيلو مترات تقريباً من المسجد الحرام وهو جبل مبارك ترجع أهميته الدينية إلى ما قبل الإسلام بقليل حين كان النبي ﷺ يتعبد فيه الليالي الطوال في وقت عمت فيه فوضى الشرك والوثنية فقد كان يلجئ إليه ﷺ هرباً من نظرات وتساؤلات قومه الجهلة فيمكث فيه معظم ليالي شهر رمضان متأملاً في مخلوقات الله تعالى مسبحاً بحمده ساجداً وقائماً على مله أبيه إبراهيم عليه السلام^(١) ثم ينصرف بعدها ليطوف بالبيت العتيق ثم يعود إلى داره بمكة بسكينة ووقار خفية من قومه^(٢) ليتزود لمثلها كيف لا وقد نزع من فؤاده درن الشرك والوثنية عندما بلغ الثالثة من عمره ليحتضنه هذا الجبل بين ذراعية طيلة شبابه حتى وصل سن الأربعين من عمره خاصة وأن الله قد أكرم هذا الجبل بالمباركة الإلهية فلا يوجد جبل بالمنطقة يشبهه في شكله وصورته فقد أشارت بعض المصادر إلى أن قمته

(١) مقال جريدة الوطن / العدد ٤٧٧ / الثلاثاء / ١٧ / ذو الحجة ١٤٣٤هـ - ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣م

(٢) صفى الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٢٥ [روضة الأنوار]

كالقبة الملساء^(١) باختلاف بقية الجبال في مكة.

كما يتميز جبل النور بأنه صعب المرتقى لا يصل إليه أحد إلا بصعوبة بالغة منقطع من جميع جوانبه^(٢) فلا يشك أحد من قریش بأن أحداً يجتبی فيه ويتعبد يصل ارتفاعه إلى ٦٤٢ م تقريباً فوق سطح البحر، فهو شاق لمن يصعده^(٣) ويحتوي (جبل النور) على غار بداخله يسمى (غار حراء) يقبع على يسار قمته الشاخحة ونظراً لأنه صعب المرتقى فلذلك يعاني اليوم زوار الغار صعوبة بالغة للوصول إليه، والغار من داخله لطيف التهوية عبارة عن فجوة محوفة في قمة الجبل^(٤) طوله ينقص قليلاً عن أربعة أمتار وعرضه يزيد قليلاً عن متر ونصف المتر^(٥) وباب الغار باتجاه الشمال بطول مترين وعرضه ثلاثة أرباع المنزل والداخل للغار يكون متجهاً للكعبة مباشرة فما تتسع مساحة الغار من الداخل إلا إلى خمسة أشخاص جلوساً لأنه متوسط الارتفاع^(٦) وكان الناس في الجاهلية يعظمون هذا الجبل والغار ويذكرونه في أسفارهم فمن ذلك ما قاله أبي طالب عم النبي ﷺ عن الجبل:

(١) جريدة الوطن / مرجع سابق، نفس الصفحة

(٢) الفاسي / مصدر سابق ص ٤٦٣

(٣) جريدة الوطن / مرجع سابق، نفس الصفحة

(٤) الأزرقی / مصدر سابق ج ١ ص ٧

(٥) صفی الرحمن المبارك فوري / مرجع سابق ص ٢٥ [روضة الأنوار]

(٦) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٩٤ (تاريخ مكة)

ثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل^(١)

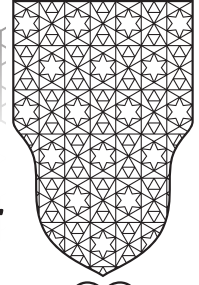
وأما ما قيل عن سبب تسمية الجبل (بجبل النور) فذلك يعود لظهور أنوار النبوة المحمدية فيه حين نزل جبريل عليه السلام بالوحي والبشارة السماوية والتي تحت بدورها ظلام الشرك والوثنية وابدائها بنور التوحيد للخالق عز وجل.

وكبقية المشاعر المقدسة فقد حدثت في هذا الجبل المقدس آيات ومعجزات جاءت مصاحبة للدين الإسلامي الجديد رواها عدد كبير من الصحابة رضوان الله عنهم ومن ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه بقوله: كان النبي ﷺ على صخرة بحراء هو وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير بن العوام رضوان الله عليهم أجمعين فتحركت الصخرة من عظم ما تحمله فقال لها النبي ﷺ (اهدأي فما عليك إلا نبي وصديق وشهداء)^(٢).

ومن ذلك ما رواه الصحابي الجليل أيضاً عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: (بينما نحن مع النبي ﷺ في غار حراء إذ نزلت عليه سورة (والمرسلات عرفاً) وأنه ليتلوها وأني لا تلقاها من فيه وأن فاه لرطب بها إذ وثبت عليه حيه فقال النبي ﷺ: أقتلوها فأبتدرناها فذهبت فقال النبي

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٦٣

(٢) رواه مسلم وأخرجه أحمد ج ٦ ص ٤١٩ وأنظر محمد طاهر الكردي / مرجع سابق ص ٤١١



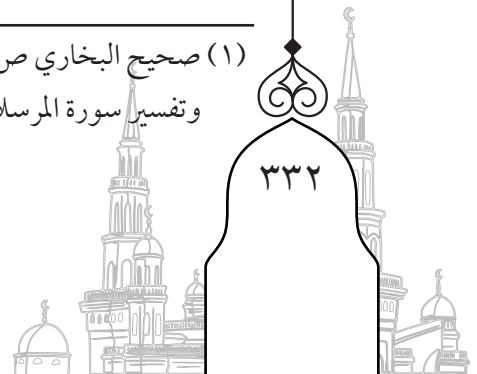
عندئذ: (وقيت شرکم^(١) كما وقيتم شرها) أخرجه البخاري.

ونظراً لما للجبل والغار من مكانة دينية سامية لدى المسلمين جميعاً فإنه يعتبر في وقتنا الحاضر مقصداً ومزاراً سياحياً لكثير من الزوار والمعتمرين والحجاج فلذلك نأمل من هيئة السياحة والآثار بالمملكة العربية السعودية زيادة الاهتمام بهذا المعلم الديني الحضاري الكبير والذي يعد جزءاً لا يتجزأ من تاريخ ديننا وسيرة نبينا ﷺ كيف لا وهو أحد المعالم التي يستجاب عندها الدعاء على ما ذكره النووي يرحمه الله وعدد من العلماء المكيين وغيرهم.



(١) صحيح البخاري ص ١٤٣ في جزاء الصيد ١٨٣٠ وأنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير /

وتفسير سورة المرسلات ج ٥ ص ١٤٨



جبل ثور (غار ثور)

(جبل ثور) إسمٌ لجبل مشهور بمكة يعد من الجبال المكية التي فيها أثر كريم ومشهد عظيم، لسيرة نبوية عطرة ففي هذا الجبل الغار المذكور في التنزيل ^(١) قال تعالى ﴿ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ ^(٢).

والغار يقع في أعلى الجبل بطول مترو ونصف المتر وله فتحة ضيقة تقدر بنصف المتر وارتفاع الفتحة عن الأرض خمسة وعشرين ستمتر فقط بينما يتسع داخله قليلاً بوضع يسمح بالجلوس فقط ^(٣).

أما عن سبب تسمية الجبل (بجبل ثور) فلأن رجلاً من قريش يدعى ثور بن عبد مناف نزله وسكنه فنسب إليه وأصبح يعرف باسمه بعد أن كان يسمى جبل أطحل وفي الحديث (حرم ما بين نميره إلى ثور) ^(٤).

يقول العلامة أبي الطيب الفاسي رحمه الله (أن الجبل يطلق عليه أيضاً أبي ثور وقد يسميه الناس ثوراً وقال أنه من مكة على ميلين ويكون ارتفاعه نحو الميل ويقع في أعلاه غار ثور وهو الغار المذكور في الآية والمنسوب إليه ويُرى البحر من أعلاه لارتفاعه عن سطح الأرض ^(٥) ويضيف الرحالة

(١) عبدالسلام هارون / مصدر سابق ج ١ ص ٣٩٦

(٢) سورة النور آية ٤٠

(٣) ابن جبير: مصدر سابق ص ٨٣

(٤) جامع الترمذي مصدر سابق ٢١٢٧ ص ٦٥١

(٥) الفاسي / مصدر سابق ص ٤٦٥

المسلم ابن جبير في رحلاته (بأن على مقربة من هذا الغار في الجبل بعينه هناك عمود منقطع من الجبل قد قام شبه الذراع المرتفعة بمقدار شبر وقام وأنبسط له في أعلاه شبه الكف خارجاً عن الذراع كأنه القبة المبسوطة بقدرة من الله عز وجل يستظل تحتها نحو عشرين رجلاً وتسمى قبة جبريل ﷺ^(١)).

واشتهر جبل ثور قديماً وحديثاً بوجود نباتات شتى وأشجار كثيرة مثل اللبان، وقيل أن به شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامة^(٢) وما زاد في أهمية الجبل التاريخية ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه حين قال: (إن قابيل قتل هابيل في هذا الجبل)^(٣)

ولجبل ثور سيرة عطرة مع رسول الله ﷺ حين اختبأ مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم هاجر من مكة إلى المدينة خوفاً من قريش والتي لم تفتأ أو تكل عن طلب أثرهما عندما علمت برحيلهما حتى أنها خصصت لذلك مائة ناقة لمن يحظى بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً.

فقد جاء في كتب السيرة النبوية أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبي بكر رضي الله عنه مهاجرين إلى المدينة أرادا دخول الغار فتقدم أبي بكر ليفدي بروحه رسول الله ﷺ ويتفقد الغار من الهوام وغيرها. وكان أبا بكر رضي

(١) ابن جبير / مصدر سابق ص ٨٤ و ص ٨٥

(٢) الفاسي / مصدر سابق ص ٤٤٥

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة

الله عنه دائماً ما يتقدم عن رسول الله ﷺ في السير وتارة أخرى يتأخر خلفه (بأبي هو وأمي) فأستعجب رسول الله ﷺ من ذلك وسأله عن السبب فأجاب أبي بكر رضي الله عنه بقوله: ((إذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك، وإذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك ولما انتهينا إلى الغار أدخلت يدي لأتحسس خشيته أن يكون فيه هامة فتقضي عليك^(١))). وذكر علماء السير أنهما مكثا في الغار ثلاثة أيام يتزودان فيه بما يصلهما عن طريق أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها من طعام وشراب.

روي سفيان عن سعيد بن عمر وابن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (لو رأيته وباك حين رقينا الجبل فأما أنا فتقطرت قدماي دماً وأما أبوك فأصبحت قدماه كالصفوانين) فقالت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك أن رسول الله ﷺ لم يتعود الحفية ولا الرعية ولا السقوة فلما دخل الغار إذا بحجر في الغار فالقمه أبو بكر رضي الله عنه حتى أصبح^(٢).

وفي هذا الغار المبارك اختص الله فيه نبيه ﷺ بآيات ومعجزات باهرات حيث دخل ﷺ مع صاحبه على شق من ثلثا شبر وبطول ذراع بقدرة الله عز وجل فلما أطمأنأ فيه أمر الله العنكبوت فاتخذت لها بيتاً، وأمر

(١) الأزرقى / صدر سابق ٤٠٦

(٢) الفاكهى / مصدر سابق ص ٨٠

الحمام فوضعت عليه عشاً وفرخت فيه^(١) فقالت قريش ما دخل هنا أحد، فأخذوا بالانصراف فقال الصديق رضي الله يا رسول الله لو ولجوا علينا من فم الغار ما كنا نصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: لو ولجوا علينا منه كنا نخرج من هناك وأشار بيده المباركة إلى الجانب الآخر من الغار، ولم يكن فيه شق، فانفتح للحين فيه باب بقدره الله عز وجل وهو سبحانه قدير على ما يشاء^(٢) إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

ونظراً لضيقة الشديد فقد قام الناس عند زيارتهم للغار في الآونة الأخيرة بنحت الحجر فيه كي يتسع لدخول الزوار بعد أن كان الزوار يتجنبون دخوله لما فيه من المشقة التي يقاسونها^(٣) وروى عن ابن جبير في رحلاته: (أن الناس يتتابون هذا الغار المبارك ويتجنبون دخوله من الباب الذي أحدثه الله عز وجل فيه ويرمون دخوله من الشق الذي دخل النبي ﷺ منه تبركاً به فيمتد المحاول لذلك في الأرض ويبسط خده بإزاء الشق ويولج بدنه فيه برأسه أولاً ثم يعالج إدخال سائر جسده فمنهم من يتأتى له ذلك بسبب قضاضة بدنه ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيعضه فيروم الدخول أو الخروج فلا يقدر فينشب ويلاقي مشقة وصعوبة حتى يتناول بالجذاب العنيف من ورائه^(٤)).

(١) ابن جبير / مصدر سابق ص ٨٣

(٢) نفس المصدر ص ٨٤

(٣) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٦١

(٤) ابن جبير / مصدر سابق ص ٨٤

جاء في فضل هذا الجبل من الروايات التاريخية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لأبنه ذات مره: (يا بني إن حدث بالناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه مع رسول الله ﷺ فإنه سيأتيك رزقك غدوة وعشية)

ومما قيل عن فضل هذا الجبل أيضاً:
أن الجبل تكلم مع رسول الله ﷺ وناداه أثناء مسيره في الهجرة إلى المدينة المنورة وقال:

(إلي يا محمد.. إلي يا محمد فقد أويت قبلك سبعين نبياً)^(١).
حقاً.. فلا يمكن أن يتحقق ذلك إلا مع نبي مرسل مؤيد بالمعجزات الخارقة.



جبل أبي قبيس

جبل (أبي قبيس) بقاف مضمومة، وياء موحدته مفتوحة، وياء مثناه من تحت ساكنه وسين مهملة^(١) شيخ جبال مكة المكرمة المباركة واحد أخشيها خلقه الله ليثبت به الأرض^(٢) سمي بهذا الاسم لأن أول من نهض للبناء فيه رجل من مذحج وقيل من إياد اسمه أبي قبيس ولذا سمي الجبل باسمه^(٣) وهو جبل ممتد يشرف على جبل الصفا ثم جبل السويداء ثم جبل الخندمة وكان يسمى في الجاهلية بـ (الجبل الأمين) لأن الحجر الأسود استودع فيه^(٤) قبل الطوفان الذي عم الأرض زمن نوح -عليه السلام- فحفظه أمانه عنده حتى جاء جبريل عليه السلام وأخرجه منه زمن بناء الكعبة في عهد إبراهيم -عليه السلام- لذا هو من الأماكن التي يستحب عندها الدعاء رجاء الإجابة.

وترجع أهمية الجبل التاريخية كما ذكر العلامة الفاسي رحمه الله إلى أن فيه قبر آدم عليه السلام وقبر ابنه شيث عليه السلام قال وهب بن منبه رحمه الله (حفر له في موضع من أبي قبيس في غار يقال له غار الكنز ثم قيل أن نبي الله

(١) الفاسي / مرجع سابق ج ١ ص ٣١

(٢) صحيح البخاري / مصدر سابق / كتاب بدأ الخليفة ٣٢٣١ ص ٨٤٤

(٣) عبد الله يوسف الغنيم / مرجع سابق ص ٧٤

(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة

نوح عليه السلام قام باستخراجه في زمن الطوفان وجعله في تابوت معه في السفينة^(١) إكراماً من الله لأول أنبيائه في الأرض) وهو قول ضعيف.

يقول الشيخ / محمد علي الصابوني في كتابة النبوة والأنبياء (أن آدم عليه السلام عاش في هذا الجبل قرابة الألف سنة ثم مات وكفنته الملائكة وغسلته بحنوط من الجنة وصلى عليه جبريل عليه السلام أمام باب الكعبة ثم حفروا له في الجبل قبراً وأدخلوه في قبره ثم لحدوه وحثوا عليه بالتراب ثم قال جبريل عليه السلام: (يا بني آدم هذه سنتكم فأتبعوها)^(٢) فكانت لمن سمعها من بني آدم سنة متبعة إلى يومنا هذا.

وبرغم وجود مثل هذه الروايات إلا أن العلماء اختلفوا فيما بينهم في موضع قبر آدم عليه السلام الآن تحديداً فذهبوا في ذلك إلى عدة آراء مع ترجيح القول السابق القائل بأنه دفن في جبل أبي قبيس لقرب المسافة من الكعبة مكان الصلاة عليه وبين قبره بالجبل إضافة إلى حرص أنبياء الله عليهم السلام على رد الأمانات إلى مواضعها الأصلية التي كانت عليها فحري بمن كان في السفينة أن يحملوا التابوت إلى ذات المكان الذي كان فيه كيف لا وهو الذي الفتته روحه عليه السلام هذا إذا افترضنا أن جسده قد حمل معهم في السفينة أصلاً.

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٢٥٥

(٢) محمد علي الصابوني / النبوة والأنبياء / الطبعة الأولى / ١٤٠٩ هـ / بيروت / عالم الكتب

أما ما جاء في الآراء الأخرى فهي كالتالي:

- **الرأي الثاني:** أنه دفن في الهند، مكان هبوطه من الجنة وقال بهذا الرأي الشيخ / محمد علي الصابوني في كتابه النبوة والأنبياء مع ترجيحه للرأي السابق ورد هذا القول الحافظ عماد الدين ابن كثير في تفسيره خاصة إذا علمنا بعد المسافة بين مكة مكان بناء البيت العتيق والهند موضع هبوطه الأول وموضع رسو سفينة نوح بعد جلاء الطوفان.

- **الرأي الثالث:** ان قبره في مسجد الخيف بمنى وقال بذلك عروة بن الزبير رضي الله عنه فيما رواه عن الفاكهي.

- **الرأي الرابع:** ان قبره عند مسجد الخيف قال بذلك الذهبي في اعلامه عند ترجمته^(١) لأدم عليه السلام وهو قول مردود لأن القرب من الكعبة بيت الله أولى من البعد عنها ثم أن مسجد الخيف لم يكن قد بني حينها فما فرض الحج والمبيت بمنى إلا زمن إبراهيم عليه السلام.

- **الرأي الخامس:** أنه قبر بالمسجد الأقصى وقال بذلك العلامة أبي عبد الله الأزرق في كتابه تاريخ مكة وهو قول بعيد لأن المسجد الأقصى لم يكن قد بني أيضاً آنذاك وإنما بني في عهد نبي الله سليمان عليه السلام ولم يكن لمكانه أهمية زمن موت آدم عليه السلام^(٢).

(١) ابن كثير / مصدر سابق / ج ١ ص ١٠٨

(٢) الفاسي / مصدر سابق / ج ١ ص ٤٥٦

ومما يؤكد لنا أن قبره في جبل أبي قبيس أن آدم عليه السلام عاش فيه مع ابنائه في غار بذات الجبل بعد أن أمره الله تعالى ببناء البيت العتيق والطواف به، وفي ذات المكان أيضاً نزلت الصحائف الخمسون علي نبي الله شيث عليه السلام الذي عاش تسعمائة سنة ودفن في ذات الموقع أيضاً.

وأعلم أخى القارئ الكريم:

أن لهذا الجبل المبارك آيات عظام شرفه الله بها دون غيره من الجبال ومعجزات باهرات حدثت له على مر التاريخ والزمان نذكر منها:

● أولاً: أن الناس في زمن العماليق (سكان مكة الأقدمون) كانوا يستقون لنزول المطر على هذا الجبل كنوع من التبرك به ثم نزل مكة وفد من قوم عاد فأشار عليهم أحد وجهاء مكة ويدعى بكر بن معاوية بصعود جبل أبي قبيس وقال لهم (بأنه لم يصعد أحد الجبل يعرف الله تعالى إلا أجابه إلى ما دعاه فيه).

● ثانياً: أنه أول جبل وضعه الله تعالى في الأرض لتثبيتها على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه.

● ثالثاً: أن في هذا الجبل المبارك استودع الله الحجر الأسود زمن الطوفان وقال الله تعالى للجبل: (إذا رأيت خليلي (عليه السلام) يبني بيتي فأظهره له) وبالفعل فلما بنى إبراهيم الخليل عليه السلام البيت المعظم وعند اكتمال البناء نقصه حجراً فجاء له به جبريل عليه السلام بإذن الله

من المكان الذي استودعه الله فيه بجبل أبي قبيس^(١).

● رابعاً: أن في هذا الجبل المبارك حدث أعظم معجزة للنبي ﷺ قبل الهجرة النبوية عند بداية الدعوة الإسلامية وهي انشقاق القمر إلى نصفين حتى رأى الصحابة رضوان الله عليهم أحد شقيه دون الجبل والأخرى خلفه وحينها قال النبي ﷺ (اللهم أشهد) على من طلب مني تلك الآية دليلاً على نبوته وقد وردت هذه الرواية برواية مسلم والترمذي من طرق عن شعبه عن الأعمش عن مجاهد به^(٢).

ومن تلك الآيات أيضاً ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب في أصحابه رضوان الله عليهم ذات يوم وهو واقف بجبل أبي قبيس (وقيل بمنى) وقد كادت الشمس أن تغرب ولم يبق منها إلا سف يسير فقال: (والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً)^(٣)

وللأسف الشديد فإن جبل أبي قبيس اليوم قد أزيل معظمه ولم يبق منه إلا الجزء اليسير وما بقي منه قد غطي بالعمران الحديث والقصور الملكية والتوسعة المباركة للحرم المكي وساحاته المحيطة.

(١) الفاسي / مصدر سابق / ج ١ / ص ٣١٩

(٢) جامع الترمذي / ص ٩٨٧

(٣) ابن كثير / تفسير ابن كثير / دار الأندلس / الطبعة السابعة / ١٤٠٥ هـ / بيروت لبنان /

جبل الحجون

ورد في باب (حَجَنَ) العود يحجنه عطفه ولحنه، وفلاناً صده
وصرفه وجذبه بالمحجن كاحتجنه و(الحجن) محركه و(الحُجْنَةُ) بالضم
و(التحجن) أيضاً الأعوجاج وأحجن المال ضمه واحتواه (والحجون)
بمعنى الكسلان^(١).

يقول الفاسي رحمه الله نقلاً عن المحب الطبري (الحجون بفتح الحاء،
وضم الجيم مخففه هو الجبل المشرف عند المحصب^(٢)) ويضيف ابن هشام
في سيرته بأن الحجون جبل بمعلاة مكة^(٣)

قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فجبل الحجون إذن هو أحد الجبال التاريخية المشهورة بأعلى مكة سمي
بذلك لشدة أعوجاجه وتعطفه ويشرف جبل الحجون بموقعه هذا على
مسجد الجن أو (مسجد الحرس) وكذلك على مسجد الشجرة الأثري^(٤)
ذكر الفاسي رحمه الله قولاً لأبي محمد الخزاعي بأن الحجون الجبل المشرف

(١) الفيروز ابادي / مرجع سابق ص ١١٨

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٧

(٣) ابن هشام / مصدر سابق ص ٨٩

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٧

على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك كان يشرف أيضاً على دار أبي ذر الغفاري رحمه الله وعلى مسجد سلسيل أم زبيدة رحمها الله وبيت أبي جعفر المنصور رحمه الله^(١) وجميع هذه الدور قد محيت آثارها بعد التوسعة في الحرم المكي ولأجل التنظيم البلدي فأصبحت معظم هذه المعالم ذكرى في أدراج النسيان فلم يعد لها أثر يذكر.

وتعود أهمية جبل الحجون التاريخية إلى زمن الجاهلية حيث كان يسمى حينها شعب الصفي بحكم إشرافه عليه وهو ذات الشعب الذي يقال له (صفي السباب) وكان يسمى أيضاً (الراحة) لأن قريشاً كانت تخرج إلى هذا الشعب في فصل الصيف ليستريحون فيه تعظيماً للمسجد الحرام وأما عن تسميته (صفي السباب) فلأن الناس كانوا إذا فرغوا من مناسكهم نزلوا المحصب ليلة الحصبة فوقفت القبائل بفم الشعب يتفاخرون بأيامها ولياليها ووقائعها^(٢) وقد سبق الحديث عن ذلك عند حديثنا عن المحصب وعرف الشعب أيضاً (بشعب خيف بني كنانة) الذي توعد فيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين قبل فتح مكة فقال ﷺ (موعدكم خيف بني كنانة) وذكر بعض المؤرخين أن نافع بن الخوزي مولى نافع بن عبد الحارث الخزاعي هو أول من بني فيه بيتاً يسكنه وفي السنة التاسعة من الهجرة تحقق

(١) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ١٦١

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٧٤

ما توعد به النبي ﷺ قريشاً حين وقف النبي ﷺ على جبل الحجون وقال:
(والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني
أخرجت منك ما خرجت) وبعد ذلك (أي بعد فتح مكة) سكن النبي
ﷺ في جبل الحجون حيث كان يأتي منه إلى الحرم عند كل صلاة ذلك لأن
الرسول ﷺ كان قد باع منزله إلى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قبل
الهجرة إلى المدينة.

فعن أبي سبرة سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال:
(رأيت الرسول ﷺ مضطرباً بالحجون في الفتح يأتي لكل صلاة)
وذكر عطاء رحمه الله أن النبي ﷺ بعد ما سكن المدينة كان لا يدخل بيوت
مكة قال: كان إذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلى مكة فأضطرب بين الأبنية^(١)
فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً من بيوت مكة حتى عاد إلى
المدينة^(٢).



(١) الأزرقى / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٧٥

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٦٢

جبل الرحمة

تأتي الرحمة بمعنى الرقة والمغفرة، والتعطف والمرحمة والرحم بالضم كعلم، ورحم عليه ترحيماً، وترحم^(١) وتراحم القوم رحم بعضهم بعضاً^(٢). وجبل الرحمة جبل مشهور بعرفة يقع على الطريق بين مكة والطائف، يبعد عن مكة حوالي ٢٢ كيلومتراً، وعلى بعد عشر كيلو مترات من منى و٦ كيلومتر من مزدلفة شرق عرفات وهو جبل مبارك يرتاده الحجاج بكثرة في يوم وقفه عرفة في التاسع من ذي الحجة قال ﷺ (الحج عرفة)^(٣) ويتكون الجبل من حجارة صلده ملساء ويتميز بأنه صعب المرتقى ولذلك كان الحجاج يعانون عند الصعود عليه كثيراً في هذا اليوم العظيم فكان أول من سهل الجبل للواقفين عليه يوم عرفة هو الوزير الجواد الأصفهاني ثم بني في مساحته مسجداً سمي مسجد الصخيرات نسبة إلى صخرات الجبل^(٤).

واصطلح المكيون على تسميته بجبل عرفة لوقوعه بعرفات قال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ

(١) الفيروز أبادي / مصدر سابق ص ١١١

(٢) محمد الرازي / مرجع سابق ص ١٨٣

(٣) سنن ابن ماجه ص ١٠٠١

(٤) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١٢٠

فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ^ط وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١﴾ فكلمة عرفات الواردة في الآية ليست جمع عرفة كما يظن البعض إنما هو مفرد على صيغة الجمع وله نظائر في لغة العرب وهي فسيح من الأرض محاطة بقوس من الجبال يكون وتره وادي عرنه.

ولما للجبل من أهمية دينية عند المسلمين بحكم موقعه في عرفات فقد أطلق عليه عدة أسماء فكثرة الأسماء من شرف المسمي ومنها: جبل الرحمة، وجبل القرين، وجبل النابت، وجبل الآل.

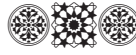
ويحد الجبل من ناحية الحرم نمرة، وثويه، وذو الحجاز، والأراك، وأما الحدود الثلاثة الأخرى لجبل الرحمة فهي سلسلة من جبال سوداء أبرزها أم الرضوم.

أما ما جاء عن موقف الرسول ﷺ من الجبل في يوم عرفه فكان في الفجوة المستعلية بخصر الجبل^(١) واقتداء بهدي النبي ﷺ يقف الحجاج بمكة بعد أداء صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً في مسجد نمرة حتى غروب الشمس في اليوم التاسع من ذي الحجة.

ونظراً لذلك فقد قامت حكومة المملكة العربية السعودية بوضع علم بارز في أعلى قمة الجبل عبارة عن عمود خرساني أبيض اللون ارتفاعه ٥٧ سم وفي منتصف ساحته دكة مرتفعة بحوالي ٤٠ سم وعلى طرفها علم

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٥٠٠

إرشادي مربع لتمييزه عن غيره من الجبال وقامت أيضاً بعمل درج يسهل للحجاج صعوده وإحاطة سهله المنبسط بأنابيب ذات رشاشات متحركة ترش الماء البارد على الحجاج طوال يوم عرفه لتقيهم وهج الشمس عند الوقوف كما وفرت للحجاج جميع الخدمات اللازمة من مواد غذائية توزع بالمجان ومياه صحية ووحدات صحية للعناية بالحجاج حال تدافعهم من على الجبل في يوم الوقفه جزى الله القائمين على ذلك خير الجزاء.



جبل قعيقعان

(قعيقعان): اسم جبل تاريخي قديم في مكة يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الحرم المكي ويبعد عنه بحوالي اثني عشر ميلاً ووجه لجبل من أعلاه إلى أبي قبيس والكعبة تقع في غربه ويسمى اليوم جبل السليمانية أو جبل قرن وهو الجبل الثاني من أخشي مكة^(١) المعروفان اللذان خلقهما الله ليثبت بهما الأرض وقعيقعان أقل ارتفاعاً من جبل أبي قبيس إذ يبلغ ارتفاعه ٤٣٠ متراً تقريباً تمتد من حارة الباب إلى القرارة وفي أصله تقع المروة من جهة المدعى^(٢) ثم يمتد باتجاه الغرب نحو جبل الكعبة الذي تستخرج منه الحجارة لبناء للكعبة^(٣) وتعود شهرته التاريخية إلى أن قبيلة جرهم العربية كانت تسكنه وتتخذة مستودعاً تخبئ فيه أسلحتها المعدة لحروبها^(٤) في أيام الجاهلية ضد قبيلة قطوراء المعادية لها وهما يومئذ أهل مكة. فكانت جرهم تسكن أعلى مكة حيث يقع الجبل وملكهم مضاض بن عمرو جد بني إسماعيل عليه السلام الذي أوكلت إليه أمر رعاية البيت الحرام^(٥).

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ١٣١

(٢) الاصطخري / مصدر سابق ص ٢٢

(٣) اللفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣

(٤) الفيروز آبادي / مصدر سابق ص ٧٥٤

(٥) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٢٧

وأما قبيلة قطوراء فكانت تسكن في أسفل مكة بأجياد وملكهم يسمى
السميدع وأما عن سر تسيمة الجبل (بقعيقعان) فيرجع ذلك إلى قعقة
الرماح والتروس والجباب حين يخرج بها مضاض بن عمرو الجرهمي من
هذا الجبل^(١) متوجهاً لحرب قبيلة قطوراء.



جبل خندمة

(جبل خندمة) أحد جبال مكة المشهورة، يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الحرم المكي ما بين حرف السويداء إلى الثنية مشرفاً على شعب عمرو وشعب ابن عامر^(١) في طريق منى، وهو عبارة عن جبل في ظهر جبل أبي قبيس المعروف بأسفل مكة من قافية الخندمة، وفيه يقول القائل من أهل مكة:

(إنك لو شهدت يوم الخندمة) كناية عن يوم فتح مكة عندما دخل الجيش الإسلامي ليلاً من جهته حاملين معهم شعل النار لأرهاب أهل مكة وتخويفهم^(٢).

ويمتد جبل الخندمة باتجاه طولي من الشمال إلى الجنوب بطول يتجاوز ثلاثة كيلومترات ويبلغ أدنى عرض للجبل في أقصى الجنوب بعرض ١٧٠ متراً أما عرضه بأجزائه الوسطى فيبلغ حوالي ٨٠٠ م.

ويحد جبل الخندمة من الشمال منطقة الملاوي وشعب عامر ومن الجنوب جبل بخش أما من الشرق فيحده مناطق جبلية مرتفعة، ومن الغرب يحده منطقة أجياد وأجياد السد وبئر بليلة وريع بخش.

وكانت منطقة جبل خندمة قديماً تعتبر من المناطق الوعرة جغرافياً

(١) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٩٩

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٦٢

حيث يصل الارتفاع في بعض أجزائها إلى حوالي ٦١٥ م بينما تنحدر سفوحها الجبلية نحو الشرق والغرب بميول حادة تصل في بعض المواقع إلى ٨٠٪ خاصة في الأجزاء الواقعة بين الشمال والجنوب.

أما عن سر تسميته بجبل الخندمه فلأن رجلاً من قريش قال لزوجته وهو يبري نبلاً له (بلغني أن محمداً يريد أن يفتح مكة ويغزونا؟ فلئن جاءونا لأخذن من أسراهم خادماً يخدمني) فقالت له زوجته: (والله لكأني بك قد جئت تطلب مني محشاً أحشك به لو رأيت خيل محمداً ما قلت مثل ما قلت).

فلما دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وتم له الفتح بإذن الله أقبل ذلك الزوج إلى زوجته وقال لها غاضباً:

ويحك هل من محش.. فقالت له زوجته أين الخادم ليخدمني؟ فقال لها: دعني عنك!!^(١) فسمى الجبل خندمة.

وورد عن ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ما مئطرت مكة قط إلا كان للخندمة عزة)^(٢).

واليوم تعد منطقة جبل الخندمة من أفضل المناطق الصالحة للسكن بعد الجهود التي قامت بها حكومة خادم الحرمين الشريفين أعزها الله من

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٩٩

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٦٢

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

أجل تهذيب مرتفعاتها الوعرة وشق الطرق فيها وتوفير جميع الخدمات
والبنى التحتية اللازمة.



جبل المسخوطة

(جبل المسخوطة) أحد جبال مكة المشهورة تاريخياً ودينياً. يقع الجبل في الجزء المجاور لمستشفى النور حالياً ويشرف على طريق الهجرة^(١). وقد كثرت الأقاويل والروايات حول هذا الجبل وعن سبب تسميته بجبل المسخوطة فقد وردت هذه الآراء بروايات مختلفة متعارضة مع بعضها البعض وربما قارب بعض هذه الروايات والآراء إلى حد الخرافة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحري بي كمؤرخ أن أسرد جميع هذه الروايات القوي منها والضعيف مع الإشارة إلى أسباب ذلك خاصة وأن بعض روايتها من المكيين يؤكدون على أنها قصص حقيقية لأنهم الوحيدون الذين يعون عظم ومكانة هذا البلد الحرام وما يحضى به من قدسية دون غيره من البلدان والأمصاير بينما ينفونها البعض الآخر باعتبارها شائعات وأحاديث من نسج الخيال.

ومن تلك الروايات الواردة في كتب التاريخ المكي عن جبل المسخوطة:-

● أولاً: رواية تقول (أن جبل المسخوطة سمي بذلك لوجود صخرة فيه على هيئة الإنسان بأصل الجبل تعود إلى امرأة مشركة أفسدت بخبر رسول

(١) تمهاني خوج / مقال من جريدة مكة / العدد ٢٦ / الجمعة ٧ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ ص ٢

الله ﷺ ليلة هجرته ومكانه في غار ثور لسراقة بن مالك الجعشمي عندما كانت ترعى الغنم هناك ^(١) بعد أن عاهدته على كتمان ذلك).

● ثانياً: رواية أخرى تقول (أن تلك الصخرة من أصل الجبل تعود إلى إحدى النساء في مكة المكرمة أغواها الشيطان وهي في الحرم المكي فأنجبت طفلاً من شخص كانت تعرفه، وحين تأهبت للهرب من مكة اتجهت مهرولة إلى ذلك الجبل واستقرت فيه بعد أن وضعت طفلها، ثم عاقبها الله تعالى على عظم ما فعلت في حرم الله فسخطها إلى حجر).

لكن بعض المؤرخين المعاصرين اليوم ينفون تلك الروايات ويعدونها خرافات غير صحيحة بل ويؤكدون أن جبل المسخوطة عبارة عن عدد من الأحجار كان الناس يعبثون بتشكيلها عبر الزمن حتى أخذ هيئة الإنسان معتبرين الجبل امتداداً طبيعياً لجبل ثور.

ونتيجة لانتشار تلك الخرافات السابقة نصح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بهدم تلك الصخرة حتى لا يؤمن الناس بالمعتقدات الباطلة وخاصة فيما يتعلق بسيرة النبي ﷺ ^(٢).



(١) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٢) رأي للدكتور عبداللطيف الدهيش / أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة أم القرى /

مأخوذ من الحاسب الآلي

مقبرة المعلاة

(المعلاة) أو (المعلی) بلام وياء مقبرة مشهورة تقع في الشمال الشرقي من الحرم المكي، قديمة الأزل استمرت في دفن الموتى من الأسر المكية ومرتادي الحرم منذ زمن الجاهلية إلى عصرنا الحاضر وإلى اليوم فموتى الحرم المكي يدفنون فيها وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تدل على ما لمقبرة المعلاة بمكة من فضل ومن ذلك ما رواه الإمام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أشار بيده تجاه المقبرة وقال (نعم الشعب ونعم المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة كله)^(١) رواه الأمام أحمد والطبراني وغيرهما^(٢).

وروي أيضاً أن النبي ﷺ سأل الله تعالى عما لأهل بقيق الغرق (في المدينة) فقال الله عز وجل: لهم الجنة؟ فقال ﷺ يا رب وما لأهل المعلاة (في مكة) فقال الله عز وجل: يا محمد!! سألتني عن جوارك فلا تسألني عن جوارِي!^(٣)

وما رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود من أن النبي ﷺ وقف ذات يوم على الثنية ثنية المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة فقال: (يبعث الله من هذه البقعة، ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب،

(١) الأزرقی / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٩

(٢) محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ١٠٤

(٣) الفاسي / مصدر سابق ص ١٣٩

يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوهم كالقمر ليلة البدر).

فقال أبي بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله من هم ؟ قال ﷺ:
غرباء!!^(١).

وبين الإمام أبي الطيب الفاسي رحمه الله في كتابه شفاء الغرام بأخبار
البلد الحرام حدود تلك المقبرة بقوله: (وكان أهل مكة يدفنون موتاهم في
شعب دب من الحجون إلى شعب الصفي (صفي السباب) وفي الشعب
الملاصق لثنية المدنيين ثم تمضي المقبرة مصعده لاصقة بالجبل إلى ثنية
أذاخر)^(٢).

ويضيف الإمام أبي عبدالله الأزرق رحمه الله في كتابه أخبار مكة عن
موقع مقبرة المعلاة ما قوله: (كان أهل مكة يدفنون موتاهم في جانبي
الوادي يمينه وشامه في الجاهلية والإسلام ثم حول الناس قبورهم إلى
الشعب الأيسر لما جاء فيه من فضل)^(٣).

ولما لهذه المقبرة من أهمية دينية وتاريخية عند معظم المكين فأن مقبرة
المعلاة في مكة المكرمة نسجت حولها قصص كثيرة وروايات يرويها
قدماء أهل مكة وكتاب السير والأعلام، وبعض هذه القصص تجاوزت
الحقيقة والواقع إلى حد الخرافة ومن أجل تعظيم البلد الحرام فأننا نرويها

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٤٦٩

(٢) الفاسي / نفس المصدر ج ١ ص ٤٦٨

(٣) الأزرق / مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٩

كما وردت في المصادر المكية ومن تلك الروايات: [أن أناس أتقياء رأو في منامهم موتى في مقبرة العلاة فقالوا لهم أتجدون نفعاً بما يهدي إليكم من قراءة ونحوها فيجيئون.. نحن في غنى عن ذلك!! فيقال لهم: ما منكم من أحد واقف حاله.. فيقولون: ما يقف حال أحد في هذا المكان]^(١).

وذكر بعض أهل العلم من المكيين أيضاً (أنهم سمعوا ثقات من المجاورين للمقبرة قالوا: سمعنا أبا نصر بن الفخار بمكة يحدث بقوله: أنه رأي في المنام كأن أنساناً مدفوناً بمقبرة المعلاة ثم نقلوه إلى مقبرة أخرى.. فرأيتني أسأل عن حاله ولم استخرجوه من قبره؟ فقالوا: بأن هذه المقبرة منزله عن قبول أهل البدع فلا تقبل أرضها مبتدعاً).

ويقرب من هذه الرواية ما يروى بين المكيين أن: (شخص يقال له الشريشير من كبار الرافضة بالمدينة المنورة توفي بها ودفن بمقبرة البقيع ثم بعد مدة رئي بعض أهل الخير أحد الغرباء يقرأ على قبره ويلزم القراءة عليه فليم على ذلك لكونه يلزم القراءة على رافضي شيعي فقال لمن لاهمه: =أنه كان لي شيخ توفي بغير المدينة فرأيت في منامي فقيل لي: بأنه نقل إلى قبر الشريشير بالمدينة ونقل الشريشير إلى قبره فأنا لازم القراءة على هذا القبر لهذا السبب) وهي قصة بين قدماء أهل المدينة^(٢) أيضاً.

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٦٩

(٢) الفاسي / نفس المصدر ونفس الصفحة

وأعلم أخي القارئ الكريم:

أن زيارة مقبرة المعلاة في مكة مستحبة عند معظم العلماء بينما يرى الإمام ابن حزم الظاهري الوجوب لما حوته من قبور سادات قريش من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين رحمهم الله وكبار العلماء والصالحين يقول النبي ﷺ (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) ^(١).

وفي الوقت الحالي تبلغ مساحة مقبرة المعلاة حوالي (٢م١٠٠,٠٠٠) وتضم رفات الآلاف من أهل مكة ومن توفي فيها من المجاورين والزائرين كما دفن فيها عدد كبير من الصحابة منهم: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وعبدالله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وغيرهم ^(٢) من السلف الصالح تغمدهم الله بواسع رحمته وأسكنهم فسيح جناته. ومن المقابر الأخرى المشهورة في مكة غير مقبرة المعلاة والتي يستحب زيارتها لما فيها من قبور الصالحين.

* المقبرة العليا بمكة:

تقع عند ثنية زاخر آل أسيد بن أبي العيص بني أمية بن عبدشمس ودفن فيها عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٧٤ من الهجرة النبوية.

(١) الحافظ أحمد بن عبدالحادي المقدسي / الصارم المكي في الرد على السبكي / تحقيق صفية بنت سليمان التويجري ونورية بت حميد الراثقي سهام بنت أحمد المحمدي / دار الهدى النبوي /

مصر / الطبعة الأولى / ١٤٣٥هـ / ص ٤٩

(٢) د/ محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ١٠٤

* مقبرة المهاجرين:

وتقع عند جبل الحصحاء المشرف على ظهر ذي طوي ما بين مهبط
ثنية المقبرة التي بالمعلاة إلى الثنية القصوى التي يقال لها الخضراء وأسفل
هذه المقبرة جبل المقلع ويقال أن النبي ﷺ بكى على حجارتها حين هاجر إلى
المدينة حزناً على فراق مكة ولذا يسميه اليوم أهل مكة (الجبل البكاء) (١).

* مقبرة الشبيكة:

تقع في أسفل مكة دون باب الشبيكة وهي مشهورة لدى المكيين لما
حوته من قبور أهل الخير الغرباء وغيرهم وتسمى مقبرة (الأحلاف)
وسميت بالأحلاف نسبة إلى عبدالدار بن قصي، وبني مخزوم، وبني سهم
وبني عدي وبني كعب (٢).

* مقبرة الطيبين:

هم بنو عبد مناف بن قصي وبنو أسيد بن عبدالعزيز وبنو زهرة بن
قصي.

وأعلم أخي القارئ الكريم:

أن من أشهر القبور في مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية

(١) الأزرقي / مصدر سابق ج ١ وج ٢ ص ٢٨٢ و ص ٢٨٣

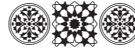
(٢) نفس المصدر السابق / ج ١ وج ٢ ص ٢١٤ و ٢٩٨ وانظر الفاسي / ج ١ ص ٥٧٢

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

في طريق وادي مر ويسمى سرف^(١) حيث تزوجها النبي ﷺ ويقع قبرها اليوم في حي النوارية بين مكة والجموم شمال مسجد التنعيم على بعد ١١,٥ سم وهو الآن محاط بسور على جانب طريق المدينة المنورة^(٢).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، فينزل السيخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق)) متفق عليه^(٣)..



(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٤٧٢

(٢) د/ محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ١٠٥

(٣) انظر صحيح البخاري / فضائل المدينة ١٨٨١ ص ٥٥٩ وانظر أيضًا أحمد بن عثمان الزيد /

مرجع سابق ص ١٠

المواقيت

قال علماء اللغة: (الوقت) معروف (والميقات) هو الموضع فيقال هذا مقيات أهل الشام للموضع الذي يحرمون فيه ويقال أيضاً (وقته) بالتخفيف من باب وعد فهو (موقوت) إذا تبين له وقتاً ومنه قوله تعالى ﴿كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي معروفاً في الأوقات (والتوقيت) تحديد الأوقات فيقال وقته اليوم كذا (وتوقيتاً) مثل أجله^(١).

و(المواقيت) جمع (ميقات) وهي التي وقتها الله تعالى للحج والعمرة وهي نوعان:

◆ النوع الأول: ميقات زمني:

وهذا المقيات الزمني يختص به الحج دون العمرة ووقته من شهر شوال إلى العاشر من ذي الحجة قال الله تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾^(٢).

أما العمرة فليس لها توقيت زمني وله أن يحرم بها متى شاء وفي أي زمان كان.

◆ النوع الثاني: ميقات مكاني:

وهذا النوع من المواقيت يشمل الحج والعمرة، والمراد بها الحدود التي

(١) محمد الرازي / مصدر سابق ص ٥٣٢ و ص ٥٣٣

(٢) سورة البقرة آية ١٩٧

لا يجوز للحاج أن يتعداها إلى مكة بدون إحرام^(١) لذا يتوجب عليه أن يحرم منها ثم ينوي بالعمرة أن كان معتمراً وبالحج أن كان حاجاً، ويحرم منها أيضاً من مر بها من غيرهم لمن كان يريد حجاً أو عمرة ومن كان منزله دون هذه المواقيت فإنه يحرم من منزله فأهل مكة مثلاً يحرمون من المواقيت التي خصصها الله ورسوله ﷺ: فهم لا يحتاجون إلى الخروج للمواقيت المخصصة لغيرهم فيخرجون للإحرام من أدنى الحل المخصص لهم.

وأعلم أخي القارئ الكريم:

أن من كان مسافراً بالطائرة إذا حاذى الميقات المخصص له من الجو أحرم، ولا يجوز له تأخير الإحرام إلى أن يهبط إلى مطار جدة كما يفعله البعض فإن جدة ليست ميقاتاً، وليس محلاً للإحرام، ومن فعل ذلك فقد ترك واجباً من واجبات الحج وعليه الفدية.

وأعلم أيضاً أن من تعدى هذه المواقيت المكانية بدون إحرام وجب عليه الرجوع إليه ليحرم منه لأنه واجب يمكن إدراكه فلا يجوز تركه فإن لم يرجع وأحرم من دونه فعليه فدية^(٢).

قال ﷺ: (يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة ويهل أهل نجد من قرن، ويهل أهل اليمن من يلملم ويهل أهل

(١) الطيار / مرجع سابق ص ١٧٧

(٢) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز / تحفة الأخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام

العراق من ذات عرق^(١) (هن لهن ولمن أتى عليهن من غير هن ممن أراد الحج والعمرة ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة) متفق عليه^(٢).

وبهذا تكون المواقيت المكانية كما بينها الرسول ﷺ خمسة هي:

الأول: ميقات أهل المدينة (ذي الحليفة):

والحليفة: بضم الحاء المهملة وفتح اللام وإسكان الباء المثناة موقع على نحو ٦ أميال من المدينة يقال له (أبيار علي) ويقال له أيضا (ماء بني جشم)^(٣) ويبعد عن مكة المكرمة بنحو ٤١٠ كم في جهتها الشمالية وبه مسجد يعرف باسم مسجد الميقات أو مسجد الشجرة أعيد بنائه في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله بتكلفة إجمالية قدرت بـ ٢٠٠ مليون ريال ومساحته الإجمالية ٩٠,٠٠٠ م^٢ ويستوعب نحو ٥٠٠٠ مصل وعمل للمسجد منارة بارتفاع ٦٤ م وقبه بعرض ٢٨ م^(٤).

الثاني: ميقات أهل الشام (الجحفة):

والجحفة: بضم الجيم وأسكان الحاء هي قرية كبيرة عامرة على

(١) سنن ابن ماجه ص ١٠٣

(٢) الإمام أحمد الشافعي/ بلوغ المرام من أدلة الأحكام / تحقيق عبدالمحسن القاسم / متون طالب العلم ص ٣٢٠ أنظر صحيح البخاري / كتاب الحج ١٥٢٥ ص ٤٩٢

(٣) النووي / مصدر سابق ص ١١٤

(٤) د/ محمد الباس عبدالغني / مرجع سابق ٢٦

طريق المدينة سميت بالجحفة لأن السيل جحفها وحمل أهلها، وتعرف أيضاً باسم: (مهيجة)^(١) بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الياء وهي اليوم تقع بالقرب من مدينة رابغ على بعد ٦ أميال من البحر الأحمر^(٢) وتعد (الجحفة) أيضاً ميقاتا لأهل مصر وبلاد المغرب العربي^(٣) ويبعد عن الحرم المكي بحوالي ١٨٧ كم ولقد قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين أيدها الله بعمارة مسجدتها بتكلفة إجمالية قدرت بـ ١٠ ملايين ريال وبمساحة ٢م٩٠٠ وليستوعب نحو ٢٢٠٠ مصل^(٤).

الثالث: ميقات أهل نجد (قرن المنازل): ويسمى اليوم السيل الكبير^(٥).

ومنه الصحابي الجليل أويس القرني رضي الله عنه^(٦) ونظرًا لوجود طريقين رئيسيين إلى مكة المكرمة من نجد فقد تم تحديد نقطة الميقات والأحرام ببناء مسجدين عليهما ويعرفان اليوم بميقات السيل الكبير وميقات وادي محرم فيما يبعد مسجد ميقات السيل الكبير عن الحرم المكي

(١) محمد الرازي / مصدر سابق ص ٧٩

(٢) النوي / مرجع سابق ص ٥٨

(٣) الطيار / مرجع سابق ص ١٧٨

(٤) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٢٩

(٥) النوي / مصدر سابق ص ٩١

(٦) محمد الرازي / مصدر سابق ص ٣٩١

بنحو ٨٠ كم وقد قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين بعمارة مسجده في سنة ١٤٠٢ هـ في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله بمساحة تقدر بـ ٢٦٠٠ م^٢ ليستوعب لـ ٣٠٠٠ مصل وبتكلفة إجمالية تقدر بـ ٧٦ مليون ريال وهو مزود بالخدمات اللازمة التي يحتاجها الحاج والمعتمر وجميع البنى التحتية.

وأما مسجد ميقات وادي محرم فيقع في الجهة الجنوبية من مسجد السيل الكبير ويبعد عنه ٣٣ كم ومساحته الإجمالية ١٣٧٥ م^٢ (١).

الرابع: ميقات أهل اليمن (يلملم):

(يلملم) ينطق بفتح الياء واللامين وإسكان الميم (٢) ويسمى أيضاً السعدية وهو ميقات أهل اليمن يبعد عن مكة المكرمة بحوالي ١٠٠ كم وقد قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين في عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله بإعادة إعمار مسجده بتكلفة تقدر بـ ١١ مليون ريال وبمساحة بلغت نحو ٦٢٥ م^٢ ليستوعب لـ ١٥٠ ألف مصل (٣).

خامساً: ميقات أهل العراق (ذات عرق):

(ذات عرق) بكسر العين المهملة وإسكان الراء بعدها قاف هي

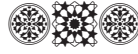
(١) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٢٩

(٢) النووي / مصدر سابق ص ١١٤

(٣) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٢٩

الحديين أهل نجد وتهامة^(١) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق رواه أبو داود والنسائي^(٢).

قيل في الأثر (أعرق الرجل) أي صار من أهل العراق^(٣) وروي أيضاً أن هذا المكان نسب إلى جبل يعلوه عرق أسود وهو أعلى قمة بالمنطقة ويعرف الآن بالضريبة ويبعد عن المسجد الحرام نحو ٩٠ كم وقد قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد يرحمه الله بإعادة أعمار مسجدها أيضاً على أحدث الطرز المعمارية الحديثة في سنة ١٤١٤ هـ^(٤).



(١) نفس المصدر ص ١١٤

(٢) الإمام أحمد الشافعي مصدر سابق، ص ٢٢٠

(٣) محمد الرازي / مصدر سابق ص ٣١٨

(٤) محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٢٩

عمارة المسجد الحرام في الإسلام

كانت مساحة المسجد الحرام في بداية الدعوة الإسلامية قليلة.. تحيط به الدور من كل جهة ولم يكن هناك جدار يحميه، وبين تلك الدور أزره يدخل منها الناس إلى المسجد من كل نواحيه. ومع مرور الزمن ازدادت الكثافة السكانية وضاق المسجد على الناس ولم يعد يتسع لهم، ونظراً لكون الرسول ﷺ كان مشغولاً بتأسيس الدولة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي في أنحاء الجزيرة العربية وما حولها لذلك لم نجد في كتب السيرة النبوية ما يشير إلى الاهتمام بعمارته في عهده ﷺ وكذلك كان الوضع مشابهاً في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان هو أيضاً رحمه الله مشغولاً بحروب الردة ومتابعة مانعي الزكاة حتى إذا كان عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان هو أول من شرع في توسعة الحرم المكي الشريف في الإسلام^(١) في السنة السابعة عشر من الهجرة النبوية^(٢) فبينما كان هو في المدينة المنورة يرعى أحوال أمته إذ أمر عامله على مكة المكرمة فأشترى دوراً وهدمها وهدم على قوم أبوان يبيعوله ووضع أثمان دورهم في بيت المال ثم أخذوها بعد ذلك وأحاط في عمارته تلك على الكعبة بجدار قصير دون القامة ليحمي الطائفين،

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ص ١٠

(٢) الأزرقى / مصدر سابق ج ١ ص ١

وقيل أنه حصب أرضية المطاف فيما دون الجدار بالحصباء^(١) وأتخذ للحرم المكي مصاييح وأسرجه جعلها فوق الحائط ليتمكن الناس من الطواف ليلاً وكسى الكعبة بثياب جبيء له بها من اليمن تسمى القباطي^(٢) وعلق على الكعبة هلالين كان قد أحضرهما له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية بعد أن تمكن من فتحها سنة ١٦هـ وذكر علماء السيرة أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بزيارة مكة المكرمة من المدينة المنورة ليطمأن بنفسه على ما أنجز من أعمال التوسعة وأثناء زيارته التفقدية تلك خطب في أهل مكة خطبة حثهم فيها على الاهتمام بزوار بيت الله الحرام وقال لهم: (إنما نزلتم على الكعبة فناؤها ولم تنزل الكعبة عليكم)^(٣) إلى آخر ما جاء في تلك الخطبة.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ازداد عدد الطائفين حول الكعبة وكثر المصلين في الحرم المكي^(٤) عن ذي قبل فقام رضي الله عنه بتوسعة الحرم وأشترى دوراً وأمر بهدمها فأبى من أبى وصيحه به من أبى فقال لهم رضي الله عنه وهو يبكي (إنما جراكم علي حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر رضي الله عنه هذا فلم يصيحه به احداً فاحتذيت على مثاله

(١) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٩٢

(٢) القباطي / ثياب تحضر من اليمن

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٠٠

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٤

وصيحتهم بي) ثم أمر بهم إلى الحبس حتى تشفع فيهم خالد بن أسيد فذكرهم وعفا عنهم^(١) وزاد عثمان رضي الله عنه في توسعته تلك بأن اتخذ للمسجد رواق مسقوف (وهو أول رواق ظل المسلمين) وقام رضي الله عنه أيضاً بكسوة الكعبة بالقباطي وعني أيضاً بتجديد أنصاب الحرم المكي^(٢) وتمت هذه التوسعة المباركة في السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية^(٣) ولم يهتم آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعمارة المسجد الحرام وتوسعته نظراً لانشغاله بالحروب والفتن التي واجهها من أهل الشام والخوارج فكان همه الكبير القضاء على هؤلاء الخارجين على دولة الإسلام وتتبعهم في شمال الجزيرة العربية ليستقر فيها الأمر حتى أنه قام بنقل عاصمة الدولة الإسلامية إلى الكوفة بالعراق ليسهل عليه ذلك^(٤) إلى أن أنتهى الأمر بمقتله واستشهاده رضي الله عنه.

وفي عهد الدولة الأموية وأثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان رحمه الله بادر بدوره بعمارة المسجد الحرام فقليل أنه اتخذ للمسجد الحرام منبراً وخدماء يقومون برش البيت العتيق بالطيب عند كل صلاة كما أمر بتبخيره بمجمر كان يبعثه إليهم من الشام مع الخلق، وكان يفعل ذلك أيضاً في

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٤٧

(٢) نفس المرجع ص ٤١

(٣) د/ محمد إلياس / مرجع سابق ص ٩٢

(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة

موسم الحج وزاد معاوية رضي الله عنه بأن وضع قناديل بها زيت لإضاءة المسجد ليلاً^(١) حتى قيل أنه أول من أضاء الحرم كاملاً ليلاً للطواف بيد أن الفاروق (رحمه الله) قد سبق إلى ذلك بأن وضع أسرجه على جدار الحرم البالغ ارتفاعه نصف القامة آنذاك ويبدو أنها لم تكن أضواء كافية ليتمكن معها الناس من الطواف ليلاً.

وفي سنة ٦٤ هـ وتحديدًا في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية رحمه الله حاصر الجيش الأموي الحرم المكي بقيادة الحصين بن نمير بعدما تحصن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في الحرم نتيجة لرفضه البيعة ليزيد بالخلافة مما أدى إلى رمي الكعبة المشرفة بالمنجنيق والنار^(٢) فأصابها الحريق وتصدعت جدرانها جراء ذلك وبعد انتهاء الحصار آثر الجيش الأموي الإنسحاب نظرًا لوفاة يزيد بن معاوية رحمه الله فقام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بجمع وجهاء أهل مكة وساداتهم وأشرافهم وشاورهم في هدم الكعبة وإعادة بنائها من جديد فأبى من أبى ورضي من رضي وكان أشدهم معارضة عبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث قال لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه: (دعها على ما أقره رسول الله ﷺ) فقال له عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (والله لا يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه فكيف

(١) عمر سليمان العقيلي / الدولة الأموية / مرجع سابق ص ٢٢٠

(٢) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٤٩

أرفع بيت الله وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى أن الحمام ليقع عليه فتتأثر حجارته) ^(١). قال أحد المكيين:-

(أن عبد الله بن الزبير دخل حينها مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه المسجد الحرام والكعبة محرقة حين أدبر جيش الحصين بن نمير فكانت حجارتها تتأثر فوقف معه أناس غير قليل على هذا المشهد فبكى حتى أني لأنظر إلى دموعه تتساقط كحلاً من عينه من أثم كأنها رؤوس الذباب على وجنتيه وكان بالمسجد خيام وفساطيط كثيرة فاحترقت وضعف بناء الكعبة حتى أن الطير ليقع عليه فتتأثر حجارته) ^(٢) وذكر المؤرخون أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قام بعد ما رأى من أمر الكعبة بينائها حتى قيل أنه خلقها من داخلها وخارجها ومن أعلاها إلى أسفلها بالمسك والعنبر وكساها القباطي ^(٣) وجعل لها بابين للدخول والخروج وكان ابن الزبير يريد بذلك تحقيق ما كان رسول الله ﷺ يريد للكعبة.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (الم ترى إلى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم !! قال: لو لا حدثان قومك بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولا دخلت

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٢٧ (تاريخ مكة)

(٢) الأزرق / مصدر سابق ج ١ ص ١٩٥

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٢٧ (تاريخ مكة)

الحجر فيها^(١).

ولما وصل خبر ما زاده ابن الزبير في الكعبة إلى الخليفة الأموي الجديد عبد الملك بن مروان أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بهدم ما زاده عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في الكعبة وإعادة بنائها على ما كانت عليه قبل ذلك خشية أن يكون ذلك اجتهداً من الزبير ومن تلقاء نفسه فقام الحجاج بهدم الكعبة ستة أذرع وشبراً (ثلاثة أمتار تقريباً) مما يلي الحجر وسد أحد البابين وترك سائرهما لم يحرك وكان ذلك في سنة ٧٣هـ وقيل سنة ٧٥هـ ثم كساها عبد الملك بن مروان الديباج^(٢) كما عني عبد الملك بن مروان رحمه الله أثناء عمارته تلك بتجديد سقف المسجد وأتخذ له خشباً من الساج واستورد له السواري محلاة رؤوسها بالذهب^(٣) وكان يحضر الساج من جده عن طريق البحر وتحمل على عجل إلى مكة^(٤) وقيل أنه أضاء ما بين الصفا والمروة لتسهيل السعي ليلاً كما أنه أتخذ للحجر الأسود مصباحاً كبيراً يضي لمن أراد الطواف ليلاً ثم استلامه وبنى عبد الملك بن مروان ضفائر للبيوت الملاصقة للمسجد تحول دون اختراق السيل كما أهدي شمستين من الديباج وقدحين من زجاج معلق في السقف وزين أسطواناته بالذهب

(١) ابن كثير / مصدر سابق ج ١ ص ١٥٩ (البداية والنهاية)

(٢) عمر سليمان العقيلي / مرجع سابق ص ١٥٠

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٥٠

(٤) عمر سليمان العقيلي / مرجع سابق ص ٢٢١

فجعل في كل رأس واحد منها خمسون مثقالاً من الذهب^(١) وقام أيضاً بعمل سواتر وردميات على الطريق المؤدية إلى البيت الحرام لمنع السيول عنه^(٢).

ولما جاءت خلافة الوليد بن عبد الملك رحمه الله قيل أنه بعث إلى واليه على مكة خالد القسري بستة وثلاثون ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفاحاً من ذهب وكذلك على الميزاب وعلى الأساطين التي في سقفها وعلى الأركان في جوفها^(٣) وقام رحمه الله بنقض أعمال أبيه السابقة في سقف المسجد الحرام وبناءه بإحكام وزين المسجد بالعقود المزخرفة بالفسيفساء ووسعه وازداده داخله بالرخام^(٤) الأبيض والأخضر والأصفر الذي جاء به من الشام ومصر وفرش به أرض الكعبة وجدرانها^(٥) فصار بذلك أول من عمل الفسيفساء والرخام في الحرم المكي^(٦) كما أنه جعل للمسجد شرفات وأهدى للكعبة هلالين وسريراً من ذهب^(٧).

وذكر بعض المكيين أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أثناء ولايته على

(١) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٢١

(٢) عمر العقيلي / مرجع سابق ص ٢٢٢

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٣١

(٤) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٥١

(٥) عمر العقيلي / مرجع سابق ص ٢٢٢

(٦) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٥

(٧) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٥١

الحجاز زاد بعض الزيادات التي شملت رواقاً وسرادق للمصلين.

وأما ما جاء في كتب المصادر التاريخية من أمر عناية خلفاء الدولة العباسية بعمارة المسجد الحرام فقليل أنها تأخرت قليلاً بسبب الثورات الداخلية وما نتج عنها من حروب وفتن ورغم ذلك كان لهم دوراً كبيراً في العناية والإصلاح^(١) فقد قام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله بتوسعة مساحة الحرم المكي أكبر بنصف مما كانت عليه من قبل ثم زين المسجد بالرخام والزخارف والذهب خاصة على جدار حجر إسماعيل عليه السلام وجعل على بئر زمزم شباكاً لمنع السقوط وفرش أرض الحرم بالرخام^(٢) وأكمل ولده محمد المهدي ما بدأه والده في الجانب الغربي والجنوبي وجعل بذلك الكعبة في وسط المطاف وتمت توسعته تلك على فترتين وأنفق فيها أموال عظيمة المقدار^(٣) وقال المهدي في ذلك: (سأزيد في المسجد ولو كلفني ذلك جميع بيوت المال) ومما يدل على اتقانه لهذه التوسعة وجودة العمل بها بقائها قرون عدة^(٤).

وزاد بعض المؤرخين بأن محمد المهدي رحمه الله استشار الإمام مالك بن أنس رحمه الله في توسعة الكعبة المشرفة وردها على الصفة التي بناها عبد

(١) عمر العقيلي / مرجع سابق ص ٢٢٢

(٢) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٨

(٣) ابن كثير / مصدر سابق (البداية والنهاية) ج ١ ص ١٥٥

(٤) د/ محمد عبد الغني / مرجع سابق ص ٩٢

الله بن الزبير رضي الله عنه ولكنه أشار عليه بعدم فعل ذلك خوفاً من أن يتخذها الملوك ذريعة لبنائها على الصفة التي يريدونها ويهوونها^(١) ثم قام المهدي رحمه الله بالاكتفاء بشراء البيوت المجاورة للحرم المكي لتوسعته الجديدة وتوسعة المسعى وبنى عدداً من الأروقة وسقفها بالساج، ومهد طرقاً للمارة، وعمر منارات جديدة واتخذ للحرم أبواباً^(٢) وأعتنى الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله بالعيون التي طمرت بعد عهد معاوية فأحيها وجعل مياهها في عين واحدة يقال لها (الرشا) وبنى بركاً للماء في أعلى مكة وأسفلها وكذلك فعلت زوجته الخيزران حين حجت^(٣) فقامت بشراء أرض حنين بنخلها وزرعها وجعلت فيها قنوات للماء أوصلتها إلى أطراف مكة وأشرت أراضٍ في وادي النعمان وفي عرفات لتتمكن من إيصال المياه إلى الحجاج^(٤) وذكر أيضاً أن هارون الرشيد رحمه الله أهدي للحرم المكي منبراً منقوش في تسع درجات من عامله على مصر ونقل المنبر القديم إلى عرفات^(٥).

أما الخليفة العباسي المتوكل على الله رحمه الله فقد قام هو أيضاً

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٤

(٢) ابن كثير / المصدر السابق (البداية والنهاية) ج ١ ص ١٥٥

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ١٨٠

(٤) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٧

(٥) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨٠

بتخصيص مكان خاصاً للنساء مغطى بالحبال فكان بذلك هو أول من خصص للنساء مكاناً في الحرم المكي كما أمر بتخصيص ثمانية مثقال من الذهب لتحلية المقام الإبراهيمي وأهدى للحرم المكي منبراً عظيماً^(١).

واعتنى أيضاً خلفاء العصر العباسي الثاني وأمرأؤهم من الأتراك وغيرهم بالمسجد الحرام فنجد أن الخليفة العباسي المعتضد بالله يأمر بإدخال دار الندوة كاملة في المسجد وجعل لها أساطين وأروقه وسقفها بالعاج المذهب والمزخرف وجعل لها منارة خاصة بها. كما قام الخليفة المقتدر بالله العباسي بإدخال دار زبيدة في المسجد وجعل لها أروقه وطاقات^(٢).

أما الخليفة العباسي المعتمد على الله فقد قام هو الآخر بإصلاح ماوهن من جدار الكعبة وأهدى الخليفة العباسي المطيع بالله قنديلاً من ذهب وعدة قناديل من فضة، وأهدى المكتفي بالله باباً للكعبة منقوش عليه اسمه ومنبراً^(٣) أما آخر الخلفاء العباسيين المستنصر بالله فقد بنى بهيكله في مكة قرب باب الزيارة ليتمكن الحجاج من العلاج فيه كما بني مدارس على يمين الداخل من باب السلام وبني حاشية للمطاف وزين الممرات بمشاعل مضاءه^(٤).

(١) أحمد السباعي / مصدر سابق ج ١ ص ١٨٤

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٧

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ص ٢٥٢

(٤) نفس المرجع سابق ج ١ ص ٢٨٧

ويذكر المؤرخون أن سلاطين الدولة الفاطمية قاموا هم أيضاً بعمارة الحرم المكي في سنة ١٣٥٨ هـ برغم تشيعهم وتعتهم على السنة وما عانتة مكة المكرمة أبان فترة حكمهم من الضيق والغلاء بسبب ما فرضوه من الضرائب على الحجاج وما بنوه من القلاع والأسوار مما إلى ضعف النشاط العلمي بالحرم وقلت حلقات الدروس فيه أثر تفرق أعلامها في الأمصار وبرغم كل ذلك فقد كان لهم^(١) دورهم الملموس في عمارة المسجد الحرام فقد حرصوا على العناية به وبعمارته منذ عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ويبدو أن هذا الاهتمام بالحرم المكي كان ناتج عن سيطرتهم السياسية على الحجاز والحرمين الشريفين وبما يتمتعون به من الزعامة الروحية على العالم الإسلامي آنذاك فبعنايتهم تلك للحرم المكي يرون أنهم اكتسبوا بذلك قوة وصفة شرعية أمام العالم الإسلامي وأمام الشعوب التي يحكمونها بل والعالم بأسره^(٢).

وبهذه الأعمال الدينية في الحرمين الشريفين فأنهم يجدون في هذا المكان متنفساً طبيعياً للتبشير بنظام جديد يعيد للإسلام قوته ونقاءه كما يدعون وهم بذلك يكسبون عدداً كبيراً من الأعوان^(٣) فمن أبرز هذه الإصلاحات التي قاموا بها في الحرم المكي أنهم جددوا اسطوانات الحرم فجعلوها من

(١) د/ محمود محمد حمو/ مرجع سابق ١٩

(٢) حسن إبراهيم حسن / مرجع سابق ج ٤ ص ٢٢٢

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٢٥٥

الرخام وأصلحوا بعض المواضع في سقفه وكسوا الكعبة عدة مرات ومن أشهر ما أضافوه في الحرم المكي الشريف إنشاء المقامات الأربعة الدائمة في صحن الحرم كان ذلك ما بين القرنين الرابع الخامس الهجريين على ما ذكره ابن جبير في رحلته عام ٥٧٨هـ^(١) فقد كانت تلك المقامات مرتعاً للمعتقدات الفاسدة ومكاناً خصباً لنشر الأباطيل بين عامة الناس فشاعت وأثمرت.

ونظراً لما قامت به الدولة الفاطمية من نشر لهذه المعتقدات الشيعية الفاسدة في أرض الحرم المكي إبان فترة حكمهم للحجاز فقد كثفت الدولة الأيوبية (٥٤٦هـ - ٦٥٢هـ) بعدهم جهودها لإصلاح ما فسد من الوضع العقدي بل والديني الذي حل بأرض الحرمين فكان سلاطين الدولة الأيوبية مرحبا بهم من المكيين خصوصاً والمسلمين عموماً فانتشرت بفضل الله ثم بجهودهم الطمأنينة والسعة بين أهل مكة فقد عني السلطان نور الدين زنكي بطرق الحج وأرسل أموالاً وافرة إلى مكة لعمل عدد من الإصلاحات وتلاه السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أرسل أموالاً جزیلة لتصرف على أمور الحرم مقابل إسقاط الضرائب عن الحجاج كما أرسل أموالاً أخرى إلى القبائل لحماية قوافل الحجاج فأمنت السبل وانتعشت التجارة^(٢) ومع كل هذا الاهتمام بالأمن وسعة

(١) ابن جبير / مصدر سابق ص ١١٠

(٢) د/ محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ١٩

الأرزاق إلا أنه لم يتسن للأيوبيين العناية بعمارة المسجد الحرام فقد اكتفوا فقط بإنشاء دار لضرب السكة في مكة^(١) لحل الأزمة المالية التي خلفها الفاطميون واستمر الوضع حتى جاء عهد المماليك الشراكة (٦٥٢هـ - ٦٢٣هـ) الذين أولوا جل اهتمامهم للحرمين الشريفين ويرجع ذلك نتيجة لعجمتهم ولقرب إسلامهم من ناحية أخرى حتى أننا وجدناهم قد قاموا بإعادة إعمار المسجد الحرام كاملاً بسبب السيل الذي أصابه فأصلحوا ما تلف منه وجددوا أبوابه^(٢) وكسوا الكعبة بالحرير الأسود وجعلوا فوق المقام الإبراهيمي قبة عملت في سنة ٨٨١هـ وأهدوا للحرم المكي منبراً من خشب، وعملوا صنايعر للوضوء من نحاس^(٣) كما أقاموا حلقات للدرس في أنحاء المسجد الحرام^(٤).

وعندما خضعت بلاد الحجاز لحكم العثمانيين سنة ٩٢٣هـ أهتم سلاطينها بالمسجد الحرام اهتمام كبيراً وربما يرجع ذلك لحدثة إسلامهم وحرصهم على كسب ولاء المسلمين فنجد مثلاً أن الفرد العثماني في بلاد الأناضول كان يحرص على إرسال ديناراً أو درهماً ذهباً أو حلياً مع ما

(١) مجموعة من المؤلفين / دول العالم الإسلامي في العصر العباسي / مطابع جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية / الرياض / ١٤٣٥هـ ص ٦٩

(٢) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٨١

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ١ ص ٣٨٣

(٤) مجموعة من المؤلفين / مرجع سابق ص ١١٠ (دول العالم الإسلامي)

يسمى بالمحمل العثماني في موسم الحج ليوضع باسمه في داخل الكعبة لأنه لم يستطع الحضور بنفسه للحج ناهيك عن اهتمام خلفائهم الأتراك فقد أهتموا ببناء المدارس والمكتبات وشيدوا المنارات وجددوا سطح المسجد وأوقفوا بيوتاً خاصة للقضاة وأعادوا اعمار وبناء الكعبة لما أصابها من السيل كما أننا وجدناهم قد خصصوا بعض الأوقاف في مصر للعناية بالمسجد الحرام وكسوة الكعبة سنوياً.

ومن أعظم نماذج تلك الإصلاحات التي قام بها سلاطين الدولة العثمانية ما أمر به السلطان سليمان القانوني ٩٢٦هـ / ٩٧٤هـ من العمارة الشاملة للحرم المكي والتي تمثلت في زيادة سقفه الخشبي بقباب دائرية بنيت بالحصص والأجر لتقي المصلين حر الشمس وبعد موت السلطان سليمان سنة ٩٧٤هـ أكمل السلطان سليم الثاني ثم السلطان مراد الثالث ما أمر به لسلطان سليمان القانوني رحمه الله والحقيقة أن استمرار هذه العمارة للحرم المكي في عهد ثلاثة من السلاطين^(١) العثمانيين لأكبر دليل على عظمها واتساعها، يقول الدكتور محمد عبدالغني بأنه بدأ العمل في هذه العمارة سنة ٩٨٠هـ وانتهت سنة ٩٨٤هـ في عهد السلطان مراد الثالث رحمه الله^(٢).

(١) ضياء عطار / مرجع سابق ص ٢٩، ٣٠، ٣٢

(٢) د/ محمد محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٩٣

وكان آخر عمارة عثمانية للحرم المكي قام بها السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣هـ - ١٢٩٣هـ) تميزت هذه العمارة بقبابها وأعمدتها التي تعد أعظم عمارة عثمانية شهدها الحرم المكي على الإطلاق ولا أدل على ذلك من تعهد المشرف عليها ببقائها سبعمائة عام انقضى منها إلى اليوم خمسمائة عام^(١). ولا تزال هذه العمارة قائمة إلى اليوم شاهداً على حضارة عريقة متميزة بإتقانها الفريد^(٢).

وذكر بعض المؤرخين أيضاً أن والدته السلطان عبد الحميد رحمه الله اهدت ستة عشر عموداً للحرم المكي على رأس كل عمود تاج من معدن أصفر مزين بقناديل وزعت في أنحاء المسجد وأروقته وصحنه وعند أبوابه^(٣) وبقيت العمارة العثمانية للسلطان عبد الحميد المتميزة بقبابها وأعمدتها المتعددة المحيطة بالكعبة المشرفة في جميع نواحيها معلماً حضارياً ودليلاً باقياً إلى الآن على ذلك الاهتمام العثماني الواضح إلى أن تم تجديدها من أجل توسعة صحن المطاف في سنة ١٤٣٥هـ بشكل هندسي رائع لم يسبق لأحد في التاريخ الإسلامي القيام به في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله.

ولما سيطرت الدولة السعودية الأولى على الحجاز في عهد الإمام سعود

(١) ضياء عطار / مرجع سابق ص ٢٩

(٢) محمد عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ٨١

(٣) أحمد السباعي / مرجع سابق ج ٢ ص ٦٦٩

بن عبدالعزيز يرحمه الله ١٢١٨هـ / ١٢٢٩هـ^(١) وبعد أن حج حجته الثامنة^(٢) أهتم الإمام سعود بالحرم المكي الشريف فأمر بكسوة الكعبة سنوياً بالقز الأحمر والقيلان وأمرهم كذلك بتطريز ستارة بابها بالذهب والفضة^(٣) ثم نهج نهجه أئمة الدولة السعودية الثانية خاصة بعد انقضاء فترة حكم محمد علي باشا الوالي العثماني على مصر الذي كان تركيزه منصباً على المناصب الإدارية في مكة والنواحي المالية فقط دون عمارتها مما أدى إلى نشوب الخلافات بين الأشراف فعاشت مكة في عهده شيئاً من الضيق والفقر ولكن سرعان ما عاد الرخاء بعد أن أمر محمد علي باشا بفتح باب الاستيراد للتجارة هناك كما أعيدت المرتبات التي كانت تصرف على فقراء مكة ولما سلم حكم الحجاز إلى أسرة الأشراف الهاشميين أمر باستمرار إيصال المساعدات والمؤن والكساء من مصر (الولاية العثمانية) ثم ما لبث أن تنازل الإشراف عن ولاية الحجاز منسحبين تماماً لبدء عهد جديد متمثلاً في حكومة جلاله المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله^(٤) الذي جعل جل اهتماماته الأولوية هي رعاية شؤون الحرمين الشريفين ونظراً لازدحام الحجاج والزوار سنوياً فقد وجه رحمه الله

(١) مجموعة من العلماء / تاريخ المملكة العربية السعودية / مرجع سابق ص ٥٠

(٢) د/ محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ٢٤

(٣) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨٥ (تاريخ مكة)

(٤) د/ محمود محمد حمو / مرجع سابق ص ٢٧

بتطوير وأعمار الحرم المكي على أحدث الطرز المعمارية الحديثة من أجل راحة الزوار وطمأنيتهم فأصدر يرحمه الله في عام ١٣٤٤هـ تعليماته بترميم كل ما يقتضي ترميمه في الحرم مثل رصف شارع المسعى وتجديد سقفه وتوسعة المطاف وإزالة العوائق المحيطة به وفي عام ١٣٦٨هـ أعلن جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله عزمه على توسعة الحرم المكي من جميع جهاته وإعداد الدراسات اللازمة لذلك. ولأن عمارة السلطان عبد الحميد كانت في أحسن حال فضلاً عما تتسم به من جمال وإتقان فقد تقرر الإبقاء على قسم كبير منها^(١). وفي عام ١٣٧٠هـ بدأ العمل في التوسعة السعودية الأولى فرمم المسجد وتم ترميم الحرم بأكمله فجددت الأرصفة وأصلحت الأبواب وأرضيات الأروقة ورصفت شوارع المسعى وجددت مظلته^(٢) كما أزيلت جميع المظاهر السلبيه والبدعية المقامة في صحن الحرم وتم توحيد الصلاة بإمام واحد وأذان واحد وإقامة واحدة^(٣) وفي عام ١٣٧٥هـ تحديداً في عهد الملك سعود رحمه الله استأنف العمل في أكبر توسعة شهدها الحرم المكي في تاريخه. استمرت هذه التوسعة عشرين عاماً فهدمت بيوت على جانبي المسعى وبنى له طابقين مع حواجز تفصل بين الصفا والمروة قليلة الارتفاع وجعل للطابق الأول ستة عشر باباً ومدخلان للطابق الثاني

(١) مجموعة من العلماء / تاريخ المملكة العربية السعودية / جامعة الإمام ص ١٥١

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨٥

(٣) نفس المرجع ص ٢٧

أحدهما عند الصفا والأخر عند المروة وهدمت المباني من الناحية الجنوبية والغربية والشامية وتم بناء رواق جديد بطابقين وبنيت بدرومات تحت التوسعة فزاد بذلك عدد الأبواب ليصبح عددها واحد وخمسين باباً ما بين صغير وكبير وأنشأت سبع منابر للحرم وغطيت جدرانها بالمرمر وسقفه وعقوده بالحجر الصناعي حتى بلغت مساحة الحرم بعد زيادة التوسعة في عهد الملك سعود ١٨٠٨م^(١) وعمل في نهاية التوسعة من الناحية الجنوبية باباً خاصاً باسم الملك عبدالعزيز رحمه الله وكان شرف الأشراف على مشروع هذه التوسعة للشيخ محمد بن لادن ولما جاء عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله أهتم كذلك بالحرم المكي الشريف فقام رحمه الله بعقد مؤتمر خاص لكبار المهندسين المسلمين للنظر في إمكانية تطوير عمارة المسجد الحرام وأوصى المؤتمر في ختام جلسته بالدمج بين المباني القديمة العثمانية والمباني الحديثة المراد أنشائها وفي عام ١٣٨٧هـ صدر بياناً قررته رابطة العالم الإسلامي بإزالة البناء القديم على مقام إبراهيم وجعل له غطاء زجاجي بلوري وأتم المغفور له بإذن الله جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ما تبقى من التوسعة التي أمر بها والده الملك عبدالعزيز رحمه الله فتم في عهده توسعة المطاف وإلغاء الحساوي والمشايات ونقل المنبر والمكبرية ووسع قبو زمزم وجعل مدخله قريباً من حافة المسجد جهة المسعى وبلط أرض المطاف

(١) الشيخ / محمد بن عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ٢٥-٢٨

بالرخام والبلاط والمقاوم للحرارة الذي جلبه من اليونان مما أدى إلى راحة الطائفين والمصلين في وقت الظهيرة كما قام رحمه الله بصنع باباً للكعبة من الذهب الخالص وباباً آخر للسلم الموصل إلى سطح الكعبة من داخل الكعبة المشرفة^(١) وأثناء الخطة الخمسية الرابعة ١٤٠٥ هـ / ١٤١٠ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله بدأ العمل في التوسعة السعودية الثانية للحرم المكي حيث حدد بنفسه يرحمه الله مجال التوسعة فجعلها تمتد من باب الملك عبدالعزيز إلى باب العمرة بطابقين وبدروم مع تمهيد سطح المسجد وتبليطه للصلاة فيه في أوقات الذروة وبذلك زاد استيعاب المسجد ليتحمل أكثر من ٨٠٠٠٠ ألف مصلى^(٢) في وقت واحد كما تم عمل ثلاثة مبان منفصلة للسلام الكهربائية لتسهيل صعود الزوار والحجاج إلى سطح المسجد كما اشتملت هذه التوسعة المباركة على مدخلاً رئيسياً باسم الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله وأربعة وعشرون مدخلاً فرعياً ومدخلاً للبدرين وأصبح عدد المداخل الرئيسية أربعة وعشرون مدخلاً فرعياً ومدخلاً للبدرين وبذلك أصبح عدد المداخل الرئيسية أربعة مداخل وعدد المداخل الفرعية ٥٤ مدخلاً بجانب ستة مداخل للبدرين والمداخل العلوية للطابق الثاني وفي هذه التوسعة أضيفت لباب الملك فهد

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨٧ (تاريخ مكة)

(٢) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨٧ (تاريخ مكة)

رحمه الله مؤذنتان حديثان ليصبح عدد المآذن في الحرم المكي تسع مآذن^(١) وبذلك بلغت المساحة الفعلية للمسجد ستة وسبعين ألف متر مربعاً / وفي هذه التوسعة أقيمت محطة تكييف للتوسعة على بعد ٦ كم ليصل الهواء البارد للمسجد عبر أنابيب وزعت في عمارة المسجد^(٢) تضم نفقاً للخدمات يقوم بربط المحطة مع وحدات مناولة الهواء في مبنى التوسعة والتي تقوم باستقبال وتوزيع الهواء البارد^(٣) كما أضيفت في هذه التوسعة مساحات خارجية للحرم المكي مكسية ببلاط عاكس للحرارة من نفس الحجر الذي كسيت به أرضية الصحن من البلاط العاكس للحرارة واشتملت هذه التوسعة أيضاً على أنظمة متطورة للخدمات مثل نظام مياه الشرب المعقم والمبرد وتصريف المياه والمجاري ونظام مكافحة الحرائق^(٤).

وفي عام ١٤٣٥ هـ بدأ المشروع للعمل في التوسعة السعودية الثالثة والتي أقيمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله حيث شهد المسجد الحرام استمرار العمل على مدار الأربع والعشرين ساعة بدون توقف لاستكمال مشروعات جباره وتوسعات تاريخيه لم يشهد لها مثيل من قبل يأتي في مقدمتها مشروع رفع الطاقة

(١) المبارك فوري / مرجع سابق ص ٨٨ (تاريخ مكة)

(٢) مجموعة من العلماء / مرجع سابق ص ١٥٢ (تاريخ المملكة)

(٣) د/ محمد عبدالغني / مرجع سابق ص ٩٨

(٤) مجموعة من العلماء / مرجع سابق ص ١٥٢ (تاريخ المملكة)

الاستيعابية للمطاف ليضم ١٠٥ الاف طائف في الساعة الواحدة في نهاية ١٤٣٦هـ وليستوعب الحرم المكي مليوني مصلاً في آن واحد ولتكون هذه التوسعة الثالثة بذلك هي أكبر توسعة مرت على الحرم المكي في تاريخ المملكة العربية السعودية والحرم المكي وبمساحة تقدر (٧٥٠, ٠٠٠) متر مربعاً بتكلفة قدرها ٤٠ مليار ريال ففي هذه التوسعة تم إعادة ترتيب الحرم القديم لربطه مع التوسعة السعودية الأولى القديمة والحديثة مع توزيع أعمدة الدور الأرضي والبدروم بنسبة ٣٠٪ وتخفيض عدد أعمدة الدور الأول بنسبة ٧٥٪ ليكون إجمالي التخفيض لعدد أعمدة الحرم بنسبة ٤٤٪. مما يمنح الطائفين شعوراً واضحاً بالسعة والراحة أثناء الطواف ويتضمن المشروع كذلك توسعة المنطقة المحاذية للمسعى لتصبح ٥٠ متراً بدلاً من ٢٠ متراً وبذلك يتم حل مشكلة الاختناقات التي كان يواجهها الطائفون في تلك المنطقة كما تضمن المشروع إعادة تأهيل المنطقة بين الحرم الحالي والتوسعة السعودية الثانية وربطها بواسطة جسور للربط في مناسيب الدور الأول والسطح وبذلك يتحقق الارتباط المباشر للبدروم بالتوسعة الثانية والمسعى ليصبح بكامل عرض المبنى الجديد مما يحقق للزوار الارتباط والاتصال البصري بالكعبة المشرفة وللحفاظ على الإرث التاريخي لعمارة الحرم الشريف وبدأت أعمال هذا التوثيق بكافة أشكاله باستخدام أحدث التقنيات الحديثة للتوثيق وبأدق التفاصيل لاستخدام العناصر المعمارية

التاريخية في الأروقة القديمة نفسها بشكل يتناسب مع التخطيط الجديد وسيتم بإذن الله في هذه التوسعة تنفيذ المشروع على ثلاث مراحل خلال ثلاث سنوات حيث بدأ العمل به في شهر المحرم من عام ١٤٣٤هـ كما شهدت هذه التوسعة اهتماماً خاصاً من أجل الاعتناء بالطائفين من كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة فقامت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بإنشاء جسر لطواف ذوي الاحتياجات الخاصة على شكل حلقة دائرية تحاذي الرواق القديم بعرض ١٢ متراً وارتفاع ١٣ متراً لفصل حركة عربات ذوي الاحتياجات الخاصة عن حركة الطائفين في صحن الطواف طيلة مدة تنفيذ مشروع رفع الطاقة الاستيعابية للمطاف لتبلغ المساحة الإجمالية للمشروع ١٦٠ ألف متر كما يتضمن المشروع إعادة صياغة لتوزيع أعمدة الحرم القديم من الجهة الشرقية والشمالية والغربية والجنوبية بما يتماشى مع توزيع الأعمدة المقترحة لتوسعة المطاف بحيث يتكامل معها ولا تتعارض مع مسارات الدخول والخروج من وإلى صحن المطاف مع معالجة فرق المنسوب الحالي بحيث يصبح الرواق في نفس منسوب الصحن أخذاً في الاعتبار الحفاظ على تراث المسجد الحرام.

ويوفر المشروع أيضاً مسطحات داخلية للصلاة والطواف تتسع لحوالي ٢٦٠ ألف مصل و ١٠٥ ألف طائف لكل ساعة وفي هذه التوسعة المباركة تم تهيئة مسطحات الدور الأرضي الأول من توسعة الملك عبد الله

للمسجد الحرام للصلاة خلال موسم عام ١٤٣٧ هـ فضلاً عن الساحات المحيطة بهما وربطها بالطرق الرئيسية المؤدية إلى المسجد الحرام ومحطات النقل الخاصة من كافة الاتجاهات.

وتم أيضاً تهيئة نظام خاص لجمع المخلفات بواسطة نظام التفريغ الآلي من أدوار التوسعة وتأمين نظام لشفط الأتربة من أدوار التجهيزات اللازمة لأعمال التحكم البيئي وأعمال مكافحة الحريق وأعمال صرف مياه الأمطار وتمديدات الأعمال الكهربائية والمحطات الكهربائية وشبكة التوزيع ووحدات التغذية الكهربائية غير المنقطعة ونظام التلفزيونات ونظام الإنذار عن الحريق ونظام التحكم في الدخول والانتزكوم ونظام التحكم الرقمي في شبكة الضغط المتوسط والإنارة ونظام الصوت والمراقبة التلفزيونية ونظام الإرشاد والساعات ونظام المراقبة التلفزيونية ومراقبة الحشود التي يتم فيها توفير كاميرات مراقبة جديدة من النوع الحديث ثابتة ومتحركة بأشعة تحت الحمراء وتوسعة نظام المراقبة المركزي.

وتتضمن التوسعة أيضاً نظام جديداً للمصاعد والسلام المتحركة للتوسعة والمسجد الحرام يشهد عملاً متواصلاً على مدار الأربع والعشرين ساعة لإنجاز التوسعة الجديدة ومشروع رفع الطاقة الاستيعابية للمطاف. «والحق يقال أن ما قامت به حكومة خادم الحرمين الشريفين من جهود ملموسة ومشهودة إلى الآن في الحرمين الشريفين ليعتبر مصدر عز

وافتحار للمسلمين في إنحاء المعمورة حتى أصبح القاصدون للحرمين الشريفين لا يخشون إلا الله في حلهم وترحالهم وكان ذلك عاملاً قوياً في كثرة الحجاج والزائرين للحرمين الشريفين^(١).

ولتهيج قلوب المؤمنين بالدعاء لهؤلاء الذين كرسو جهودهم وأموالهم وطاقاتهم لخدمة الحرمين الشريفين في أروقتهم وساحاتهم بأجل خطاب ينجي به العبد ربه العزيز الوهاب^(٢).



(١) محمد غالي محمد الأمين الشنقيطي / الدر الثمين في معالم الرسول الأمين ﷺ / مؤسسة

علوم القرآن / بيروت الطبعة الثانية / ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ص ١٠٦

(٢) الشريف عبد الله بن منسي العبدلي / المسجد الحرام من قلب الملك عبدالعزيز / مكة المكرمة

/ ١٤١٩هـ ص ٩٥

مواضع صلى فيها النبي ﷺ

- ذكر العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي في كتابه (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) أبرز المواضع المباركة التي صلى فيها النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم^(١) في الحرم المكي وهي:-
١. خلف المقام الإبراهيمي عليه السلام.
 ٢. تلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف.
 ٣. قريباً من الركن الشامي مما يلي الحجر.
 ٤. عند باب الكعبة «فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أمني جبريل عليه السلام عند باب الكعبة مرتين).
 ٥. عند الملتزم.
 ٦. تلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة الغرب.
 ٧. عند باب العمرة خلف الكعبة.
 ٨. في مصلى آدم عليه السلام في وجه الكعبة.
 ٩. في الحجر.
 ١٠. عند الركن اليماني وهو الموضع الذي تاب فيه آدم عليه السلام.



مواضع يستجاب فيها الدعاء

ورد عن العلامة الحسن البصري في رسالته المشهورة (رسالة في فضائل مكة) ورقة أربعة.

أنه قال: ويقال أن الدعاء يستجاب بمكة في مواضع متعددة وهي^(١):

١. عند الملتزم (بين الحجر الأسود وباب الكعبة).
٢. تحت الميزاب في الحجر الإسماعيلي.
٣. عند الركن اليماني.
٤. على جبل الصفا.
٥. على جبل المروة.
٦. بين الصفا والمروة.
٧. بين الركن والمقام (الحطيم).
٨. في جوف الكعبة.
٩. خلف المقام الإبراهيمي.
١٠. أثناء الطواف.
١١. عند شرب زمزم قرب بئر زمزم.
١٢. عند الحجر الأسود أثناء تقيله.

(١) الفاسي / مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٢ و ص ٣٣٣

تَعَالَى الْمَلِكُ

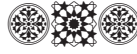
١٣. عند المستجار قرب الركن اليماني.

١٤. في منى.

١٥. في مزدلفة.

١٦. في عرفات.

١٧. عند الجمرات الثلاث.



الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين

بعد استقرار الأمر في المملكة العربية السعودية للملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ودخوله مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ أبدى اهتماماً كبيراً بالحرمين الشريفين كما سبق وأن أوضحنا وحرصاً منه على حسن سير العمل بينهما وخدمة الحجاج والمعتمرين فقد أصدر أمره الكريم حينئذ بإنشاء مجلس إدارة الحرم برئاسة الشيخ هاشم بن سليمان رحمه الله ومهمته تتمثل في إدارة المسجد الحرام ومراقبة خدماته.

ولما وصل الملك عبد العزيز إلى المدينة عام ١٣٤٥هـ وبعد النظر في شؤونها والاطلاع على ما يحتاج إليه المسجد النبوي من تنظيمات إدارية وإصلاحات معمارية وبعد أن استمع إلى اقتراحات بعض المسؤولين فيه، حدد له ما يحتاج إليه المسجد النبوي في مسائل أساسية انتخب لكل مسألة منها لجنة من خبراء البلاد وعن طريقهم حلت كل تلك المسائل ثم رتب الأمور في المدينة على أحسن الوجوه.

وبعدها بسنة واحدة في عام ١٣٤٦هـ أمر رحمه الله بتعيين مجلس إدارة جديد للمسجد الحرام برئاسة الشيخ سليمان أزهري رحمه الله وفي عام ١٣٥٤هـ شكلت في هذا المجلس إدارة تربط بين إدارة الحرم المكي وإدارة

المسجد النبوي في المدينة المنورة وأوقاف جده ومقرها في مكة المكرمة^(١).

وفي سنة ١٣٨١هـ اسندت إدارة الحرم المكي السابقة إلى إدارة الأوقاف حيث تولى مهامها عدد من وجهاء ومكة مثل الشيخ محمد عمر توفيق وحسن محمد كبتي^(٢) وفي عام ١٣٨٤هـ عين على وزارة الأوقاف الأستاذ / محمد حسين عرب ليشراف على مهامها ومسؤولياتها، ثم صدر مرسوم ملكي برقم (٤٣) بإنشاء الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام مستقلة عن وزارة الأوقاف وكان أول رئيس لها هو الشيخ / عبد الله بن محمد بن حميد.

ثم صدر في ١٣٩٧هـ التوجيه السامي بإنشاء الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين والتي أنيط بها الإشراف الكامل على المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وكان أول رئيس لها بعد التعديل هو الشيخ / ناصر بن حمد الراشد.

وقد صدر فيما بعد التوجيه السامي بالموافقة على قرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري الذي ينص على دمج الإشراف الديني والأجهزة الحكومية الأخرى العاملة بالحرمين الشريفين تحت إدارة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

(١) خير الدين الزركلي / مرجع سابق ص ٣٢٢

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة

وفي عام ١٤٠٧هـ صدر الأمر السامي الكريم بتعديل مساهما إلى الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي برئاسة معالي الدكتور / عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام ولا يزال يعمل على رئاستها إلى الآن.

وتضم الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي عدد من الإدارات الداخلية من أهمها:

- مكتب الرئيس العام - مكتب نائب الرئيس - المجلس الاستشاري
- معهد الحرم المكي الشريف - مكتبة الحرم المكي - مصنع كسوة الكعبة
- معرض وعمارة الحرمين الشريفين - سقيا زمزم - هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي -
- مركز التدريب على الحاسب الآلي - مركز المعلومات - مركز الاتصالات الإدارية - شؤون المالية - المشاريع والدراسات - إدارة الخدمات والصيانة -
- إدارة التشغيل - إدارة الأمن والسلامة - إدارة العربات - شؤون الموظفين -
- وحدة العمليات - وحدة شؤون العاملات - التطوير الإداري - المناقصات والمشتريات - المستودعات - الحركة والعلاقات العامة - الميزانية - المتابعة -
- التوجيه والوعظ والإرشاد - إدارة المصاحف - وإدارة شؤون الكتب -
- إدارة سقيا زمزم - إدارة العربات - التكييف^(١) - أبواب المسجد الحرام -

(١) الشيخ / محمد بن عبدالله السبيل / مرجع سابق ص ٩٦

- ساحات المسجد الحرام - النظافة والفرش - مراقبة المخزون.
- وتقوم الرئاسة العامة أيدها الله اليوم بمهام جليلة تؤجر عليها أبرزها:
- التوجيه والإرشاد للزوار والمعتمرين لأداء عبادتهم بشكل شرعي.
 - الإشراف والمتابعة للأئمة والمؤذنين.
 - تسجيل قراءاتهم وخطبهم وفهرستها.
 - متابعة المؤذنين وما يتعلق بهم.
 - الترتيب مع العلماء لإلقاء الدروس اليومية بمختلف العلوم الشرعية.
 - توفير كل ما يحتاجه الحرمين الشريفين من المصاحف والترجمات لمعاني القرآن الكريم.
 - إقامة حلقات تعليم وتحفيظ القرآن الكريم.
 - القيام بتوعية الزوار بالتوجيه المباشر أو بالكتب والنشرات.
 - تخصيص عدد من العلماء للإجابة على استفساراتهم وإرشادهم في أمور عبادتهم مناسكهم.



قائمة بالمصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن القيم الجوزية (شمس الدين بن أبي عبدالله محمد بن أبي بكر) زاد المعاد في هدى خير العباد / دار عالم الفوائد / مكة المكرمة / الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ.
- ابن القيم الجوزية (شمس الدين بن أبي عبدالله محمد بن أبي بكر) مدارج السالكين / تحقيق عامر ياسين / دار ابن خزيمة.
- ابن بطوطة / تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار / دار أحياء العلوم / بيروت / الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
- ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير) رحلة ابن جبير / مطابع دار الهلال / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٩٨٦م.
- ابن خلدون / مقدمة ابن خلدون / الطبعة الرابعة / ١٩٨١م / بيروت / لبنان / دار القلم.
- ابن ظهيرة / الجامع اللطيف في فضائل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف / تحقيق علي عمر / مكتبة الثقافة / القاهرة / طبعة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس) معجم مقاييس اللغة / تحقيق

- عبدالسلام هارون / دار الجليل / بيروت / الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء) البداية والنهاية / دار العبيكان / بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل) تفسير القرآن العظيم / بيروت / لبنان والطبعة الثانية - الرياض - مكتبة الرشد - ١٤١٧هـ.
- ابن هشام / الحافظ عبد الملك بن هشام المعافري / السيرة النبوية .
- أبو العباس أحمد عبدالله بن محمد الطبري المكي / القرى لقاصد أم القرى / المكتبة العلمية / بيروت ١٤٣١هـ.
- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي / مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن / دار الراية / الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / المعجم الكبير / دار أحياء التراث / بيروت / الطبعة الأولى.
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / السنن الكبرى / تحقيق محمد عبدالقادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة / المصنف لابن شيبة / دار القبلة / الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- أحمد بن عبدالوهاب النويري شهاب الدين / نهاية الإرب في فنون الأدب / دار الكتب العلمية / ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

● الأزرقي (الحافظ بن الوليد محمد بن عبدالله) اخبار مكة / مكتبة الثقافة
/ مكة المكرمة / الطبعة الحادية عشر ١٤٣٢هـ والطبعة الأولى تحقيق
عبد الملك بن دهيش ١٤٢٤هـ.

● الأصطخري (إبراهيم بن محمد الفارس) المسالك والممالك / تحقيق
محمد الحيني / وزارة الثقافة / الجمهورية المتحدة / ١٣٨١هـ.

● الإمام ابن العماد الأقفهسي الشافعي / تسهيل المقاصد لزوار المساجد / تحقيق
إبراهيم بازودي - دار الصميعي / الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

● الإمام ابن ماجه (الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد الربيعي ابن ماجه) سنن
ابن ماجه / دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة / ١٤٢١هـ والطبعة
الثانية من تحقيق عصام موسى هادي / دار الصديق / ١٤٣٥هـ.

● الإمام أبي داود (الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي الجتاني)
سنن أبي داود / دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة / ١٤٢١هـ.

● الإمام أبي عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي / أخبار مكة في قديم
الدهر / تحقيق / صفيه التويجري ونورية الرائقي وسهام الأحدي /
دار المهدي / مصر / الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ والطبعة الثانية تحقيق
عبد الملك بن دهيش ١٤١٤هـ.

● الإمام أحمد (العلامة محمد السفاريني الحنبلي) شرح ثلاثيات مسند
الإمام أحمد / الكتب الإسلامي / الطبعة الثالثة / بيروت ١٣٩١هـ.

● الإمام أحمد بن حنبل / مسند الإمام أحمد بن حنبل / دار الرسالة العلمية / دمشق / الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

● الإمام البخاري (الحافظ أبي عبدالله محمد إسماعيل) صحيح البخاري / دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ مطبعة مؤسسة الرسالة ناشرون / دمشق ١٤٣٨هـ.

● الإمام الترمذي (الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي) جامع الترمذي / دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ والطبعة الثانية من تحقيق عصام موسى هادي / دار الصديق ١٤٣٦هـ.

● الإمام الشافعي (أحمد بن علي بن حجر الشافعي) بلوغ المرام من أدلة الأحكام / تحقيق عبدالمحسن القاسم / مطبعة فنون طالب العلم ● الإمام الماوردي (أبو الحسن الماوردي) الأحكام السلطانية والولايات الدينية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ.

● الإمام المقدسي / محمد بن أحمد / أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / تحقيق غازي ظليحات / وزارة الثقافة / الجمهورية المتحدة ١٣٨١هـ. ● الإمام النسائي (الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي) سنن النسائي / دار السلام / الرياض / الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

● الإمام النووي (العلامة يحيى بن زكريا محي الدين النووي) تهذيب الأسماء واللغات / دار الكتب العالمية / بيروت / طبعة فريدة ومنقحه.

● الإمام مالك بن أنس / المؤطأ / تحقيق بشار عواد معروف / دار المغرب

الإسلامي / تونس / الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ.

● الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي / سبل الهدى والرشاد في سيرة خير

العباد/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر / ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

● الإمام مسلم (الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم

النيسابوري) صحيح مسلم / دار السلام / الرياض / الطبعة الثانية

١٤٢١هـ / طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون / دمشق ١٤٣٩هـ الطبعة

الثانية / مطبعة النهضة ١٩٩٩م .

● البكري (الإمام أبي عبيد البكري) الممالك والمسالك بدون ذكر لاسم

الطبعة أو سنة الطبع.

● الحافظ جلال الدين السيوطي / تاريخ الخلفاء / دار الفكر للطباعة /

بيروت / لبنان.

● الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري / الترغيب

والترهيب في الحديث الشريف/ دار ابن كثير / دمشق / الطبعة الثانية

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

● الشيخ محمد بن سالم بن محمد المالكي المكي «الصباغ» / تحصيل المرام

في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام

تحقيق د/ عبدالملك بن دهيش.

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب / مختصر سيرة الرسول ﷺ / مطابع
جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية / الرياض / ١٤٢٢هـ.
- الفاسي (الحافظ أبي الطيب تقي الدين) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام
/ مكتبة الثقافة / القاهرة / الطبعة الحادية عشر ١٤٢٨هـ.
- الفيروز آبادي / القاموس المحيط / مؤسسة الرسالة / الطبعة السادسة
/ ١٤١٩هـ / بيروت / لبنان.
- الحافظ أحمد بن عبد الهادي المقدسي / الصارم المكي في الرد على
السبكي / تحقيق: صفية النويجري، نورية الرائف، سهام المحمدي /
دار الهدى النبوي / الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ ص ٤٩.
- الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب) صفة جزيرة العرب / تحقيق
محمد علي الأكوع / دار اليمامة / الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- الحافظ ابن حجر العسقلاني / المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية /
مؤسسة قرطبة / الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- حسين محمد سعيد المكي الحنفي / إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي
القاري / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ.
- خليفة بن أبي الفرج بن محمد الزمزي الشافعي / نشر الأنفاس في
فضائل زمزم وسقاية العباس / تحقيق د/ عبد الله سليمان المزيني /
مؤسسة الفرقان / مكة طبعة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

● عبدالرحمن السعدي / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان دار
الهيثم / الطبعة الأولى / ١٤٣٠هـ.

● علي بن تاج الدين تقي الدين السنجاري / منائح الكرم في أخبار مكة
والبيت وولاية الحرم / تحقيق جميل عبدالله محمد المصري / جامعة أم
القرى / مكة المكرمة / الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

● عمرو بن بحر الجاحظ / كتاب الحيوان / دار صعب / بيروت /
الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - ١٩٩٨م.

● محمد الرازي / مختار الصحاح / المركز العربي للثقافة والعلوم /
بيروت / لبنان.

● محمد بن إدريس الشافعي / كتاب الأم / دار قتيبة / الكويت / الطبعة
الأولى ١٤٠٩هـ.

● محمد بن إسحاق الخوارزمي / إثارة الترغيب والتشويق إلى تاريخ
المساجد الثلاثة والبيت العتيق / دار الكتب العلمية / بيروت /
١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

● محمد ناصر الدين الألباني / إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار
السييل / المكتب الإسلامي / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● ياقوت الحموي / معجم البلدان / دار أحياء التراث / بيروت / لبنان
/ ١٤٠١هـ.

ثانياً: قائمة المراجع:

أ/ الكتب المطبوعة: -

● أبو هشام عبدالله بن صديق / الأسر القرشية أعيان مكة المحمية / تهامة للنشر / الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م / جده المملكة العربية السعودية.

● أحمد السباعي / تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع / مطبعة الأمانة العامة / الطبعة الأولى / الرياض.

● أحمد شاكر / عمدة التفسير / مختصر تفسير القرآن لابن كثير / إعداد أنور الباز / دار ابن حزم / الطبعة الثانية / ١٤٢٦هـ.

● أحمد عثمان المزيّد / فضائل المسجد الحرام / مطبعة الرئاسة العامة للبحرين / إدارة التوجيه / ١٤٢٧هـ.

● أحمد عثمان المزيّد / مكة المكرمة وما لها من فضائل وخصائص / مطبعة الرئاسة العامة للبحرين / إدارة التوجيه / ١٤٢٧هـ.

● السيد ضياء محمد مقبول عطار / آيات المسجد الحرام / كنوز المعرفة / جده.

● الشريف عبدالله منسي العبدلي / المسجد الحرام في قلب الملك عبدالعزيز مكة المكرمة / طبعة ١٤١٩هـ.

● الشيخ محمد بن عبدالله السبيل / رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر

- الإسلام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين / مطابع الرئاسة العامة
لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي / الطبعة الثانية.
- الشيخ محمد بن عبدالله السبيل / نبذة موجزة عن عمارة الحرمين
الشريفين الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- بكر أبو زيد / تصحيح الدعاء / دار العاصمة / الرياض / الطبعة
الأولى ١٤٣٧هـ.
- خالد منصور محمد المطلق / منهج الإمام جمال الدين السرمدي في
تعزير العقيدة / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- خير الدين الزركلي / الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز / دار العلم
للملايين / الطبعة الرابعة / ١٩٨٤م / بيروت لبنان.
- د/ حسن إبراهيم حسن / التاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي
والاجتماعي / مكتبة النهضة المصرية / القاهرة / الطبعة الثانية عشر /
١٤٣١هـ.
- د/ صالح بن فوزان الفوزان / عقيدة التوحيد / مؤسسة الحرمين
الخيرية / دار القاسم للنشر الرياض.
- د/ عبدالله بن صالح العثيمين / تاريخ المملكة العربية السعودية /
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- د/ فوزيه حسين مطر / تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية

العصر العباسي الأول / طبعة ١٤٢٣هـ دار الأمين

● د/ محمد إلياس عبدالغني / تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً / المدينة المنورة / دار الرشيد / الطبعة الأولى / ١٤٢٢هـ.

● د/ محمد بن ناصر الشثري / الدعوة في عهد عبدالعزيز / الرياض / الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ ج ٢.

● د/ محمد بيومي مهران / دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب / مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

● د/ محمود محمد حمو / مكة المكرمة تاريخ ومعالم طباعة مركز حضارة مكة المكرمة / الطبعة الثامنة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

● د/ خضران بن خضر الثبتي ود/ سعد بن سعد الثبتي / أعلام وحدود الحرم المكي الشريف / مركز تاريخ مكة / طبعة عام ١٤٣٤هـ.

● رابع لطفي جمعه / حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز / دار الملك عبدالعزيز / الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

● سعيد عبدالفتاح عاشور / مصر والشام في عصر المماليك والأيوبيين / دار النهضة / بيروت / لبنان.

● سليمان الرحيلي / دراسات في التواريخ والحضارة ج ١ / الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

● صفي الرحمن المبارك فوري / الرحيق المختوم / دار الكلمة / الجامعة
السلفية / الهند / الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ.

● صفي الرحمن المبارك فوري / تاريخ مكة المكرمة / دار السلام / الطبعة
الأولى / ١٤٢٣هـ.

● صفي الرحمن المبارك فوري: روضة الأنوار في سيرة المختار / وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف / الطبعة الخاصة / الرياض / ١٤٢٨هـ.

● عاتق بن غيث البلادي / فضائل مكة وحرمة البلد الحرام / دار مكة /
مكة المكرمة / ١٤١٢هـ / ١٩٩٣م / الطبعة الثانية.

● عاتق بن غيث البلادي / معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية / دار
مكة للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

● عبدالعزيز بن عبدالله بن باز / تحفة الاخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان
الإسلام / الإدارة العامة للبحوث والافتاء ١٤٣٣هـ.

● عبدالعزيز بن محمد الحويطان / أحكام الحرم المكي الشرعية / وكالة
المطبوعات للبحث العلمي / وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد / الطبعة الأولى / ١٤٢٦هـ.

● عبدالله بن محمد الطيار / خلاصة الكلام في أركان الإسلام / مطبعة
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف / الرياض / الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ.

- عبدالله يوسف غنيم / جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك / مطبعة ذات السلاسل / الطبعة الأولى / ١٣٩٧ هـ.
- عبدالمنعم النمر / المؤامرة على الكعبة من القرامطة إلى الحميني / مكتبة التراث الإسلامية / القاهرة
- علي حسنى الخربوطلي / تاريخ الكعبة / دار الجيل / بيروت
- عمر سليمان العقيلي / تاريخ الدولة الأموية / الجمعية التاريخية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٢٧ هـ.
- فيصل بن علي البعداني / أحوال النبي ﷺ في الحج / مطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف / الرياض / الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.
- مجموعة المؤلفين / تاريخ دول العالم الإسلامي في العصر العباسي / مطابع جامعة الإمام / الرياض / ١٤٢٥ هـ.
- مجموعة من المؤلفين / تاريخ الدولتين الأموية والعباسية / مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض ١٤٣٥ هـ.
- مجموعة من المؤلفين / تاريخ العلم الإسلامي الحديث والمعاصر / مطابع جامعة الإمام / الرياض / ١٤٢٧ هـ.
- مجموعة من المؤلفين / تاريخ المملكة العربية السعودية / مطابع جامعة الإمام / الرياض / ١٤٣٠ هـ.
- محمد أحمد باشميل / صلح الحديبية / دار الفكر / الطبعة الثانية

١٩٧٤م / ١٣٩٤هـ.

● محمد أحمد باشميل / فتح مكة / دار الفكر / الطبعة الثانية ١٩٧٤م / ١٣٩٤هـ.

● محمد الخضري بك / تاريخ الأمم الإسلامية / الدولة الأموية / المكتبة التجارية الكبرى / مصر ١٩٦٩م.

● محمد الخضري بك / محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية / الدولة العباسية / دار المعرفة / بيروت / لبنان.

● محمد إلياس عبدالغني / تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً / مطابع الرشيد / المدينة المنورة / الطبعة الأولى / ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

● محمد طاهر الكردي المكي / التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم / دار خضر / بيروت / الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

● محمد علي الصابوني / النبوة والأنبياء / الطبعة الأولى / بيروت / عالم الكتب / ١٤٠٩هـ.

● محمد علي الصابوني / روائع لبيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن / دار أحياء التراث العربي / دمشق.

● محمد غالي الأمين الشنقيطي / الدر الثمين في معالم الرسول الأمين ﷺ / مؤسسة علوم القرآن / بيروت / الطبعة الثانية.

● محمد لطفي جمعة / الأيام المبرورة في البقاع المقدسة / دار عالم الكتب

/ القاهرة / ١٩٩٨م - ١٩٩٩م.

● محمود أحمد الدوسري / الكعبة المشرفة تعريفها - اسمائها - فضائلها
- خصائصها - أحكامها / دار ابن الجوزي / الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
● وحي الله بن محمد عباس / المسجد الحرام تاريخه وأحكامه الطبعة
الثانية ١٤٢٨هـ.

● يوسف بن عبدالله محمد الصمعاني / مقام إبراهيم تاريخه وأحكامه
وما ورد فيه من آثار / دار المأثور / المدينة المنورة / الطبعة الأولى /
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.



ب/ المقالات في الدوريات والصحف:

- الحرمان الشريفان / مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي / العدد السابع ذي الحجة / ١٤٣٧هـ / السنة الرابعة.
- تهاني خوج / مقال في جريدة مكة / العدد ٢٦ / الجمعة ٧ ربيع الأول ١٤٣٥هـ.
- ريان فضلان ومصطفى حكيمي / مقال خاص «جريدة مكة» العدد ٤٥ / السنة الأولى / الأربعاء / ربيع الآخر / ١٤٣٥هـ.
- عبدالرحمن حويت / مقال في جريدة مكة المكرمة / العدد ٢٤٠ / السنة الأولى / الثلاثاء ١٤ ذو الحجة ١٤٣٥هـ.
- عدنان محمد الشريف / مقال في جريدة مكة / العدد ٥١ / السنة الأولى / الثلاثاء ٣ جماد الأولى سنة ١٤٣٥هـ.
- عمر الضواحي / مقال في جريدة مكة / العدد ٢١٠ / السنة الأولى / الأحد ٤ شوال سنة ١٤٣٥هـ.
- عمر المضواحي / مقال في جريدة مكة / العدد ٢٤٠ / السنة الأولى / الأربعاء ٥ ربيع الآخر سنة ١٤٣٥هـ.
- فيصل السلمي / مقال في جريدة مكة / العدد ٢٠٠ / السنة الأولى / الأحد ١٤ شوال سنة ١٤٣٥هـ.

● فيصل السلمي / مقال في جريدة مكة / العدد ٢١٠ / السنة الأولى /

الأحد ٤ شوال ١٤٣٥ هـ.

● مقال خاص / جريدة الوطن / العدد ٤٧٧ / الثلاثاء ١٧ ذو الحجة

١٤٣٤ هـ.

● مقال خاص / مجلة طيران ناس / كسوة الكعبة خير صفة وخير رفعة

/ العدد ١٧ / شهر رمضان وشوال ١٤٣٧ هـ.

● هاني نديم / مقال بئر المعجزات والعطايا / مجلة طيران ناس / العدد

١٧ / شهر رمضان وشوال ١٤٣٧ هـ.

ج/ الانترنت في الحاسب الآلي:

● السلسلة الصحيحة / للألباني.

● مقابلة مع الدكتور / فواز علي الوهاس المشرف على وحدة المتاحف

بجامعة أم القرى.

● منتديات مزامير داوود / الركن العام.



فهرست العناوين والمحتويات

الإهداء.....	٥
المقدمة.....	٦
مكة المكرمة.....	١٠
الكعبة المشرفة.....	٢٣
الحرم المكي.....	٤٢
الملتزم.....	٥٣
الحجر الأسود.....	٥٧
المقام الإبراهيمي.....	٦٥
الحجر.....	٧٤
الخطيم.....	٨١
زمزم.....	٨٦
أركان الكعبة.....	٩٧
باب الكعبة.....	١٠٣
الشاذروان.....	١١١
الميزاب.....	١١٥
كسوة الكعبة.....	١٢٠

١٣٤	جبل الصفا
١٤٠	جبل المروة
١٤٣	المسعى
١٤٧	(بطن المسيل)
١٥٠	أبواب المسجد الحرام
١٥٨	مآذن المسجد الحرام
١٦٤	(المكبرية)
١٦٩	منبر الحرم المكي
١٧٢	خدم الحرم (الأغوات)
١٧٩	حمام الحرم
١٨٤	دار الندوة
١٨٨	السقاية
١٩٤	(الحجابه والسدانة)
٢٠٠	(الرفادة)
٢٠٣	(الوفادة)
٢٠٧	الطواف
٢١٧	مهنة الطواف

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

٢٢٢	مصلى الجنائز
٢٢٤	المقامات
٢٣٠	الفتوى
٢٣٦	مكتبة الحرم المكي
٢٤٥	منى
٢٥٣	الجمرات
٢٦١	المزدلفة
٢٦٥	المشعر الحرام
٢٦٨	عرفة
٢٧٥	المحصب (الأبطح)
٢٨١	بطن محسر
٢٨٤	المأزمان
٢٨٦	الحديبية
٢٩١	ذي طوى
٢٩٦	مسجد الخيف
٣٠٠	مسجد التنعيم
٣٠٣	مسجد البيعة

- ٣٠٧ مسجد نمره
- ٣١١ مسجد الجن
- ٣١٤ مسجد الشجرة
- ٣١٧ مسجد الجعرانة
- ٣٢٢ مسجد الإجابة
- ٣٢٥ جبل ثبير
- ٣٢٩ جبل النور (غار حراء)
- ٣٣٣ جبل ثور (غار ثور)
- ٣٣٨ جبل أبي قيس
- ٣٤٣ جبل الحجون
- ٣٤٦ جبل الرحمة
- ٣٤٩ جبل قعيقعان
- ٣٥١ جبل خندمة
- ٣٥٤ جبل المسخوطة
- ٣٥٦ مقبرة المعلاة
- ٣٦٢ المواقيت
- ٣٦٨ عمارة المسجد الحرام في الإسلام

دراسة تأصيلية لأبرز المعالم الدينية والتاريخية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة

- ٣٩٢ مواضع صلى فيها النبي ﷺ:
- ٣٩٣ مواضع يستجاب فيها الدعاء
- ٣٩٥ الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين
- ٣٩٩ قائمة بالمصادر والمراجع
- ٤١٥ فهرست العناوين والمحتويات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ